

تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار

فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار

وهو شرح لأبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي
على قعيدة الشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصاري الطرابلسي

نقل عن نسخة في الخزانة التيمورية

على بقره وتصحيحه والتعليق عليه

الأهل الأحرار
الطرابلسي

القاهرة سنة ١٣٤٩

بطلب من

المطبعة البنافية - ومكتبتها
مطابعها : مطبعة الطب ومطبعة العلوم



marefa.org

موسوعة المعرفة

المعرفة مشروع علمي ثقافي يهدف لجمع **المحتوى العربي** والإضافة إليه، لإنشاء **موسوعة دقيقة، متكاملة، متنوعة، مفتوحة، محايدة ومجانية**، يستطيع الجميع المساهمة في تحريرها، بالكتابة أو بالاقتباس من **مصادر مرخصة بالنقل**. بدأت المعرفة في **16 فبراير 2007** ويوجد بها الآن **35,587** مقال و **2,409,583** صفحة **مخطوط** فيها.

خلافًا للغات العالم الكبرى الأخرى، تفتقر الثقافة العربية إلى المحتوى الإلكتروني، وبقاوم من ذلك الوضع قصر عمر المواقع الإلكترونية العربية، مما يجعل محتواها الإلكتروني مملوكاً لكيان اعتباري قد زال من الوجود، ولا يستطيع حتى كاتب المحتوى نشره في مكان آخر.

لذا فندعو المهتمين إلى المساهمة في جمع تراثنا في موسوعة المعرفة الحرة والحصول على تصاريح النقل من مختلف المصادر وتوعية أصحاب تلك المصادر ببدائل علامة حفظ الملكية التي تتيح نشر المعرفة. ادع **أصدقائك للكتابة في أي موضوع معرفي يهمهم**.

مشروع معرفة المخطوطات

تشهد الثقافة العربية تراجعاً على كافة الأصعدة. ونتيجة لذلك تخلى العديد من الشعوب عن استخدام **الأبجدية العربية**، مما أدى إلى سقوط مراكز إشعاع الثقافة العربية في تلك الشعوب في غياهب النسيان. فنرى حواضر **حيدر أباد وتبكتو وزنجبار وسمرقند** ملأى بمئات الآلاف من المخطوطات العربية في حالة يرثى لها من الإهمال. ولقد شكلت التقنية الحديثة من الماسحات **الضوئية والإنترنت** بارقة أمل. إذ أصبح بإمكان المتطوعين، حيثما كانوا، المشاركة في تحويل تلك المخطوطات المسوحة إلى نصوص رقمية يعم نفعها الجميع.

وتفخر موسوعة "المعرفة" بحصولها على 25,000 مخطوط تحتوي على **2,409,583** صفحة من المخطوطات من حكومة الهند، وهي تمثل 5% من المخطوطات باللغة العربية التي يعملون على مسحها ضوئياً. قائمة **بروكلمان** لأهم مصادر الكتب والمخطوطات العربية تضم 16 مكتبة بالهند بين أهم 168 موقع بالعالم. أمدتنا الهند كذلك بملايين الصفحات **بالفارسية والتركية** (بحروف عربية). وبعد أن كانت الهند أكبر مشتر وقارئ للأدب العربي أصبحت اليوم لا تجد بين أبنائها من هو قادر حتى على قراءة عناوين تلك المخطوطات. الفرصة سانحة لإثراء تراثنا ودعم أواصر التعاون الإنساني مع حضارة الهند الصديقة. المشروع ذاته يجري تكراره مع تجمعات Corpora المخطوطات العربية الكبرى في **الصين وتبكتو (مالي)**.

هذه قائمة جزئية للمخطوطات التي لدينا. إذا كنت تريد أن نعجل بنشر أي منها فأخبرنا بالضغط هنا.

خطوات المشروع:

1. الحصول على صور المسح الضوئي للمخطوطات.
2. نشر المخطوط إلكترونياً مقروناً بمقالات من موسوعة المعرفة متعلقة بالمخطوط والكاتب. ويمكن للجميع تحميل المخطوط. قائمة المخطوطات الجاهزة للتحميل.
3. تدوين المخطوطات، أي تحويل الصورة إلى نص حرفي يمكن التعامل التحريري معه، وذلك للمخطوطات التي لا يوجد لها نصوص. وهذا عن طريق مشروع **معرفة المخطوطات** الذي يضم برنامج تدوين المخطوطات عن بعد Distributed Proofreading. وتلك الخطوة تتطلب جهداً فائقاً **ندعو القراء للمشاركة فيه (بالترتيب هنا)**.
4. تقديم نص المخطوط إلى مشروع **غوتهبرج Gutenberg Project** لنشر كتب التراث العالمي. وقد انضمت موسوعة المعرفة لمشروع **غوتهبرج** وهي بذلك المشارك العربي الوحيد في هذا المشروع العالمي.

مع تحيات مدير المشروع

د. نايل الشافعي

سودان
عراق

کتابخانہ تحفہ سیرکار عالی حیدرآباد دکن

۲۰۵۶۳

۲۵ آبان ۱۳۴۰

تاریخ طرابلس الغرب

تاریخ

نمبر کتاب
تاریخ جہند
نام کتاب
نوع کتاب
نمبر کتاب فن مذکور

۱۶۸۲

﴿ حقوق الطبع محفوظة للناشر ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بتاريخ ابن غلبون

هو تآليف الاستاذ العلامة أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي

جمع فيه المؤلف ما يتعلق بطرابلس من أخبار وما تعاقبت عليها من دول اسلامية وغيرها، وما وقع فيها من ثورات وحروب منذ الفتح الاسلامي الى أواسط حكم احمد باتا القره مانلي

وهو شرح لقصيدة الاستاذ للفاضل الأديب الشيخ احمد بن عبد الدائم الانصاري الطرابلسي التي أنشأها مدحا لطرابلس ورداً على من ذمها

وقد مر على هذا الكتاب ما يقارب مائتي سنة وهو في مهملات الكتب لا يعرفه الا من له دراية بأسماء الكتب والمشتغلين بها. وقد أتيت لي فرصة التعرف الاستاذ الجليل العلامة صاحب السعادة احمد تيمور باتا سنة ١٣٤٨ وكان ممن له عناية تامة بالعلم وجمع الكتب الاسلامية، فسألته - رحمه الله - هل يوجد عندكم كتاب تاريخ اطرابلس الغرب؟ فأجابني - على الفور - بأنه يوجد لديه « تاريخ ابن غلبون » فاستعرت منه على أن أطلع عليه، ثم بداني أن استفسحه فاستأذنته فأذن لي، جزاه الله عن العلم والسلمين حياً

وكانت نسخة «أحروزة» التي وير الشامي (الفونوغرافيه) من سنة ١٣٤٨
مراجعة سنة ١٣٤٨ وغير كتره يوجد في بعض المكتبات

التحريف ، ولا أدري ان كان هذا من تعاقب أيدي الساخ عليها فمسخوها ،
أو أنها مسودة المؤلف وتناولتها الأيدي قبل أن تبيض .

ولم نجد نسخة أخرى غير نسخة تيمور ناشأ نستعين بها على تصحيح كتابه .
هذا ، استعنت بتاريخ ابن خلدون وغيره في تصحيح بعض كلمات وتواريخه ،
، فنصت على تغيير بعض الكلمات ، أو تقديمها ، بعضها على بعض . وهذا قليل
حداً ، وزيادة كلمة أو كلمتين مما لا يغير المعنى . وتركت كثيراً من الكلمات كما
هي خوفاً من الوقوع فيما لم يردده المؤلف . وقد نبهت على أكثر ما أصلحته
أو كان غير مفهوم ، ووضعت الزيادة بين هاتين العلامتين [] وقد فاتني
شيء من بنفي التسمية عليه ، وأرجو أن يكون غير ذي بال ، أو مما يعفو القراء
عن مثله

وقد كان لأصل متصل به ، ببعض من أوله إلى آخره ، فعنوت حوادثه
ووضعت فيه فواصل عند انتهاء كل جملة ، وأرائل سطور عند ابتداء الكلام
تبييناً للمعنى وتقريباً إلى ذهن القارئ . وأرجو أن أكون وفقت إلى القياس
بعض الواجب بطبع تدريج ابن خلدون ليطلع أثناء طلي على ما لسلفه من
إلهامه بشئ لوطن وقده من حوادثه ، وإيكون باعثاً لهم على الاقتداء بهم في
شأنهم وحدهم . وقد وجدوا في زمن لم يهيا لهم فيه من أسباب العلم وطلبه
ما هي له من إليه ، ومع ذلك فقد ذهبوا في فنونه كل مذهب وقطعوا فيه شوطاً
قديراً نحن دونه رغم ما هيء لنا من الأسباب والوسائل

وقد كان لتاريخهم في كل الامم قديماً وحديثاً ، وتبارى في مضماره
علماء وديانة لأخباره ، وحدثوا له الكثير من أوقاتهم حتى صار الوصول
إليه إلى حد بعيد من الباحثين ، وميزانا توزن أعمال الرجال في
سيرة الاتباعية ، ذلك لأن التاريخ مع مرآة الامم ، ترى فيه صورتهما على ما كانت

عليه في كل طور من أطوار حياتها
فالامة التي لم يكن لها تاريخ بدون فيه ما لها في بطون الايام من حوادث
وما أتته من أعمال في حياتها فهي ميتة الذكر لا يقام لها وزن ، وليس لها بين
أمم الارض من قيمة الامم التي تلك الفرق الضاربة في مجاهل الارض من بني الانسان
والتاريخ نوع من الدفاع عن الوطن ، فكما أن الانسان يدافع عن وطنه
وسيفه وماله فكذلك يدافع عنه بتقييد حوادثه وبيان ما وقع فيه من وقائع تعلي
من شأنه وتظهره أمام الناس بمظهر المنظمة والكمال . وهذا ما حدا بالاستاذ ابن
خلبون الى تأليف كتابه هذا فانه لما رأى العسكري ثم طرابلس في رحلته ورد
عليه الاستاذ احمد الانصاري بقصيدة رأى أن يشرح هذه القصيدة ليظهر
ما لطرابلس من محاسن وما لها من وقائع تعلى قدرها وترفع شأنها
هدا وأسأل الله أن يوفق من مواطني من يكمل هذا البناء الذي وضع أساسه
الاستاذ ابن خلبون ليكون لبلادنا - طرابلس الغرب - تاريخ كامل يرجع اليه لدى
البحث عن فضائلها وما أتته من أعمال مجيدة



ترجمة المؤلف

هو الاستاذ الفاضل العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي المصري كان رحمه الله تعالى عباً لهلم مشاركا فيه ، له قدم راسخة في الامر بالمعروف والجهير بالحق ، وله وقفات مشرقة في انكار المنكر بحاله وبجماهه . فقد أذن عامل مصراته في زمانه بتقطير الخمر من النخل ، فعارضه الاستاذ في ذلك وبعظه قتالا له : ان هذا لا يسعكم في دين الله ، فأعرض العامل ونأى بجوابه ، فذهب الاستاذ الى ملتزمي بيع الخمر وأعظام ما دفعوا من مال وكفوا عن بيعه . ولم يكتف بهذا بل ذهب الى الوالي احمد باشا فقرأه مانلى ورجاه في عدم الاذن ببيع الخمر فقبل رجه دلمانة من المكافاة عنده ، وهزل عامل مصراته وكان ينكر على أرباب الطرق أعمالهم المخالفة وما أحدثوه من تحريف في أسماء الله وبجهر بديات وكانت له مناظرة في شأن الطروق مع الشيخ محمد النعاس التتوري فظهر عليه واثمة الحاجة . وقد سقط في يد الشيخ محمد النعاس التجأ الى طريق الجهل والتعصب وقال «هذه طريقة مشايخي لا يسعني تركها كائنة ما كانت» كبرت كلمة تخرج من فيه .

وقد ارتحل الاستاذ ابن غلبون الى الازهر في طلب العلم ، وأخذ عن الاستاذ الشيخ عبد الله هوف البشبيشي ، والاستاذ أبي محمد عبد الله بن يحيى السوسى وغيرهما ورجع الى بلاده مصر ته سنة ١١٣٣ ولم أطلع على تاريخ ذهابه الى الازهر وكان يعلم في مصراته التفسير ، اللغة والحديث وغيرها من العلوم وكان يعظم طلبية العلم ويحترمهم ، وطلب الى احمد باشا اسقاط الضرائب عنهم فأجاب طلبه وأسقطها

{ ز }

ومن الاسف الشديد أننا لم نعثر للمؤلف على ترجمة الا ما استخلصناه أثناء مطالعة تاريخه هذا . ولم يترجم له النائب في تاريخه مع أنه عالة عليه في النقل عن كتابه هذا وهو أجل قدراً وأعلم من كثير ممن ترجم لهم .
وإن جهلنا تاريخ ولادة المؤلف ووفاته ، وشيئاً مما يتعلق بحياته فقد علمنا نسبه الى اسرة ابن غلبون ، تلك الاسرة التي فبنت منبت الرئاسة والفضل وسرى في فروعها العلم ، فاخرجت للناس علماء في مختلف الأزمنة نفع الله بهم الناس ، وودونوا في العلم دواوين تشهد لهم بسعة اطلاعهم في العلم وعلو كبرهم فيه .

فقد ذكر ابن خلدون في الكلام على آل سالم - وهم بطن من بنى سليم - :
« ان مراطهم بلد مصراته ومسلاية ، ورياستهم في أولاد مرزوق ، وكانت في اوائل المائة الثامنة لغلبون ابن مرزوق ، واستقرت في بنيه ، وهي اليوم لحيد بن سنان بن عثمان بن غلبون » .

ولهذه الاسرة ذكر حسن في طرابلس ، وشأن يعرفه لهم ذوو الفضل الذين الذين يتدبرون الناس قدرهم . ولا يزال لهذه الاسرة نسل يحفظ ما كان لها من فضل وادب . وهو الاستاذ الشيخ أحمد بن محمد بن خليل بن محمد بن خليل بن محمد بن خليل غلبون المؤلف ، وقد أراد أن يكون له الفضل في ابراز هذا الاثر الحائد بجدته الفاضل ، فاصحم أنى اعترفت طبعه حتى شجعت على المضي في هذا العمل وأعانتى على إكماله ، فهو بهذه المهمة قد أبر بجدته وأحسن الى أمته .
بوعطاء ، فجزاه الله خيراً .

(ح)

ترجمة الشيخ احمد بن عبد الدائم

الانصاري الطرابلسي

منذ ان اعترمت طبع هذا الكتاب وأنا أكتب الى أصدقائي بطرابلس عن لهم صلة بالعلم بشأن البحث عن ترجمة للشيخ أحمد بن عبد الدائم الانصاري صاحب القصيدة التي شرحها المؤلف وعن ترجمة للاستاذ المؤلف ، فلم أظفر بما يكشف لنا عن حياة المؤلف وبمطينا نسخة تامة لما كان له من أعمال أما ما يتعلق بترجمة الشيخ أحمد بن عبد الدائم الانصاري فقد كتبت الى صديقي الفاضل الاستاذ أحمد بن محمد الفقيه حسن نبذة تتعلق به فنشرها ببصها مع الاكتفاء بها حيث لم يكن لدينا من المعلومات غيرها . قال وفقه الله .

(في دائرة أوقاف القطر الطرابلسي كتاب مخطوط ليس فيه ما يشتر به ، سوى أن مؤلفه وهو « الشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الانصاري » ذكر فيه تراجم آيائه وأجداده فهو حري أن يدعى « كتاب الاجداد » وقد ورغ من تأليفه في الرابع والعشرين من المحرم سنة ١٢١٢ . ومن جملة أجداد المؤلف الذين ترجمهم في حكاياه هذا الشيخ أحمد بن عبد الدائم الطرابلسي الانصاري ، وهو الجد الاول لام المؤلف ، وقد ترجم له ترجمة أهمل فيها تاريخ ميلاده ووفاته ، فنقل :

الفقيه أحمد بن عبد الدائم ، كان يضرب به المثل في ظرفه وفصاحته ، وصلته لاقرابه والقراء . كان حافظاً ، ذا معرفة بالتواريخ الاسلامية والخبار السلوكية ، غاية في الذكاء والفظنة والعقل الراجح . ومن الغرائب ما اختص به من الحكمة حيث كان يقول : « لي معرفة بسبعين حكمة وعمري الآن ما ينيف

(ط)

على الحسين سنة ولم يسألني أحد من أهالي طرابلس عن واحدة منها .
ومن جعلتها استخراج الماء من الأرض حتى يصعد إلى قمته بغير مشقة . قلت
ذلك من بدائع الحكم ونتائج الفكر . ولا شك أن الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها
الإنسان . وكذلك يخترعها بقدر مدلولات العقل ومراتبه . وكان له التقدم في حسن
الخط ، وقد افرده فيه بطريقة اخترعها لم يكن أحسن منها قط في أنواع الخطوط
المعروفة .

وقد كان شاعراً بليغاً حسن الطريقة في شعره . ومن شعره قصيدة يستمجد
فيها ملك القسطنطينية إذ ذاك على الفرنسيين الذين هاجموا طرابلس في سنة
١٧٤٠ منها قوله :

يا واحداً ما في البسيطة مثله ملك الملوك بتاجه المتكامل
فاسم قصبة من أنك بحرقه خذ ثاره من كل خصم مطل
أو ما يفيظك حال قلمتك التي فازت بفتحك في الزمان الأول
ياسيدي فالنظر لحلة ضعفنا من شيمة الاختيار الا تبنتلي

انا لارجو منك أخذ النار من تسبب الفرنسيين اللثم الارذل (١)
إلى آخر القصيدة وهي طويلة جداً .

وله قصيدة جواباً عن سؤال أرسل إلى طرابلس من جزيرة جربة (٢) ، وله
القصيدة التي أنشأها في مدح طرابلس الغرب رداً لها على المغربي التي هجأها وقد
شرحها شرحاً جليلاً الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون رحمه الله تعالى اه كلامه

(١) من ضمن القصيدة هذا البيت :

في يوم عيد المسلمين ونحرم من قمين مرصه لم يدخل
علم ارامين بعث طحيرة احمد من عندما هـ والتم كمن

قال الاستاذ احمد الفقيه حسن : ومنها يستخرج ، الشيخ احمد بن محمد
ثاني عشر للهجرة احداً من قوله التتم

(٢) ذكر الاستاذ احمد الباقى ما عدا ما ذكره

(١)

مَقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير داع الى الهدى
وبهاد الى الحق وعلى من أرشد أمته ونصر ملته

أما بعد فهذه مقدمة أقدمها بين يدي تاريخ ابن غلبون ذكرت فيها شيئا عن
صر ابلس قبل الفتح الاسلامي ، وملخصا عما تداولتها من دول وما مر عليها من
أطوار مختلفة من لدن الفتح الاسلامي الى زمن حكم اسرة القرمطلي
طربلس - ويقال لها « طرابلس » و « طرابلس » وأطرابلس - مدينة

قديمة . أزرية كانت تسمى « أوأيات » وهو لفظ يظهر أنه بربري ، وحرفه الرومان
في « آ » ومعناه بالاعريقية والرومية ثلاث مدن وقد تغير اسمها في زمن لا يمكن
لتعيينه فصارت طرابلس والثلاث مدن هي « أوأ » طرابلس الآن عاصمة القطر ،
و « سيرت » و « لبيدس » وسبراتا تسمى الآن : صيرة ، وزواغة . وليبدس ،
تسمى الآن : ابدة وقد أطلق لفظ طرابلس على كل القطر من حدود مصر
شرفا ، الى حدود تونس غربا . وسمها اليونان « ترابليطة »

وقد كانت من مستعمرات قرطاجنة ومحط السفن من سنة ٨٤٦ ق م أو
٨٤٠ ق م - وهو زمن تأسيس قرطاجنة - الى ان استولى الرومان على قرطاجنة سنة
١٤٦ . واستولت على جميع أملاك قرطاجنة فأصبحت تابعة للرومان ومحط
السفن أيضا الى سنة ٤٣٥ وفي هذا التاريخ فتح جنسريك ملك الوندال قرطاجنة
واستولى على كل مستعمرات الرومان وصارت طرابلس تابعة للوندال الى

سنة ٥٣٣ م . وفي هذا التاريخ احتل القائد الروماني بيليساريوس قرطاجنة واسترد جميع البلاد التي كانت تابعة لوندال وصارت طرابلس تابعة للرومان^(١) الى أن نشرفت افريقية بالفتح الاسلامي

وقد دخل جيش المسلمين افريقية فأحيا في زمن سيدنا عمر بن الخطاب وافتتح برقة سنة ٢١ ومنها توجه عقبة بن نافع الى زويلة فافتتحها سنة ٢٢ . وتوجه بسر بن ارطاة الى ودان ففتحها سنة ٢٣ . وسار عمرو بن العاص بعد فتح برقة الى طرابلس ففتحها سنة ٢٢ وسار الى مدينة سَبْرْتُ^(٢) ففتحها عنوة . وسار الى مدينة نفوسة وهي « شروس » ففتحها ، ولما فتح عمرو بن العاص طرابلس كتب الى سيدنا عمر يستأذنه في التوغل في افريقية كتابا نصه :

« ان الله قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين افريقية الا تسعة أيام فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل »
فكتب اليه سيدنا عمر :

« لا ، انها ليست ن افريقية ، ولكنها المفرقة ، غادرة مغدورها ، لا يغزوها أحد ما بقيت » فرجع عمرو بن العاص الى المشرق وكانت افريقية كما غادرها الفاتحون الى المشرق ارتدت عن الاسلام .

وفي خلافة سيدنا عثمان بعث اليها عبد الله بن أبي سرح سنة ٢٦ في جيش يبلغ ١٠ آلاف مقاتل فوقعوا بجيش الروم في أطرابلس ولم يقسروا على التوغل في افريقية ، فاستأذن ابن أبي سرح سيدنا عثمان واستمدته فاستشار سيدنا عثمان الصحابة فاذنوا بذلك ، فجهز الجيوش من المدينة وفيهم جمع من الصحابة فدخلوا افريقية وقتلوا جرجير ملك سبيطلة وكان يملك ما بين طرابلس وطنجة . وكانت طرابلس تابعة لعمال الخلفاء على افريقية الى أن تولت افريقية دولة بني الأغلِب سنة ١٨٤ فأصبحت تابعة لهم الى سنة ٢٩٦

وفي أيام حكم الأغالة انتمض أهالي طرابلس سنة ١٨٩ واستقلوا بأنفسهم .

(١) كانت ن عا العا تابعة لرومان المشرق . - ١١٠٠ -

(ب)

الى سنة ١٩٦ فاستردها أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب ورجعت الى
حكم الأغالبة

وفي سنة ٢٦٥ أراد العباس بن أحمد بن طولون أخذ افريقية فهض اليها
من مصر في جيش عظيم فانك برقة من ابن موهب قائد الاغالبة ثم ملك ليد
وقال الايبات التي ذكرناها في صفحة ٩ وتقدم الى طرابلس وكان بها أحمد
ابن قهر ب عامل الأغالبة وحاصرها ٤٣ يوماً ثم هزم شر هزيمة وعاد الى مصر
سنة ٢٦٧

واستمرت طرابلس تابعة للأغالبة بتونس الى أن انقرضت دولتهم سنة
٢٩٦. وفي هذا التاريخ ظهرت دولة العبيديين (الفاطميين) فصارت تابعة لهم
الى سنة ٥١٥

ولما انتقل المعز لدين الله من افريقية الى مصر سنة ٣٦١ استخلف على افريقية
يوسف بلكين بن زيري ، واستعمل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكنتامي
فطلب يوسف بلكين من المعز سنة ٣٦٧ أن يضم اليه طرابلس فأجابته الى ذلك
ولما اختل نظام الحكومة الصنهاجية في افريقية واجتاحت العرب جيوش ابن
باديس وكثر الهرج وتعلبت النصارى على أكثر سواحل افريقية استقل أهل طرابلس
بأنفسهم ومنعوا المغارم والجباية عن المهديّة ، وقام بأمرهم بنو مطروح خير قيام
وذلك سنة ٥١٥ وفي سنة ٥٤١ استولى رجار صاحب صقلية « سيبالية » على
طرابلس عنوة وسبي النساء وأخذ الأموال وولى عليها من أهلها رافع
ابن مطروح بعد أن اخذ رهائنه . وهذه أول مرة استولى عليها الافرنج
بعد الفتح الاسلامي

وفي سنة ٥٥٣^(١) دار أهلها على الافرنج أهل صقلية وأخرجهم منها

(بج)

واستقل بها رافع بن مطروح الى سنة ٥٥٥ فسُخِطت تحت دولة الموحدين وبيع رافع بن مطروح عبد المؤمن بن علي وأقره علي ولايتها واحتلها قراش سنة ٥٦٨ وكثرت فيها الفتن وتعاقبت عليها أيدي قراش وابن غانية

ودخلت طرابلس تحت حكم الحفصيين سنة ٦٠٣ . وفي أول أمرهم أغار ابن غانية على طرابلس فانتصر عليه عبد الواحد الحفصي سنة ٦٠٤ وبقيت تحت حكم الحفصيين الى أن استقل بها يوسف بن طاهر البربوعي سنة ٦٨٤

وفي سنة ٧٥٠ استقل بها ثابت بن محمد بن ثابت ، وفي أيامه سنة ٧٥٥ احتلها الجنويون عنوة^(١) وهذه هي المرة الثانية التي احتل فيها الافرنج طرابلس بعد الفتح الاسلامي ، ولم تزل في تقلبات وثورات فلا تحمد فتنة حتى تقوم أخرى الى سنة ٨٩٣ فاستراحت البلاد واستتب الأمن وارتدى الناس ثوب السلم وامت الثروة وكثر المال حتى وصلت الى ما ذكره المؤلف في صفحة ٩٢ واستمرت في رخاء الى سنة ٩١٦ فاحتلها الاسبانيون وهذه هي المرة الثالثة التي احتل فيها الافرنج طرابلس بعد الفتح الاسلامي . والاحتلال الرابع هو الاحتلال الايطالي الذي حصل سنة ١٣٢٩ الموجود الآن .

وفي سنة ٩٢٦ ذهب وفد من أعيان طرابلس ممن انحازوا خارج السورى الى الامتانة مستغيثين بالسلطان سليمان الاول اينقذ بلادهم من ظلم الاسبانيين فأرسل معهم مراد آغا أحد ملوجه والياً على بلادهم من قبله فلم يقدر على طرد الاسبانيين من البلد الى أن جاء طرغود باشا فافتكها من الاسبانيين ، وبقي والياً بها الى أن مات شهيداً سنة ٩٧٢ ومن بعده تولى أمر البلد اليكجيرية فاقتل نظامها واستبدوا بالحكم ، ومدوا أيديهم الى ما في أيدي الناس ، وفرضوا على الاهالي من الضرائب مالا قبل لهم به وكثر ضحاياهم حتى اضطر كثير من رؤساء القبائل الى الثورة عليهم في أزمان متتالية لخصاص من ذكره الجليل

واستمرت طرابلس في اضطراب مستمر الى ان تولاها سنة ١١٢٣ أحمد باشا القرمزلى - وهو أول وال من اسرة القرمزلى - فاستطاعت هذه الاسرة أن تهدد من سلطة الثائرين ، وان ترجع الى البلاد شيئاً من الطمأنينة .
ولقد كان لمدينة طرابلس أيام حكم القرمزلية شأن يذكر في الاعمال البحرية مما اضطر كثير من دول اوربا - وفي مقدمتهم انكلترا - الى أن تعقد معها معاهدات

قال في « حقائق الاخبار عن دول البحار » هند الكلام عن محمد باشا بن احمد باشا القرمزلى : « وزاد في صناعة السفن وأكثر من المحاربات ومخرت سفنه في البحر بقوة وجسارة لم يسبق لها مثيل فاكثرت طرابلس بذلك شهرة عظيمة حتى أوقعت الرعب في قلوب رجال السفن التجارية الاوروبية ، واضطرت الدول لاسي وقتئذ في عقد معاهدات مع طرابلس ودفع نفود سنوية لولاتها لتأمين بذلك على تجارتها . وأول من تقدم من الدول دولة انكلترا فعقدت مع محمد باشا المذكور معاهدة بدون استشارة الدولة العثمانية سنة ١١٦٤ تحتوي على ٢٨ مادة ، منها : « وعلى كل سفينة انكليزية ان تظهر ورقة الباسبور عند ما تقابل سفن طرابلس » الخ اهـ

وفي سنة ١١٧١ عقدت معاهدة بينها وبين جمهورية البنادقة من مواعدها ابطال الحرب بين الطرفين ومنع تمدي سفن طرابلس على سفن الجمهورية .

وفي زمن يوسف باشا صادف اسطول طرابلس سفنًا لدولة السويد فخاربها وأسر منها سبع سفن ، فتوسط « بوتابرت » وهو بمصر وخلص الامرى وترك السفن ليوسف باشا وأعاد لطارابلس المبلغ الذي كان مرتباً لها من حكومة السويد

(٤)

وعدت معاهدة بين طرابلس وبين الولايات المتحدة سنة ١٢٢٠ (١) ومعاهدة بينها وبين جمهورية طوسكانة سنة ١٢٣٦ ومعاهدة بينها وبين مملكة نابلي سنة ١٢٤٢ وغيرها من أمم جنوب أوروبا وكل هذه المعاهدات لم يتجاوز غنمها جيوب الولاية وخزائنهم اما غرمها فعلى الامة الطرابلسية

وقد استمر حكم الترك في طرابلس ٤٠٣ سنوات لم يفتشوا فيها من المدارس ما يكفي لحاجة أهلها ، ولم يفتشوا فيها سكاكاً حديدية ولا بريداً منظماً . وقد كان عهد الترك في طرابلس على طولته لا يمت إلى العلم بصلة ولا إلى العمران بسبب . وقد خرجوا من بلادنا كما دخلوا ، وتركوا لنا نحصده ما زرعوها لنا . ولهم عند الله جزاء ما كانوا يصنعون

الظاهر أحمد الزاوي



(١) في هذه المسئلة تقريرا احتلت الولايات المتحدة درهماً نظراً صفحة ٩٢٨ وهدفت سر سلس و١٠٠٠ لاء.
ل المعاهدة

التَّوَكُّلُ

فِيمَنْ مَلَكَ طَرَابِيسُ وَمَا كُنْكَانَ بِهَا مِنْ الْأَخْبَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن حليل علبون رحمه الله وتفعنا به .
نحمدك يا من قصيت أرا لا يكون غير مرادك ، وشهد الكون أجمعه نطقاً
ودلالة بانفرادك ، وبعثت سيد ولد آدم ، حجة لعادك ، وقصصت عليه نهأ
لمضين من أهل طاعتك وعبادك ، وخاطبتهم ان في ذلك موعظة وتذميتاً لمؤادك .
ونصي عليه وعلى آله وسلمير ما عصاك وكفر به أهل اعداك

، بعد من التصيد الذي أنشد . الفاضل الأديب الخبير اللبيب سيدي أحمد
بن عبد لذائم لأصاري في مدح طر ناس معرسة آفيه ، هاجما " ، وهو -
والصريح بمدح فيه حملاً - يحتاج إلى مفصل يد حزقيبات أحسن ، ومأمراً
من حرص جمعها على حدة من ، حين ، وإنما ذكرت مشتتة في اصعب
وإلهوس فقد آوري بجمعها من دمه في سعوده ، وحرس حياه الدين

والصريح بمدح فيه حملاً - يحتاج إلى مفصل يد حزقيبات أحسن ، ومأمراً
من حرص جمعها على حدة من ، حين ، وإنما ذكرت مشتتة في اصعب
وإلهوس فقد آوري بجمعها من دمه في سعوده ، وحرس حياه الدين

والمكرمات وجوده ، ظل الله في بريته ، وخليفته في خليقته ، رافع منار الشريعة النبوية ، ناصب رايات العلوم الدينية . ذو المقام العالي ، وكوكب المجد المنير المتلالي ، الجامع لأصناف المفاخر والمعالى ، الماصر لدين الاسلام ، القائم بسيفه هبذة الصليب والأصنام ، الناشر لألوية العدل والانصاف ، الماحي آثار كل الجور والاعتساف من متع الله به ائخاص والعام ، وأكثر منه للفقراء الجود والانعاس . السند الأعظم والمقام الأهم . كامل الملكة الطرابلسية ، وأكرم من حققت عليه الألوية العثمانية أحمد بن يوسف بن محمود بن مصطفى ، يسر الله له من استمرار العزة والدولة ما يشاء ، فشرهماً منه تقديري ، واستدامة لمادته الحسى في استحسان أمرى . واظهاراً لحبيل رأه الذى مارلت أعتدّه ظهيراً على نوائب دهرى فامتثلت أمره العالى بيماً بركانه ، وتلقياً للتجج باقتناء مراسمه من جميع جهاته . وانتصت لذكر ما حصرتني من أحبارها مما ربه يت أو ساهدت من آثاره سالكاً فيه سبيل الاحتصار ، وحرماً التوفيق والمعونة من القادر الفخار . وحملته حمة أسدة بانه اتقى هي ممول احاء الآمال . ملتم شفاء الأكارب والأفيس^(١) . لا رلت ملاد^(٢) باب العصاره شخط سال الأفاضل ، أعلماً لغزى مراب ، وبعاد^(٣) لكل محتصد مهور بجا اتقى كرهه صلى الله عليه وسلم .

ترجمته في بيت

قل رحمه لا تعلم

بأمرى أما فاحاه كمدن لهم ندره ه ما ك د ت

أ أن سدى سمدنا كرهه سم قس كفس

تد بجا كرهه كرهه كرهه

العامة كذا في القاموس . وخصها عرف اللغة بالعامة الموجبة لعدم قيام الانسان والمراد بها هنا آفة الجهل على زعم الناظم لحدوده من لا يستحق هجوا . والاقتناص : الاصطيد ، من قنصه يقنصه اذا صاده . والمها اسم جنس جمعي واحده مهاة ، وهي البقرة الوحشية ، شبه بها لطيف الوصف الذي لا يدرك الا بدقيق الفهم . الجارح : خصه العرف بما يصطاد به من حيوان طيرا كان أو كلبا . والأسد جمع أسد ، وهو الحيوان المفترس ، والمراد هنا العهم الذكي شبه به من حيث الحماية ، فكأن الأسد يجمي ما يجماه ، كذلك الفهم الذكي . والقيض القشرة الياسة على البيض . كذا في القاموس ، مبيضا صفة له مخصصة اذ منه ما ليس كذلك . والمزبلة بصر الباء وفتحها : ملهى الزبل وموضعه وهو معروف . والحى بكسر الحاء المهملة وفتح الميم والقصر : هو المكان الذي يمنع دعيه ليتوفر فيه السكلا فرعاه مواش مخصصة وجمع غيرها عنه ، والسكلا بالهمز من غير مد هو المرعى رطبا كان أو يابسا والسكلا بالقصر من غير همز : النبات الرطب قال في المشاء : وضيقه السمرقندي والمدري برة بالمد وهو خطأ . قال الحافظ ابن حجر : من مده فقد أخطأ . والحشيش هو العشب اليابس . وظاهر كلام القاموس أن الحى يجور فيه المد ، ولم يحك في المشارق فيه الا القصر فأحى بمعنى الحى : مصدر بمعنى المفعول ، وهو خلاف المباح ، تثنيته حيان . وحكى الكسائي في ثنيتها ، حوان بالواو والصواب الأول لأنه يأتي

وأصل الحى عند العرب أن الرئيس منهم كان اذا نزل منزلا مخصبا استعوى كلبا على مكان عال حيث انتهى صوته حمه من كل جانب فلا يرعى فيه غيره ، ويرعى عومع غيره فيما سواه . هذا معناه لغة . وأما شرعا فهو حماية الامام موضعا لا يعنى التصديق على الناس للحدثة العامة الى ذلك للخيل التي يحمل عليها الناس للفرز ولما تشبه الصدقة . كد عرفه الباجي ، نقل ذلك ابن عرفة

والاصل في اباحة الحى مارواه الامام البخاري في صحيحه في كتاب الشرب
عن يحيى بن بكير ، قال : حدثنا الليث عن بونس عن ابن شهاب عن
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصعب بن
جشامة رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال « لا حى الا لله ورسوله » .
قال وبلغنا أن النبي ﷺ حى البقيع وأن عمر حى الشرف والربذة

والشرب بكسر الشين المعجمة : الحكم في قسمة الماء ^(١) وضبطه الاصمعي
بالضم . قال ابن حجر : والصواب الاول . والبقيع بالوحدة : موضع فيه أروم
للشجر من ضروب شتى ، وبه يسمى بقيع الفرقد ^(٢) وهو بالوحدة كذا ذكره
الجوهري في حرف الباء ، ونحوه في مختصر العين ، ومثله لابن سيده . والفرقد ^(٣)
شجره شوك كان ينبت هنالك فذهب وتبقى الاسم لازماً للموضع
وقال عياض في المشارق في آخر الموحدة لما ذكر اسماء المواضع : بقيع الفرقد ^(٤)
التي فيه مقبرة المدينة سمي بذلك لشجرات غرقد - وهو العوسج - كانت فيه ،
وكذلك بقيع الطحان

والشرف بفتح المعجمة والراء بعدها في المشهور . وذكر عياض أنه عند
البخاري بفتح المهملة وكسر الراء قال في موطن مالك رحمه الله : ابن وهب بفتح
المعجمة والراء ، وكذا رواه بعض رواة البخاري أو صلح وهو الصواب .
ثم سرت في موضع بقرب مكة ولا يدخله لاتف . اللام
والربذة بالراء المهملة المفتوحة وبعدها ياء موحدة مفتوحة بعدها ذن معجمة
قال ابن حجر في فتح الباري : موضع معروف بين مكة والطائف . وقال زركشي
في كتاب العلم من حديثه البخاري : موضع على ثلاث مرحلتين من المدينة
والصعب ضد السهل وعلى ووزنه . وجشامة : بجمع وهو من معدة

كنا ضبطه النووي أول كتاب الحج من شرح مسلم اه ومعنى الابيات يتن . قال
 ﴿ آى أهله يهوى وبشر أنه يريفة من ظلماتها ومهاتها ﴾
 ﴿ ألا بها التحريرمة عن مذمة فها في الأواني بان من قطراتها ﴾
 أهل الرجل عشيرته وذوو قرياه ، والهوى من معانيه أن يقبل بالشيء مرة
 ويدبره أخرى ، والعرف خصه بالإشارة بالشيء ، يؤنى بالمصدر من لفظه للاعلام
 بها . والبشارة الفرخ ، ومنه أبشر بكذا فرح به . والريق بالكسر : حبل فيه عدة
 عرى يشد به البهائم ، كل عروة رفة ، بالكسر والفتح جمعه ربق كهنب ،
 وأربق كأصحاب ، ورباق كحبال . وريقه يريقه : جعل رأسه في الريقة ، وفي
 الامر : أوفعه في فارتبق . والريق ويكسر : الشد . والريقة كسفينة : البهيمة
 المربوطة في الريقة . والظبي معروف . وقال في مختصر العين في باب الضاد في
 الثلاثي المعتل : الضي ضرب من دواب البر على خلقة الكلب . قال ولست على
 يقين منه . والمهاة واحدة لها ، وقد تقسم . والنحر بر بالكسر فيهما ، قال في
 القاموس : الحافق الماهر المعتل الجرب المتقن الفطن المصير بكل شيء لأنه
 ينح العله تحرا

(غريبة) قدم على حضرة أمير المؤمنين أحمد باتا رجل منتسب للطلب
 متعلق بالفتوى بهاب من توقيعاً يتضمن زيادة احترامه وتوقيره فأمر - أيده الله
 تعالى - جل كتبه أن يكتب أن توقيعاً ذلك على عادته في مجاهرة من انتسب الى
 الدين ، فكاتبه منه :

« هذا كتاب أمير المؤمنين أيده الله به حامله العلم العلامة النحر بر ، فلا
 يؤذن من ينف عليه زيادة احترامه وتعظيمه » -

فما تداول الكتاب ، فإ « النحر بر » كاد أن يخرج من عقه حنقا ، وراجع
 بعض النبلاء وانتسكى من الكتاب والامير ، تلف على غضبها حقه فبين له

معناها فلم يقبله وحملها على ما يؤدي اليه ريك فهمه من خلاف الصواب في ألفاظ اللغة ، وتوهم لبدائوته أنه وصفه ببيع الحرب لاتفاق الأتقيين في أكثر الحروف ادراجا له في وصف أهل الذمة لمشاهدته أن غالب سوقتهم يتعاطون بيعه في البلد دون أهلها . والكاتب مخطيء في الحقيقة اذ وصف الرجل بما لم يقم به معناه خطأ ، ولكن له أجر من اجتهده فأخطأ

به : اسم فعل [بمعنى] ا كفف كذا في القاموس . والمذمة مفعلة من الذم ضد المدح . قال في القاموس : ذمه ذما ومذمة فهو مذموم ، وذميم ، وذم ويكسر ضد مدح . واليك النظر في سبك الأبيات :

قال رحمه الله تعالى :

طرابلس لا تقبل الدّم انما لها حسنات جاوزت سيئاتها

[طرابلس] لفظ رومي معناه ثلاث مدن . كذا ذكر صاحب القاموس .

قال بعضهم وهو الأشهر . وهو بفتح الطاء وضم اللام والباء ، وعلى ذلك درج أحمد بن حسين بن محمد بن متأخري ادبائها . فقال أياها هجرته عنها بالجامع الأزهر :

طرابلس القرأ ترى لي عودة	اليك وهل يدنو الذي كان قد ذهب
سقى لطائب الشرقي منك سحابة	ولا زال فيها من رياح الصبا مهب
بلادك هب بالخلد تشبه آية	فهي نبات الزعفران دفعا العذب
رى سوادها من نضرة قادا اكتست	شمس لصحرا أضحت أحببت لها ذهب
وفي كل جوب حرّ لها حلة حلت	برويتها خضراء من سدرس القصب
وفيهما نخيل باسنت اذا الصبا	ترب عليها أسفلت يانع رطب
وفيه من الأشجار ما جل وصفه	وردق الورق نخدت من لطف
وفي ثمة لها ظفر الرضاب وعينها أ	انور سميت من وصية آية مدح

فيا حبذا فُقرَّ له النصرُ خادمٌ
 أمثل شوقاً شكلاً في ضمائري
 بديعةٌ حُسنُ زادها الله بهجة
 لقد أمجرت أوصافها كلَّ معرب
 ولكن قصارى مُطنب القولِ أنها
 وفاهيك بالبرّ الجديد وسره
 فلا تلحني ان أرقّ البينُ قلتي
 فان من الايمان - والنصُّ شاهدٌ -
 وكيف بدار قد حوت كلَّ رُففة
 ومن فضله بجرّ طويل ووافر
 هو الوالدُ الأصمى فلا زال كاسمه
 امام من الاحسانِ أحياناً ما تراء
 فيا قاتق الاصباح والحب والنوى
 مقتك أيا ربع الأعبة ديمة
 فيالك من ربع اذا ما ذكرته

وذكر البكري وغيره أنها بزيادة ألف قبل الطاء، وسكون الطاء، وكذا

هو بخط الأجدابي . وعلى ذلك قول أحمد بن يحيى من قدماء شعرائها :

لقد طال شوقي الى فتية حسان الوجوه بأطراً بلّس
 وقد عيل صبري فإ مسعدي على الشوق الأذموعي البجس

قال التيجاني : واختار بعضهم في العربية زيادة الألف ، وفي الشامية اسقاطها
 وعكس صاحب القاموس فجعل الحمزة للشامية ، وقد سكن بعضهم لامها للضرورة
 وهو الكاتب أبو الحسن علي بن أبي بكر بن بلال استناداً لما تقرّر في اللغة من

تغيير الأسماء الأعجمية للضرورة ، فقال مخبراً عن نفسه حين قدمها متوجهاً
للحج فصرفه الدهر في بعض خدمها - يصف اشتياقه ويطلب التخلص مما عاقه :
رَسَى فَرَسِي فِي سَيْرِهِ وَلَوْ أَنَّهُ خَلِي مِنَ الْأَوْزَارِ سَارَ وَلَمْ يَرَسْ
سَمَى سَمَى طَلْحَ لِأَبْعَدِ غَايَةَ فَكَانَتْ لَهُ دَارَ الْأَتَامِ طَرَابُلُسُ
والمدن الثلاثة التي جعل هذا اللفظ علماً عليها : لبد ،^(١) وطرابلس ، وصبره
ثم غلب على المدينة المعروفة الآن التي بساحل البحر الغربي بين لبد و صبرة
وهي بلدة أنيقة حسنة الجو ، أعطى ساكنها الشجاعة وقوة العزم ، لا كثر
أهلها شبه بالصحابة ، فقد اشربت قلوب الكفرة منهم مهابة . وبالجملة فهو بلد
أنيق المنظر فسيح الساحة^(٢) ، فلذا يجد القلب فيه راحة . أهلها أمطر الله سبحانه
الرفقة عليهم ، فتراهم يحبون من هاجر اليهم . زادها حسناً بلد المشية الذي استوفى
المحاسن وأشعر بها وذكّر بمنظره الأنضرجنة الخلد واستبرقها^(٣) أحديق بها [البحر]
من جهتي شرقها والغرب^(٤) فهي نازلة من البحر منزلة اللب والقلب . جمع من
أنواع الفواكه ما يعجز عن حصره ، وتستلذ المشاعر عند رؤيته أو ذكره .
قطوف عرصاتها دانية ، جنة إلا أنها قانية

(١) قال في معجم البلدان (لبد) مدينة بين برقة وقرية . وهو حصن من بنيان الاول بالحجر
والآجر وحوله آثار عجيبة ، يسكن هذا الحصن قوم من اعراب يجارون كل من حارمهم ولا يعطون طاعة
لاحد . كانت به وقعة بين ابي العباس احمد بن طولون واهل امريقية . فقال ابو العباس يذكر ذلك :

ان كنت سائلة عني وعن خيري قها أنا للبت والحصامة النصير
من ال طولون املي ان سألت فإ فوق لفتخر بالجوود منتخر
لو كنت شاهدة كرى بلباء إذ بالسيف انزوب والهامات بتدر
إذا امسايت مني ما تساخرو عني الاحاديث والانياس والحير

(٢) يوجد بالأصل بعد قوله : الساحة كله . جمع ، وكلمه بعدها غير مفهومة ، ونقطة ، ر وجر ، وهذه
شكاهت لامعى ما . فخذناها ونهنا غايها هنا

(٣) كانت بالأصل : واذا كر ينظرها الانظار . وورقه الاصل جنة لبد الخ . ر . وجر .

(٤) يبايض بالأصل اسم السكة

وهي أول بلد فتح صنوة بأرض المغرب بعد صلح « انطابلس » وهي برقة ،
 صالح أهلها عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد أن قدم عليهم بعد فراغه من فتح
 الاسكندرية . صالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار فرعونى يؤدونها كل سنة
 على أن يبيعوا في جزيتهم من أولادهم
 وكان يسكن برقة من البربر لواتة ، وكانت أرض البربر فلسطين

سبب دخول البربر

برقة وأرض المغرب

وسبب انتقالهم منها الى برقة وأرض المغرب — على ما ذكره المؤرخون —
 أن بني اسرائيل لما قتلهم بخت نصر البابلي وأخرب بيت المقدس واستولى على
 خزائنه والتابوت الذي فيه عصا موسى والسكينة وعمامة هارون ، وقد كانوا
 يقدمونه أمامهم في الحروب فينصرون — ضعف أمرهم عن القتال وقويت عليهم
 شهرة البربر ، فلم يزل أمر بني اسرائيل في ادبار ، وأمر البربر في اقبال حتى تنبأ
 اشعويل عليه السلام فأقاه بنو اسرائيل وسألوه : هل ربك يبعث لنا ملكا
 يقاتل في سبيل الله ، فسأل فأوحى الله اليه إني منزل عليك عصاً وقرناً فيه دهن
 القدس ، فضع العصا والقرن حولك فاذا دخل عليك رجل منهم وغلى دهن القدس
 فقسه بالعصا فإن طابقتها فذلك ملككم الذي يفتح لهم على يديه ، فصار أهل بيت
 الملك يدخلون عليه فلم يفلحوا للدخول أحدهم ، فلما دخل طالوت ، ولم يكن من
 بيت الملك ، وإنما كان سقاء ضل به حمار فخرج في طلبه ، فلما مر ببيت اشعويل
 عليه السلام قال لمن معه : ألا ندخل بيت هذا الرجل الصالح لعل بركته نجد
 ضالتنا ، فدخلا فغلى دهن القدس فقامه بالعصا فطابقتها فقال : ان هذا ملككم

ألقي يفتح على يديه . فكان من جوابهم ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله : « قالوا
 أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال » قال ان
 الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله
 واسعٌ عليم » و « ان آية ملكه أن ياتيك التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيته مما
 ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين »
 وكان التابوت قد استولى عليه ، فلما حل بين أظهرهم تشاءموا ببقائه ، فأخرجوه
 من بين أظهرهم الى قرية أخرى فأصبح أهلها موتى أكلت القارة أقتدتهم فأخرجوه
 ودفنوه بفلاة من الارض ، فصار ككل من بال متوجهاً نحوه أصابه الحصر ،
 فأخرجوه وجعلوه في آلة يحملها ثوران وضربوها فأخذته الملائكة حتى أتت بها
 بيت المقدس بلد أشمويل عليه السلام فلما شاهدوا ذلك أذعنوا الملكة وملكوه
 عليهم وأمرهم بالتأهب لقتال البربر فتأهب معه لقتالهم من بني اسرائيل ثلاثون
 ألف شاب وخرجوا لذلك فأوحى الله سبحانه الى أشمويل عليه السلام : اني
 مبتليهم ، فابتلاهم بنهر ماء بعد قيظهم ، ونهاهم عن الشرب منه فشربوا منه إلا
 قليلاً منهم فلم يجازوه معه إلا أربعة آلاف ، منهم ايشأبو داود عليه السلام ، وكان
 له أربعة عشر ولداً أصغرهم داود عليه السلام

فلما التقى الجمعان : جمع البربر وعليهم جالوت ، وجمع بني اسرائيل وملكهم
 طالوت أوحى الله سبحانه الى أشمويل عليه السلام : أن هلاك جالوت على يد ولد
 من أولاد ايشأ ، فأمر طالوت باحضار أولاده فأحضرهم إلا داود لصغره ، فقال
 أشمويل عليه السلام لم يكن بينهم من هلكه على يديه ، واستثنى ألك خيرهم ؟
 قال ولد صغير ، فأمر باحضاره ، فلما أحضر قال هو هذا ، فأمر له طالوت بفرس
 وسلاح ، فنقل داود السلاح وركب ، فلما استوى عليها نزل ورمى بالسلاح ،
 وأخذ آلة يرمى بها الحجر ، فرمى بالحجارة الانبياء فصاحت به فأخذها ، حتى رمى بها
 موسى فصاح به أنا حجر موسى فأخذته ووضعها في لآنة يقذف به جالوت

فأصابته فأهلكته

واستولى طالوت على عسكره وأمواله . ثم أفضى الملك لداود عليه السلام
واستولى على أرض فلسطين ولما استولى عليها وتقبأ أوحى الله سبحانه إليه : يا داود
أن اخرج البربر من أرضك فانهم حيث الأرض فأخرجهم من فلسطين وبث
بهم من قطع بهم النيل متوجّهين الى أرض المغرب

قال ابن عبد الحكم : كان البربر بفلسطين في زمن داود عليه السلام فخرجوا
منها متوجّهين نحو أرض المغرب حتى انتهوا الى لوبية ومراقية ، وهما قريتان من
قرى مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ولا ينالها النيل فتفرقوا هناك ،
فتقدّمت زناتة مقبلة الى المغرب وسكنوا الجبال ، وتقدّمت لواته وسكنت
انطابلس ، وهي برقة ، وتفرقت في المغرب ، وانتشروا حتى بلغوا السوس .
ونزلت هواردة مدينة لبدة^(١) ، ونزلت نفوسه مدينة صبرة ، وجلا من كان بها
من الروم من أجل ذلك . وأقام الافارق - وكانوا خدما للروم - على صلح
يؤدونه لمن غلب على بلادهم . وهم بنو فارق بن بيط بن حام ، فلم يزل كل
بأرضه الى أن افتتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية

(١) قال في المشهل المدب : ومن يعلون هواره : معرا ، وزمور ، وكاباو ، وفساطلو ، ومعدان ، ونابوه ،
ومدبه ، وغرخن ، وسلا ، وزهونة ، وتاورنا ، وركارة ، وسيلين اه - قلت وهذه البطون لا أثر لها اليوم
بعوار لبدة ، اللهم الا لما كتبهم التي كانوا يسكنونها قبل تغلب العرب عليهم فهي لا يزال اكثرها خيا حوالى
لبده ، ويرف هذه الاجزاء الى اليوم وهي قرية منها مما يدل على انها كانت قرية تابعة لهذه المدينة العظيمة
وهي تقع شرق مدينة طرابلس على مسافة خمسين ميلا ، قد اسسها الميثقيون في زمن غير معلوم ، والاثار
التقدية فيها ثلاث لغات : اليونانية ، واللاتينية ، والاميتيقية ، وترى اعمدة الرخام واقفة في وسط البحر ،
وقار اللد - منتشرة على مسافت كبيرة جدا ، مما يدل على ان كل هذه المسافات كانت تشغلها تلك المدينة البائدة
وقد جلب اليها من غير كده - ولا زال يعرف بهذا الاسم الى اليوم - وقد حريتها قبيلة لبدة من البربر
سنة ٣٧٠ م . وقيل خربها قوم التوندال لما طردهم الروم من اراضي الاندلس . اه ملخصا منه

فتح برقة^(١)

فسار عمرو بن العاص في أنجيل حتى قسم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أولادهم في جزيتهم ولم يكن يدخل برقة يومئذ جاني خراج ، إنما كانوا يعيشون بها إذا جاء وقتها . ووجه عمرو بن العاص عقبه بن نافع حتى بلغ زويلة . قال الطبري : فافتتحها بصلح وصار ما بين زويلة وبرقة سلماً للإسلام

وقال أبو العالية الحضرمي سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول : « لاهل الطابلس عهد موقى لهم به »

(١) تبثى من نهاية خليج سرت بمكان يقال له المقطاع بموارعين الكبريت وتمتد شرقاً على ساحل البحر الأبيض الى مرسى السلوم ويسمى المقبة الكبيرة حيث تبثى الاراضي المعصرة وما بين هذين الموضعين هو الذي يقال له قديماً (سير يثايك) وهو بلاد برقة الحقيقية ، وتقع في الدرجة ٣١ والدرجة ٢٩ من العرض الشمالي . والمدينة العربية السماة (برقة) هي المرج ، وهي على نحو ١١٠ كيلومترات الى الجنوب والغرب من قرنة ، وعلى نحو ٢٤ كيلو متراً الى الجنوب والشرق من طليعة . وقد بنيت سنة (٥٥١) قبل التاريخ الميلادي . وفي سنة (٦٤٢ م) أظفر العرب على قرنة ونهبوها ثم احتاروا مدينة برقة (المرج) وجعلوها عاصمة البلاد وأطلقوا على بلاد قرنة اسم برقة ، ولم يسيروا لها سورا الا بعد قرنين من انارتهم . وكان مرساها البحري طليعة . وقعدت برقة الآن بنغازي ، وقد بنيت على أقاض (برنيق) القديمة ، وهي تشغل قسماً كبيراً من مكانها . وبرنيق هذه هي إحدى المدن الخمس التي كانت تسمى قديماً انطابلس (اي المدن الخمسة) وهي : برنيق وطوكرة ، والمرج ، وسوسة ، وقرنة انتهى ملخصاً من كتاب التبيان لرافت بك من (ص ٣٤٩ - ٣٦١)

اقول : وقد ذكر برنيق هذه الخمسة في معجمه فقال : برنيق : بالفتح ثم السكون وكسر الهمزة ويا ساكنة وقاف - مدينة بين الاسكندرية وبرقة على الساحل ، منها على بن البرقي الاديب كان بمصر ، وله

خط مضبوط متعارف

وقال في الكلام على برقة : انتسبها عمرو سنة ٢٤ صلحاً على ثلاثة عشر ألف دينار ، وكان عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول ما اهل منزل لرجل له عيال اسلم ولا اغزل من برقة ، ولولا أموالى ، حجاز لزلت برقة وقد نسب الى برقة جماعة من اهل العلم . منهم احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرعمة الزهرمي البرقي لم يكر مولى بنى زهرة . حدث المغازي عن عبد الملك بن هشام وكان له :

واحواء محمد وعبد الرحمن ابنا عبد الله ورواهما كتاب السيرة عن ابن هشام

حصار مدينة طرابلس

قال ابن عبد الحكم : ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل طرابلس في سنة ٢٢ قتل القبة التي على الشرف من شرفها (١) فحاصرها شهراً لا يقدر منهم على شيء — وفي أيام حصاره لها بعث الى ودان بسر بن ارطاة — فافتتحها سنة ٢٣ كذا قال البكري

قلت : ولا خلاف بينه وبين ابن عبد الحكم ، لاحتمال أن يكون الحصار أو آخر سنة اثنتين وعشرين ، والفتح في ثلاث وعشرين ، على أن ابن عبد الحكم أطلق في الفتح . قل البكري : ودان لها قلعة حصينة والمدينة دروب ، وهي مدينتان فيهما قبيلتان من العرب : سميمون وحضر ميمون ، وجامعها واحد بين الموضوعين . وبين القبيلتين تنازع وتنافس ، وعندهم قهواء وقراء وشعراء (٢) ، وأكثر عيشهم التمر ، لهم زرع قليل يسقونه من النضج

فتح طرابلس

ثم خرج رجل من بني مدج ذات يوم من عسكر عمرو متصيلاً في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة حتى أمعنوا عن العسكر ثم رجعوا فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر وكان البحر لأصفا بالمدينة ، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور . وكانت سفن الروم شاردة في مرساها الى بيوتهم . فنظر المدلي وأصحابه فإذا

(١) سار في الشبل العذب ابن سنان ، عمران بن شيبه شرفي الدبة بقره من المكان الذي فيه ضريح الشيخ الشعب الان . قلت وأهل المذهب يعني قبة الشعب
(٢) قال في المثل اء - ومن سب اليها به الحسن بن ابي اسحاق الودائري صاحب ديوان ، ذكره ابن الطماح والشداه :

من يشتم من ارباب ليسة لا فرق بين نجومها وعصاها
دارت على ذلك السوء وليس قد دره حتى ذلك من الاهاب
دان الصباح ولا آل ، وفاته تيب انك على سواء شهاب

البحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكا لها من الموضع الذي انحسر عنه البحر ، فدخلوا حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن مفرغ للروم إلا سفنهم ، وأبصر عمرو أصحابه الستة^(١) في جوف المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم ، فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم من مراكبهم ، وغنم عمرو ما كان بالمدينة وكان من بصرة متحصنين ، وهي المدينة العظمى ، وسوقها السوق القديم . فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة طرابلس وأنه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة له بهم أمنوا

فتح مدينة صبرة^(٢)

فلما ظفر عمرو بمدينة طرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير ، فصبرت خيله مدينة صبرة وهم غافلون وقد فتحو أبوابها لشرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد . واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها ، ورجعوا الى عمرو . ما لابن عبد الحكم ، وقد أطلق في خروجهم ، وذكر غيره السبب كما ذكرنا . وذكر غير ابن عبد الحكم أن المدلجي ومن معه لم يدخلوا المدينة وحدهم بل قدبوا معهم جماعة

ولما استولى عليها عمرو هدم سورها وارتمل عنها لشروس^(٣) مدينة

(١) عدم أن المدلجي خرج في سبعة نفر

(٢) (قات) هذا الاسم محرف عن اسم الرومي (سره) واسمها البربري (زواغة) تصديد أولها ، والثالث عندنا محققونها وهي تقع في الجهة الغربية من طرابلس على مسافة يوم . قال الحميري (سيرت) : كذا وجدته مضبوطا بخط من يرجع اليه في الصحة في عدة مواضع من كتاب ابن عبد الحكم . ذكر ابن عبد الحكم في كتابه أن طرابلس اسم للكورة ومدينتها (نبارة) وسورة السوق القديم ، وإن نقله الى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة ٣١١ هـ

(٣) كانت بالأصل (شروين) وهو غلط منشؤه تحريفه من التساسخ ، لأن شروين - بالواو - اسم الجبال في طبرستان كما ذكره الحميري في معجمه والقباب ما كتبه . وهو اسم مدينة قديمة في جبل نفوسة المعروف عندنا بالجبل الغربي . قال في مراد الأطلاع : شروس . أوله مثل خرو . . . أيضا غير المنهجة من أوله مدينة نفوسة في جبل نفوسة الغربية وأهلها أنصارية وهي نحو من ثلاثمائة قرية . . . وقد ذكرها صاحب معجم البلدان في الكلام على جبل نفوسة فقال . . . وفي . . . جبل نفوسة - فبطلان في مدباير صاحب شروس في وسط الجبل ، ولاخرى نقل لها . . .

نفوسة فافتتحها . قل البكري . وهي مدينة أهلة جليلة . وبين طرابلس
وشروس خمسة أيام

ولم يزل سورها ^(١) خراباً الى سنة اثنتين : ثلاثين ومائة فجدده من جهة البر
عبد الرحمن بن حبيب التغلب على افريقيا وَاخِرَ دولة بني أمية . وتأخر بناؤه
من جهة البحر الى سنة ثمانين ومائة فبني على زمن هارون الرشيد زمن ولاية
هرثمة بن أعين على افريقية من قبله ، وهو الذي بناه على يد ثقتة زكرياء ابي قادم
ثم زاد أبو الفتح زيان الصقلي متولى طرابلس سنة خمس وأربعين وثلاثمائة في
رفعه ، اتقانه من جهتي البر والبحر [وكان مولى] من جهة المنصور اسماعيل بن القائم
بأمر الله بن عبيد الله المهدي لعنه الله

ولم تزل تحت ولاية بني أمية ثم بني العباس الى أن غلب أبو عبد الله الشيعي
على أكثر بلاد افريقيا وفرّ ريادة الله بن الأغلب من رقادة ^(٢) هاربا الى
طرابلس وأقام بها أياماً ثم رجع الى رقادة وولى عليها أخاه أبا العباس وتعام بن
المبارك وانفصل الى سجلماسة ، فلحق بعبيد الله واستخرجه من سجنها ودعا له
بالتخليفة وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين ، وقده افريقية وقتل أبا عبد الله الشيعي
وأبا العباس أخاه

حصار ابي القاسم القائم بأمر الله

(مدينة طرابلس)

ولما استقامت له الامور جهز جيشاً لطرابلس مع بعض قواده فعاصرها مدة

(١) اي طرابلس

(٢) قال في المعجم : رقادة بلد كانت افريقية ، بينها وبين القيروان اربعة اميال . بناها ابراهيم بن احمد
ابن الاغلب سنة ٢٦٤ ، ووقعت بها حروب بين ابي الخطاب بن السمح القائم بدعوة الاباخية في طرابلس وبين
وكجومة فقتلهم قتلاً دبرياً . قيل وبذلك سميت رقادة لسكرة القتل فيها ، وكان تغلب عبيد الله التغلب المهدي
على رقادة وطرد بني الاغلب عنها في شهر ربيع الاول من سنة ٢٩٢ واستقر بها ملكه ا م ملخصاً مه

ثم انصرف عنها خائباً ولم يفتتحها ، فضاظ ذلك عبيد الله ، فوجه اليها ولده أبا القاسم الملقب القائم بأمر الله في جيش ، وكان ذلك في سنة ٣٥٣ م فحاصرها وضيق عليهم الى أن قتي طعامهم - وقد كانوا أسمعوه شراً ونالوا من حرصه - فسألهم في أنفسهم الا قليلا منهم ، وأخرهم ما أنفق على الجيش ، وذلك أربعمئة ألف دينار ، وولى تفرعهم وتعذيبهم خليل بن اسحاق من أبناء جندها وولدها ، وكانت له صولة وهيبة وحظ جليل من العلم ، وباع متمسك في الأدب ، واستخلف عليها القائم واليا من قبله . ثم انصرف عنها متوجها لمصر بجيوشه فلحق بها في سنة ست وثلاثمئة فأخذ الاسكندرية وأكثرت الصيد ، وكان أبوه المهدي قبل ذلك سنة احدى وثلاثمئة قصد مصر في أربعين ألفاً ليأخذها فرد خائباً ثم رجع ولم تزال طرابلس تحت ولايته وولاية ابنه المصور ثم ابنه المعز لدين الله معد الى أن أصاب مصر غلاء شديدٌ أضعفه وكان ذلك سنة ٣٥٣ بعد وفاة كافور الاخشيدى انتهى المكفي بأبي المسك ، كان عبداً حبشياً أسود اشتراه محمد الاخشيد بن طعج التركي الفرغاني المتغلب على مصر زمن الراضي العباسي ، فانه تملكها قهراً ثم وصل له التقليد من الراضي عن كره

وقد كان كافور (١) هذا تولى ملك مصر بعد وفاة ابني سيده: أبي القاسم وأبي الحسن وكانت في صفر سنة ٣٥٥ م أقيم سنتين وأربعة أشهر ، وكان يدعى له على المنابر بمصر والشام والحجاز وله مآثر حميدة ، ودفن بالقرافة . وكان خبيراً بالسياسة ، فطناً ذكياً ، جيد العقل . وكان يداري ويخدع ، فكان يهادي المعز صاحب المغرب ويظهر ميله اليه ويدعي الطاعة لبني العباس . وقد وقعت في أيامه

(١) اشتراه سيده الاخشيد بثاية عشر ديناراً . اي اهل من اثني عشر ديناراً بمصر ثم اعفاه . ان رماه ورفاه حتى جبهه من كبار فواد الجيوش ، وانهزم مواهبه وماله وحرره بسيادته حتى حصاره . مات وهو على الملك . ان من كتاب سلف الفقاهة في الشريعة الاسلامية الزمان . رابع

زلزلة فقر الناس منها فأشده بعض الشعراء :

ما زلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت من عدلكم طربا
ولما مات تولى أبو الفوارس أحمد بن علي بن الاخشيد ، وكان صغيراً لم
يحسن الأمر ، ولم يبق بمصر من يجتمع عليه القلوب بعد كافور ، وأصابهم الغلاء ،
وكانت للهمز جواسيس بمصر في أيام كافور براسلونه : « أفك ان زال الحجر الاسود
ملكك الدنيا » يبنون به كافورا . فلما مات راسلوا المعز فوجه اليهم جوهر القائد
في مائة ألف فتسلم مصر بلا قتال فلما وطئ مصر وارتفعت منها الخلافة العباسية
بني له القاهرة فخاخرة لبغداد بني العباس سنة ٣٥٨ وشرع في بناء الأزهر سنة
٣٥٩ وأتم بناءه سابع رمضان سنة ٣٦١ . ولما بلغه أعمامها انتقل اليها المعز لدين الله
محمد ، بن المنصور اسماعيل ، بن القائم بأمر الله ، بن المهدي بأمر الله عبيد الله ،
ابن الحسين بن محمد ، بن قنابس . وهو أول ملوك العبيديين . تولى خمساً
وعشرين سنة وثلاثة أشهر . وكانت ولايته سنة سبع وسبعين ومائتين ، وهو
الذي ابتنى مدينة المهديّة بأفريقية واليه تنسب . ثم تولى ابنه القائم بأمر الله أرض
المغرب وأفريقية وطرابلس اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر . ثم تولى ابنه المنصور
مملكته اثنتين وثلاثين عاماً . ثم تولى المعز المغرب وأفريقية وطرابلس ومصر
أربعاً وعشرين سنة ، وكان انتقاله لمصر سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كذا ذكر
الشيخ مرعي في تاريخه مدة تولى كل منهم . ولم أره لغيره ، ولا يصح شيء من
ذلك لمن تأمل كلامه . وذلك أنه اتفق على أن عبيد الله المهدي دعي له بالخلافة
سنة سبع وتسعين ومائتين وهو بسجلماسة ، ثم قدم أفريقية وافتكها من يد الشيعة
وفي سنة إحدى وثلاثمائة جهز لطرابلس ومصر جيشاً فرد خائباً كامر ، وحاصر
طرابلس سنة ثلاث وثلاثمائة على يد ابنه القائم بأمر الله فافتتحها ، ولحق بمصر
سنة ست وثلاثمائة ، وأخذ الاسكندرية وأكثر الصعيد ، ثم انتقضت عليه .

وقد ذكر أن مدة توليهم - غير المعز - قسح وستون سنة وعشرة أشهر منها ثلاثة تكلمة الثلاثمائة ، وبقيت سبع وستون وثلاثمائة الأشهرين ، مقتضى ذلك أن ولاية المعز كانت فيها . وقد ذكروا أن المعز انتقل الى مصر بعد أن أفضى اليه الملك سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، وأقام في الملك أربعة وعشرين عاماً ، وهو يقتضي أن ابتداء ولاية المعز كان في سنة سبع وستين ، ففي كلامه أولاً وآخرآ تناقض لا يخفى

ولما انتقل المعز سنة اثنتين وستين وثلاثمائة من دار ملكه التي هي صبرة^(١) الى مصر ، وعزم على اتخاذها دار ملكه - وكان فيها يزعمون عنده أثاره من علم الحدثنان حرف بها مصائر أحواله ، وأهل الغنية من أعيان رجاله . وكانت عنده علامة لخليفته على إفريقية إذا صار اليه الملك يأنس بها أنس الكبير بذكر تشابهه ، ويعرفها عرفان العاشق بديار أحبابه - دعى زيري بن مناد ، وهو يومئذ من صنهجة بمكان السنام من الغارب ، وبمترقة الوجدان من نفس الطالب . وكان له عشرة من الولد قتل ادع لي بليك فقد علمت رأيي فيهم وفيك ، وكان أصغرهم سنأ ، وأهونهم عليه شأنأ يوسف ، فدعا بنيه سواه . فلما أحضرهم بين يديه نظر في وجوههم فأنكرها ، حين فقد تلك العلامة فلم يرها ، فقال لزيري : هل غادرت من بليك أحداً ، فليست أرى لمن هاهنا منهم يداً ، فقال الا غلاماً ، وطفق يحقر شأنه والمقدار عناءه وأعانه ويطوي أخباره ، والاختيار يريد عليه مداره . فقال له المعز : لا أراك حتى أراه ، فليست أريد سواه . فلما رآه عرفه ، وفوض اليه من حينه واستخلفه

(١) صبرة : الفتح ثم السكون ثم راه ، المد قريب من مدينة القيروان . ونسب التصور . من ناماد ابن بلكين . سميت بالتصوير بن يوسف بن زيري بن مناد . واسم يوسف آكين الشهابي . والسور هذا هو الشهابي وأبو المعز بن باديس ، كما في ملوك هذه الأنواع . ومات المنصور هذا سنة ٣٧٦ وقد ولي ذلك البلاد ثلاث عشرة سنة وشهوراً . وقال اللطفي (مدرة) في تاريخه : « عين بن الفاضل » . في سنة ٣٧٧ واسوط . اهـ معجم

وتوجه لمصر ومعه ألف وخمسمائة حمل موسوقة ذهباً . وحمل توأبيت آباءه
 صحبته ، ودفنهم بالقاهرة بقصره ، فلا رحه الله ولا رحم آباءه . فاستولى | يوسف |
 من وقته على الامور ، وزاغت مهابته الالهواء في الصدور . وبعدت أسفاره واشتهرت
 أخباره ، واشتمل على طرفي الايام والليالي مورده واصداره ، ثم أجاب صوت
 مناديه ، وخلع الامارة على أعطاف بنيه حتى اتهمت منهم الى المعز بن باديس
 وفي أثناء امارتهم على افریقیة استولى على طرابلس بنو خزرون
 الزناتيون ، ووقعت بينهم وبين الصنهاجيين حروب كثيرة من رامها فليراجع
 تاريخ الرقيق فان فيه غرائب ووجائب

ولما استولى المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بن زيري بن مناد ،
 فأول ما افتتح به شأنه وثبت به دم سلطانه اذية الرفضة أشيام بني عبيد خفية ،
 وبلغ ذلك أبا القاسم أحمد بن علي الجرجاني وزير الظاهر بن الحاكم البيهقي
 الذي بنى بجامع عمرو بن العاص تنوراً فيه مائة ألف درهم فضة ، وبعث له من
 القصر ألفاً ومائتين وتسمين مصحفاً (١) منها ما هو مكتوب كله بالذهب فأحرقها ،
 وبنى جامع الحاكم وسماه الانور ، بين باب النصر وباب الفتوح . وهو الآن
 خراب لتأسيسه على شفا جرف هار . وكان قاضيه يكتب على السجل : « قاضي
 القضاة ، قاضي عبد الله الامام الحاكم أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آباءه
 الطاهرين ، على القاهرة المعزية ، ومصر والاسكندرية ، وأجناد الشام والرحبة
 والرقّة والمغرب وأعمالها »

قال المؤرخون : لم يلب مصر بعد فرعون شر من الحاكم . رام أن يدعي
 الالهوية ، وصار قوم جهال إذا رأوه قالوا : يا واحد يا أحد ، يا يحيى يا يميت . وأمر

(١) ذكرت هذه القصة ومدى السور في المخطوطات المصنوعة عن الكلام على جامع عمرو ولم يذكر حرقها

الرعية بالقيام له عند ذكر اسمه في الخطبة وغيره من مواضع الاجتماع . وكان كثير التلؤن لعنه الله ، مرة يأمر ببناء الكنائس ومرة يهدمها ، ويبنى المدارس وجمع فيها الفقهاء والمشايخ وقتلهم وأخرجها . وأمر بقتل الكلاب ، وحرم الملوخية ، وأغلق الأسواق نهاراً وأمر أن تفتح ليلاً . وله قبائح كثيرة

وكانت دولة بني عبيد الناجمين^(١) دولة رديئة تنسب لفاطمة الزهراء رضي الله عنها كذباً وافتراء . وغرم في ذلك نسبهم الى الحسين بن محمد بن قداح ، كان مجوسياً ، وقيل يهودياً ، فظنوا أنه الحسين بن علي رضي الله عنهما وأنما هم زنادقة مجوس أو يهود ، وعلى ذلك أكثر المؤرخين . وبهم ارتفعت الخلافة العباسية من مصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة كما ذكرنا ، وتسوا ظالماً بانطفاء وامراء المؤمنين ، وأقاموا مذاهب الرفض والشيعه وعطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء .

وفي مدتهم - لعنهم الله - ضيعوا أئمة السنة قتلاً ونفيًا ونشريدًا . وأفردهم العلماء بالتأليف ، فمنهم أبو شامة^(٢) ، أفردهم بكتاب سماه « كشف ما كان عليه بنو عبيد ، من الكفر والكنب والكيد » . وكتب بعض أجلة بغداد من العلماء فيهم أيام الحاكم كتاباً بين أنهم ليسوا من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأنما هم كفار فساق وملحدون ، وزنادقة ومبطلون ، وللإسلام جاحدون ، عطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وسفكوا الدماء ، وسبوا الأنبياء . الخ

وقال الرعي : أجمع علماء القير وان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة لما أظهروا من خلاف الشريعة . وقال أبو الحسن القاسمي من علماء القير وان :

(١) بن مؤلف دوا بن عبيد في مصر . لاحظ ان دولهم نسبت في امره سنة ١٠٠٠هـ وأول من

نسى به الامم هو المرادين انه سنة ٣٦٣ وهو الذي في مدينة القاهرة

(٢) هو الامام الحافظ أبو الدائم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد بن عمير سنة ٦٦٥هـ .

ان الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت . وإحبيذا لو كان رافضياً ، ولكنه زنديق . وقال نقي الدين ابن تيمية : بقي ولاية القاهرة نحو مائتي سنة على غير شريعة الاسلام . وكانوا يظهرون أنهم رافضة ، وهم في الباطن اسماعيلية ونصيرية وقرامطة وباطنية . وكذا قال الغزالي في كتابته في الرد عليهم : ظاهر مناهجهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض . والذي يوجد في بلاد الاسلام من الاسماعيلية ، والنصيرية والقدرية من أتباعهم . وكانوا - وهم بالقاهرة - يستوزرون مرة بموديا ومرة نصرانياً أرمنياً ، فبذلك كثرت الكنائس والديور في أرض المسلمين . وكانوا ينادون بين القصرين بمصر : من لعن الصحابة فله دينار وأردب . وكانوا من شر الخلق ، فيهم قوم زنادقة دهرية لا يؤمنون بالآخرة ، ولم يستوزر أحد منهم مسلماً على مقتضى كلام ابن تيمية الا الظاهر لاعزاز دين الله علي ولد الحاكم فانه استوزر أبو القاسم أحمد بن علي الجرجاني^(١) احد رجال الدنيا سياسة ودعاه ، وبعد غوره ونهوض فكرة

ولما بلغه اذاية المعز بن باديس أشياح بني عبيد سر بذلك ، وكان مستميلاً للمعز معرضاً بالتحزب . مع علي بن عبيد

(١) أبو القاسم علي بن أحمد من البصرة ولد في جرجان (سواد العراق) وسكن مصر فنقل في الاعمال السلطانية وكثر النظم منه في أيام الحاكم العاضمي فقص عليه في سنة ٤٠٣ هـ واطلق ثم صدر الامر بقطع يديه سنة ٤٠٤ هـ فقطعوا . واستوزره الظاهر الحاكم في سنة ٤١٨ هـ واقرب منه استنصر ولقب بالوزير الاجل الاوحد . من كتاب الاعلام للزركلي

(١)

نقض المعز به باديس عمر العبيديين

﴿ ودعوته للخليفة العباسي ببغداد ﴾

فاتتهى أمر المعز في أذية أتباعهم حتى بدأهم بالقتل وصرح بلعن بني عبيد على المنابر وأرسل [إلى] أمير المؤمنين القائم بأمر الله عبد الله ، بن القادر بالله أحمد ، ابن المقتدر بالله ، بن المعتض ، بن الموفق ، بن المتوكل على الله جعفر ، بن المعتصم بالله محمد بن المأمون عبد الله ، بن هارون الرشيد ، بن المهدي محمد ، بن أبي جعفر المنصور ، بن محمد ، بن علي ، بن عبد الله ، بن العباس ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، ببغداد. وخطب له بأرض المغرب وأفريقية ، وكتب له العهد ، وأرسل له الخلع واللقب على طريق القسطنطينية قيل وكتب المعز للجرجاني - لما كان يظن به من التحزب معه على بني عبيد - قطعة مثل فيها بقوله :

وفيك صاحبت قوما لا خلاق لهم لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

بخطه يشير بذلك لبني عبيد ، ويزعم انه إنما أبقى عليهم بعض الإبقاء من أجل حبه ، فلما وقف الجرجاني عليها قال : ألا تعجبون من هذا الأمر ؟ صبي مغربي بربري ، يحب أن يخدم شيخاً بغدادياً عربياً . واتهمه بأنه إنما فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم ان عمرو اعلى هذه الروز . فأقسم لاجبش عليه جيشاً ولا تحصل فيه نصيباً

(١) تولى المعز بن باديس على أفريقية سنة ٤٠٨ هـ وكان إنما ادوا العبيديين في مصر بحضرة فم عن مصر واضرب السكة باسمه وكان يميل إلى مذهب أهل السنة والجماعة وأصدر بكار هذا الأمر إلى سنة ٤٤٣ هـ وهو به واعتقه وحالف أتباعه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة من الذين رأوا ذلك (سن ١١٩ هـ و ١١٨٠ هـ) وهو من بني زيري الذين استقل بهم العبيديون على أفريقية حين رحلوا عن مصر - ٦٣ -

دخول العرب الى افريقية

و كان المستنصر العلوي صاحب مصر بلة، ما فعل المعز من قطع الخطبة له وخطبته للقائم بأمر الله، فكاتب المعز وتهده . فلما بلغ كتابه المعز أغلظ له في الجواب فكلف الوزير الجرجاني — على ما ذكر ابن بسام — العرب العبور اليه . وكانت بطونا من بني عامر بن صعصعة : زِعْنًا ، و بني عدى ، والاثبج^(١) ، ورياح وغيرهم تنزل بالصعيد ، لا يسمح لها بالرحيل ، ولا يتخلى بينها وبين احازة النيل ، فأفرج لهم الجرجاني على السبيل وأذن لهم في المعز : أمتية طلما سرت اليها أطعمهم ، وعلقت عليها أعمارهم وأبصارهم . فغشيه منهم ميل العرم ورماه منهم بدؤلول اتبعت الرقم^(٢) ، فتهاون المعز بهم أولاً ، فغشاهم بخدمته وأتقلهم بأعباء نعمته ، وهم في أثناء ذلك يتمرسون بحياته ويدبون الى أنصاره وحجائه ، ويطلعون على مقاتله وعوداته حتى بان لهم تنأته ، وهان عليهم سلطانه . فجأهروه بالعدوة وراودوه على الاتاوة . فأغص الجرجاني أهل افريقية بريقهم . حاجة كانت في نفسه من افساد هذه البلاد تعجل قضاءها . اهـ مالابن بسام باختصار

وقل ابن الاثير : ان الذي أقطع العرب النيل الوزير اليازوري استوزره المستنصر العلوي ولم يكن من أهل الوزارة ، وإنما كان من أهل النيابة والقلاحة ، فلم يخاطبه المعز بما كان يخاطب من خلفه . كان يخاطبهم بعبدته ، فخاطب اليازوري

(١) كانت بالاصل الاثبج وهو غلط قل ابن خلدون : ولائج من الملالين لوفر عددا واكثر بطونا وهم الذين تم لهم الغلب على صياحه . وفيه على الضواحي

(٢) اي بداهية نت باهية

قل في اللسان : والذبول البداهية واثنج الدليل . وقال في حرف الميم الرقم كسر القاف : الباهية وملا يوافق له ولا يقام به ، قال الاصمعي : جاء فلان بالرقم الرقاد كقولهم بالباهية الهجاء . قال الجوهري : برق . كسر القاف البداهية وكذلك نت الرقم

بصنيعته فمظم عليه ذلك وعاتبه فلم يرجع الى ما يحب . فأكثر الوقعة في المعز
وأغرى به المستنصر ، وشرعوا في ارسال العرب الى المغرب ، فأصلحوا بين بني
زعب ورياح وكانت بينهم حروب وأحقاد ، وأعطوهم مالا وأمروهم بقصد بلاد
القيران وملكوهم كل ما يفتحونه ، ووعدوهم بالمدد والعمد
واختلف فيما أعطوهم من المال ، قيل لكل فروة ودينار ، وقيل غير ذلك ،
فدخل العرب افريقية وكتب اليازوري الى المعز :

« أما بعد فقد أرسلنا اليكم خيولا فحولا ، وحملنا عليها رجلا كهولا ، ليقضي
الله أمراً كان مفعولاً ، فلما حلوا ببرقة وما والاها وجدوا بلادا كثيرة المرعى
خالية من الاهل لان زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز فأقامت العرب بها ، فاستولوا
عليها وعاثوا في أطراف البلاد وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم

وكان المعز لما رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد ووسع لهم
في العطاء فاجتمع له ثلاثون ألف مملوك ، وأقلعت العرب فملك توزعب مدينة
طرابلس سنة ست وأربعين وأربعمائة ، فتتابعت رياح والانبج ، بنو عدي الى
افريقية ، وقطعوا السبيل ، عاثوا في الارض وأرادوا الوصول الى القيروان .
فقال موسى بن يحيى المرديسي : لبست المبادرة عندي برأي ، فقالوا وكيف تحب
أن نصنع ؟ فأخذ بساطاً فبسطه ثم قال لهم : من يدخل وسط هذا البساط من غير
أن يمسي [عليه] ؟ قالوا لا يقدر على ذلك ، فقال هكذا القيروان ، خذوا شيئاً
فشيئاً حتى لا يبقى الا القيروان ثمخذوها حينئذ . قالوا انك لشيخ العرب وأمرها
وأنت المقدم عليها ، ولسنا نقطع أمراً دونك

ثم قدم أمراء العرب الى المعز فأكرمهم ، وبذل لهم شيئاً كثيراً فلما خرجوا من عنده
لم يجازوه بما فعل من الاحسان ، بل شنوا الغارات وقطعوا الطريق وأفسدوا الزرع وقطعوا
التمر وحاصروا المدن ، فضاقت بالناس الأمور ، سادت أحوالهم ، وانقطعت أسفارهم .

ونزل بأفريقية بلاه لم ينزل بها مثله قط . فعند ذلك احتفل^(١) المعز وجم عساكره وكانوا ثلاثين ألف فارس ومثلهم رجالة ، وسار من دار ملكه وهي صبرة - وهل هي زواغة التي هي مدينة بينها وبين طرابلس مسيرة يوم ، وزواغة وصف لها وليس بعلم ، والعلم هو صبرة ، أو هي صبرة التي بأفريقية ؟ وهو الاظهر^(٢) - حتى قدم جندارا ، بينه وبين القيروان ثلاثة أيام ، وكان عدة العرب ثلاثة آلاف فارس ، فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالم ذلك وعظم عليهم ، فقال موسى بن يحيى : « ما هذا اليوم يوم فرار ، اليوم يوم العينين^(٣) » . والتحم القتال واشتدت الحرب فاقبلت صنهاجة على الهزيمة ، وتركوا المعز مع العبيد حتى يروا قتالهم ويقتل أكثرهم فعند ذلك يرجعون ، فانهزمت صنهاجة وثبت المعز مع العبيد حتى قتل منهم خلق كثير ، وأرادت صنهاجة الرجوع فلم يمكنهم ذلك ، واستمرت الهزيمة ، وقتل من صنهاجة كثير ، وانتقل المعز الى القيروان مهزوما على كثرة من معه ، وأخذ العرب الخيل والحيام وما فيها من المال وغيره ، وفيها يقول علي بن رزق الرياحي :

وان ابن باديس لأحزم مالك وان لعمري مالدیه رجال

ثلاثة آلاف لنا غلبت له ثلاثين ألفا إن ذا انكال

وكان توجههم لأرض المغرب من مصر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ولقيهم

المعز وجيشه سنة ست وأربعين وأربعمائة

ولما دخل القيروان مهزوما جمع في يوم النحر من هذه السنة سبعة وعشرين

(١) قال في اساس اللغات : حفل القوم واحتفوا : اجتمعوا

(٢) لامضى لهذا الاستفهام من المؤانف هي غيرها قطعاً وسياتي به تفسيرها بالمصورية . انظر الكلام

على صبرة في صحيفة ١٩

(٣) لم تكن واضحة بالاصل ورسمها يسه (العينين) و (العينين)

ألف فارس ، وسار الى العرب [في] جريدة^(١) وسبق خيره ، فهجم عليهم وهم في صلاة الصلوة ، فركبت العرب خيولها وحملت فانهمزمت صنهجة وقتل منهم عالم كثير ، ثم جمع المذ وخرج بنفسه في صنهجة وزناة في جمع كثير ، فلما أشرف على بيوت العرب - وهي قبلي جبل جندار - انتشب القتال ، واشتعلت نيران الحرب ، وكان العرب سبعة آلاف فانهمزمت صنهجة وولى كل رجل منهم الى منزله ، وانهمزمت رناة ، وثبت المعز فيمن معه من عبيده ثباتا عظيما لم يسمع بمثله ثم انهزم وعاد الى صبرة التي هي المنصورية^(٢) ، وأحصى من قتل من صنهجة اذ ذلك فكانوا ثلاثة آلاف وثلثمائة ، ثم أقبلت حتى نزلت مصلى القيروان ووقعت الحرب قتل من زناة بالمنصورية خلق كثير . فلما رأى ذلك المعز أباح دخول القيروان لما يحتاجون اليه من بيع أو شراء . فلما دخلوها وقعت فتنة عظيمة بين أهلها وبعض العرب فكانت الغاية الحرب وكان المعز سنة أربع وأربعين وأربعمائة بنى سور زويلة^(٣) والقيروان . وفي سنة ست وأربعين وأربعمائة حاصرت العرب بالقيروان الخ كما تقدم

وأشار المعز على الرعية بالانتقال الى المهديّة^(٤) لعجزه عن حمايتهم من

(١) قال في اساس البلاغة : وجاءت جريدة من الجبل : وهي التي حردت من مدغم الجبل لوجه

(٢) تفسيره هنا صبرة بالمنصورية يؤيد ما قلناه في صفحة ٢٦

(٣) زويلة بقرب المهديّة بتونس بناها المهدي بعد ان اتم بناء المهديّة وجعل بينها مقدار رية ٣٣ وافردا بسور وابواب والمؤلف يقصد ببناء سور زويلة تمديد

(٤) المهديّة مدينة بتونس بناها المهدي وبه سميت ، شرع في بنائها سنة ٢٠٢ ، وكان سورها سنة ٣٠٥ ولما فرغ من احكامها قال : اليوم امنيت على الفاطميات : يعنى بنائه وفي سنة ٤٤٣ أرسل اليه رعد صاحب صقلية قائده جوررجي بن ميخائيل - قال ابن خلدون : وكان من السنصره واعتكها من الحسن بن عمى ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، والتحق الحسن بعد المؤمن بالعرب وتحت في يد المرزبان سنة ٤٥٥ سنة حتى افتكها عبد المؤمن في الحرم سنة ٥٥٥

وينسب الى المهديّة هذه كثير من أهل الفضل منهم ابو الحسن علي بن محمد بن ابي القاسم المعروف بالخداد . وهو القائل :

العرب ، وأقام المعز والناس ينتقلون الى المهديّة الى سنة تسع وأربعين وأربعمائة فانتقل إليها في شعبان فتلقاه ابنه تميم - وكان المعز قد ولاء سنة خمس وأربعين وأربعمائة أحسن قبول . وكانت واقعة بين عبيد تميم وعبيد المعز ذلت بها عبيد المعز وكانوا ييلفون المعز عن ابنه ما يكره ، فلما رأى رأى ما سره منه وسلم اليه الأمر ، ولم يزل بها المعز الى سنة ثلاث وخسين وأربعمائة فتوفي رحمه الله . وكان ملكاً سبعاً وأربعين سنة ، وكان عمره لما ملك إحدى عشرة سنة ، وقيل ثمان سنين وستة أشهر

وكان رحمه الله تعالى رقيق القلب خاتماً متجنباً لسفك الدماء الا في حد حلياً يتجاوز عن الذنوب العظام ، حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه ، مكرماً لأهل العلم كثير العطاء لهم ، كريماً ، وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناني ، كان عنده ، وقد جاءه هذا المال فاستكثره ، فأمر به فأفرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أفرغته من أوعيته ؟ فقال : ائلا يقال : لو آراه لما سمحت به نفسه . وكان له شعر حسن ، ولما مات رثاه الشعراء ومنهم أبو الحسن بن رشيق فقال :

لكل حي وان طال المدى هلك لا عزاً مملكة بيتي ولا ملك
ولا المعز على أحقابه فزعاً أو كان ينهد من أركانه الفلك^(١)

هات وبتت سمعه بالكس من تحت القناع
مس لعد وهي آ حر ما باع من القناع
استهت بريدي بل حكتهى وعتت فاصابع
ما حسن ثما را ب وحن في رمس الصابع
ويجده من مراكش في حقه ، القرى على مسافة عشر مراحل . احتفلوا عند المؤس
وكانوا يراونهم

١١١٠٠٠ (الاس) هـ البيت هكذا

ولى بعد من اسمه عربي أو كذا . . . الخ
ومع ما به أهله هـ . وروى في الأخيرين هكذا
قطره قد اوسيت رحمه نبرها السكك
خ به وروج أشمن قد فصا فطر ري حراء يصعد الفلك
وروى في النسب لأمير أوسج ن لعمى من رواية صاحب النسب

مضى فقيراً وأبقى في خزائمه هام الملوك وما أدراك ما ملوكوا
 ما كان الاحساناً سله قدر على الذين بغوا في الارض وانهمكوا
 كأنه لم يخض للموت بحروغى خضر البحار اذا قيست برك
 ولم يجد بقناطير مقنطرة قد توجت باسمه ابريزها السكك
 روح المعز وروح الشمس قد قبضا فانظر بأى ضياء يصعد الملك

ولاية تميم بن المعز بن باديس

ولما توفي ملك ابنه تميم . وكان مولده بالمنصورية منتصف رجب من سنة
 اثنتين وعشرين وأربعمائة ، واستقل بالملك ، واتخذ دار ملكه المهديّة لأنّها
 محل ولايته في حياة أبيه كما ذكرنا . ولما استقل بالملك ملك مسلك أبيه في حسن السيرة
 ومحبة أهل العلم ، إلا أن عمال أبيه الذين في البلدان قد طمعوا في الاستقلال بالملك
 بسبب تغلب العرب . وكانت هبة بني باديس قد وهدت أيام المعز بما كان من
 الاعراب ، فلما مات ازداد طمع المال في الاستقلال وأظهر كثير منهم الخلاف
 فمن أظهر الخلاف عليه القائد حمو بن مليل^(١) قائد صفاقس واستعان
 بالاعراب ، ووقعت بين أصحاب تميم وحوو وقعة كانت لأصحاب حمو على أصحاب
 تميم . وكان المظفر بن علي كاتباً لحمو ، وكان بليغاً مشهوراً بالبلاغة وحسن
 الكتابة ، وكان يكتب عن حمو الى تميم ما يغيظه ، وبلغ منه كل مبلغ . فلما كانت
 بين أصحابهم الوقعة المذكورة واستأصل فيها اصحاب حمو أصحاب تميم كتب مظفر
 الى تميم كتاباً يمثل فيه بقول أبي الطيب :

(١) كانت الاصل ملك والتميم من ان خلدهون من قال في حمو مؤيد حمو مال البره

صاحب صفاقس

فان كان أهيبكم طامكم فعوداً الى مصر في القابل
 فان حسام الخصيب الذي قُتلتم به في يد القاتل
 وكان قد نحدث في المهديّة يموت سخو وبلغ ذلك سخو فأمر مظفرأ أن يكتب
 الى تميم في هذا المعنى ، فكتب اليه متمثلاً بقول أبي العلييب :

كم قد دفنت وكم أقيرت عنديكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن^(١)
 ما كل ما يمتنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
 وكتب تميم مرة لحو يعظه ويتهدده ، وتمثل فيه بقول الشاعر :
 ستعلم ليلى أي دين تداينت وأي غريم للتقاضى خريمها
 فراجعته عنه مظفر متمثلاً بقول قيس بن ذريح :

ستعلم ان شطت به غربة النوى وزالوا بليلى أن عقلت زائل
 ، قيل انه تمثل في مراجعته عن هذا الكتاب بقول جرير :

زعم الفرزدق أن سيفتل مربعاً أبشر بطول سلامة يامر بع
 قلت . وهذا أظهر في الجواب من ذلك

وكتب تميم الى سخو - بأثر وقعة كانت لميم عليه - كتاب ايناس والطاق فراجعته
 في الجواب مظفر متمثلاً بقول عبد الله بن محمد المطار :

لا تظنن امرأاً أغضبته سبب ثم انقضى ذاك السبب
 سالم الصدر من الحقد ولو أكثر الود ولم يبد الغضب
 كرماد النار يبقى حرها كامنأ فيه ولو زال اللهب

فبذلك تأكدت الوحشة بينهما ، واستعان حو بالعرب وقصد حصار المهديّة

(١) الشطره الاولى في ديوان المتن هكذا (كم قد قتلتم وكم قد مات عنديكم) وفيه بيت ثان بين
 السنين " بين ذكرهم المؤلف وهو -

(قد نحدث في المهديّة يموت سخو وبلغ ذلك سخو فأمر مظفرأ أن يكتب

نفرج اليه تميم وصافته فاقتلوا فانهزم حجو وأصحابه وكثر القتل فيهم ونجا حجو بنفسه ، وتفرقت خيله ورجاله . وكان ذلك سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، وكان للتقاؤهما بسنطة ^(١) ، وبها كانت الوقعة ثم سارت تميم الى سوسة ^(٢) وكان أهلها قد خالفوا أباه المزم وعصوا عليه . فلجأهم وعفا عنهم

وفي سنة سبع وخمسين من التاريخ المذكور وقعت بين تميم والناصر بن علقناس الصنهاجي حروب عظيمة وكان سببها أن حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين عمه باديس بن المنصور أبي المزم جد تميم خلاف وشقاق أوجب مسير باديس اليه وحاصر قلعة بني حماد ، ولولا تلك القلعة لاختدم سريعاً ومات باديس وهو محاصر لها وتولى ابنه المزم قبائمه حماد على ضمن منعه من اظهاره العجز ، ومات وتولى ابنه قعداً ، ودخل تحت طاعة المزم على ما كان عليه أبوه . وكان يضر الفدر وخلع طاعة المزم والعجز عنعه من ذلك الى أن رأى قوة العرب وما نال المزم منهم خلع الطاعة واستبند بالبلاد ، وبعده ولده محسن ، وبعده ابن عمه بلكين بن محمد ، وبعده ابن عمه الناصر بن علقناس بن محمد بن حماد ، وكل منهم متحصن بالقلعة ، وقد جعلوها دار ملكهم . فلما رحل المزم من صبرة والقيروان الى المهديّة تمكنت العرب ونهبت

(١) هكذا الاصل قلت ساسة برقة ومل التي ذكره المؤلف (- يطلع) وهي مدينة من مدن افرقية
 (٢) وهي اليوم سبوعون ميلا . وذلك مع السباح : هي جمع القيروان بالحجار حلت من حراتب سيطه
 (٣) سنة ثمان وثمانين للهجرة صغيرة يد ، وهي صدائس يومان ، وبها وبين المهديّة ثلاثة أم
 وقمع على نحو ١١٠ كيلومترات الجنوب والشرق من مدينة تونس وتعد الحاضرات من القبائل والجنود
 والشرق ويسورها باب الى حبة القيروان يقربها من القيروان واليهما نسب الثياب السوسية الفخرية . وقد
 يرسل اليها معاوية بن حديج عبد الله بن الزبير في جمع كثير . وكان الخليلك بصور . من من ملك
 عقبة لاختلافها . ودار عبد الله بن الزبير حتى وصل باب المدينة فترحل عن مرسى . وعلى باب القصر ولما
 فرغ من حالته . وكان العدو قد احده في المدة ومعاوية . ثم غاب عن مرسى . ومضى نحوها راد الله بن
 الاعراب ، وكان يقول .

لا ابي ما سمت نايه يوم اليامة وفي حيس ارج حديب . بين اسجد . الخدم . يروا . و ان تـ
 نبع . وبين حـ . مدينة سوسه . وروى حـ . و عمر قـ .

الناس ، وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها الى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب ، فعمرت بلادهم ، وكرت أموالهم ، وبقيت في نفوسهم الضغائن من باديس ومن بعده من أولاده يرثها صغير عن كبير الى أن ولي تميم الأمر بعد أبيه فاستبد كل من هو بيلد أو قلعة من عمالم بمكانه وتميم يداري ويتجدد . واتصل به أن الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه ، وأنه عزم على المسير ليحاصره في المهديّة ، وأنه حالف بعض صنهاجة وزناة وبني هلال ليعينوه على حصار المهديّة . فلما صح ذلك عنده أرسل الى أمراء بني رياح فأحضرهم اليه وقال : « أنتم تعلمون أن المهديّة حصن منيع أكثره في البحر ، لا يقابل منه في البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا ، وإنما جمع الناصر هذه العساكر ليسير اليكم » فقالوا له : الذي تقول حق ، وتريد منك المعونة ، فأعطاهم المال والسلاح من السيوف والرماح والمدق ، فجمعوا قومهم وتحالفوا على لقاء الناصر ، وأرسلوا الى من مع الناصر من بني هلال يتبعون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه ان قوى ، وأنه يهلكهم عن معه من زناة وصنهاجة ، وأنه إنما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد ان دام الخلف وضعف السلطان . فأجابهم بنو هلال الى الموافقة ، وقالوا اجعلوا أول حملة تحملونها علينا ونحن ننهزم بالناس ، ويكون لنا ثلث الفديمة ، فأجابوهم الى ذلك واستقر الأمر . وأرسل المعز بن زيري الزناتي الى من مع الناصر من زناة بنحو ذلك ، فوعدهوا أيضا أن ينهزموا . فحينئذ رحلت رياح وزناة جميعها وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناة وبني هلال فالتقت العساكر بمدينة سيبية^(١) فحملت رياح على بني هلال ، وحمل المعز على زناة فانهزم الطاهقان وتبعهم عسكر الناصر منهزما ، ووقع فيهم القتل ، فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس أخو الناصر . وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناة أربعة وعشرين ألفا ، وسلم الناصر في نفر يسير ، وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر

(١) سببة - ناحية من أعمال الفيرون . والبا ينسب او عبداق محمد بن ابراهيم الديلمي خطيب المهديّة

من مال وسلاح ودواب وغير ذلك واقتسموها على ما استقر بينهم ، وبهذه الواقعة تم للعرب ملك البلاد . فاتهم قدموها من ضيق وقر وقله دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم ، وقل المحامي عن البلاد . وأرسلوا الأموال والسلاح ويخيم الناصر بدوابها الى تميم فردها وقال : يقبح ان آخذ سلب ابن عمي . فأرضى العرب بذلك

وعلقناس : بفتح العين المهملة واللام والنون ، وبعد الالف سين مهمة ولما كانت هذه الواقعة بين بني حماد والعرب ، وقويت شوكة العرب اغتم تميم لذلك وأصابه حزن شديد ، فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه أبو بكر ابن أبي الفتوح ، وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر : ألم أشر عليك أن تصد ابن عمك وأن تتفقوا على العرب ؟ فانكألو اتفاقا لأخرجنا العرب ، فقال الناصر صدقت ، ولكن لا مرد لما قدر ، فأصلح ذات بيننا . فأرسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب في الإصلاح فقبل تميم قوله وأراد أن يرسل رسولا الى الناصر ، فاستشار أصحابه فاجمع رأيهم على محمد بن البصيع وقالوا هذا رجل غريب وقد أحسنت اليه وحصلت له منك الاموال والاولاد ، فاحضروه وأعطاه دواب وعييدا وأرسله يسير مع الرسول حتى وصل الى موضع بجاية ^(١) ، وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر ، فنظر اليها محمد بن البصيع ، قال في نفسه ان هذا موضع يصلح أن يكون مرمى ومدينة ، وسار حتى وصل الى الناصر ، فلما وصل أوصل الكتاب وأدى الرسالة ، وقال للناصر : معي وصية اليك وأحب أن يخلى المجلس ، فقبل الناصر

(١) بجاية - تكسر الباء - مدينة على ساحل البحر بفرجة . لول من احتلها الناصر بن علقناس . حماد بن زري بن مناد ابن بلقين في حدود ٤٥٧ . وكانت قديما ميناء ثم بنيت المدينة . وفي قبيلها جنان كانت قاعدة ملك بن حماد . وتسمى الناصرية أيضا . وبها عين مائة الف أمة . ومدينة عامرية صغيرة في أقصى القرية . ولما غزا منصور بن المهدي قلعة في سنة ٣٢٨ رحض اليه نوح بن علقناس والعجائز والاندلس ، فلما رأى بني زمر لا ينزل منهم أحدا

أنا لا أخفي على وزيرى شيئا ، فقال بهذا أمرني الأمير تميم ، فقام الوزير أبو بكر وانصرف ، فلما خرج قل الرسول يا مولاي ان الوزير يخامر عليك ^(١) وهواه مع الامير تميم لا يخفي عنه من أمورك شيئا وتميم مشغول مع عبيده وقد استبد بهم ^(٢) وأضر بصنهاجة وغيرها ، ولو وصلت بعسكر الى المهديّة مايت الا فيها ليغض الجند والرعية لتيتم وأنا أشير عليك بما تملك به المهديّة وغيرها ، وذكركه عبارة بجاية وأشار عليه أن يتخذها دار ملكه ويقرب من بلاد افريقية ، وقال له أنا انتقل اليك بأهلي وأدير دولتك ، فأجابته الناصر لذلك وأرتاب بوزيره وسارع مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة . فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية أراه موضع البناء والبلد والدار السلطانية وغير ذلك ، فأمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل ، سر بذلك وشكره وعاهده على وزارته ان رجع اليه ورجعا الى القلعة . فقال الناصر لوزيره : ان هذا الرسول محب لنا ، وقد أشار ببناء بجاية ويريد الانتقال الينا ، فاكتب له جواب كتابه ففعل . فسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره اليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول طلب من الناصر أن يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الاخبار ويورد بها ، فأرسل معه رجلا يثق به فكتب معه : « اني لما اجتمعت بتميم لم يسألني عن شيء قبل سؤالي عن بناء بجاية وقد عظم أمرها عليه وقد اتهمني ، فانظر من تثق به من العرب ترسله الى موضع كذا ^(٣) فاني سائر اليهم مسرعاً ، وقد أخذت يهود زانية وغيرها على طاعتك ، وسير الكتاب .

فلما قرأه الناصر سده الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره وأثنى عليه وقال : لقد نصح وبالغ في الخدمة فلا تؤخر عليه انفاذ العرب ليحضر معهم ،

(١) اي زده على شؤره . (٢) اي استبد به . (٣) اي سائر اليهم . ولعل المؤلف يريد به ائمة . وما بعد ان تم استبد بوراهن استبد عبيده لاهم قوته التي بعثت عليها . (٤) صياغة عن . . . من تؤخر عن ملاقاته فيه .

ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وأرسل الكتاب الذي يخط الرسول الى تميم ، وكتابتها منه يذكر له الحال من أوله الى آخره فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقي يتوقع له سبياً يأخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه في الليل والنهار من حيث لا يشعر . فأتى بعض أولئك الحرس الى تميم وأخبره ان الرسول صنع طعاما وأحضر عنده الشريف الفهري ، وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه ، فأحضره تميم فقال : كنت واصلا اليك ، وحدثه ان ابن البعيم الرسول دعاني فلما حضرت عنده قال : أنا في ذمامك أحب أن تعرفني مع من أخرج من المهديّة ففتحته من ذلك وهو خائف . فأوقفه تميم على الكتاب الذي يخطه وأمره بإحضاره ، فأحضره الشريف ، فلما وصل الرسول الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرم الناصر ومعهم كتاب الناصر اليه يأمره بالحضور عنده فأخذ الكتاب وخرج الأمير تميم ، فلما رآه ابن البعيم سقطت الكتاب من يده فاذا عنوان أحدها : « من الناصر بن علناس الى فلان » فقال تميم من أين هذه الكتاب ؟ فسكت فأخذها وقرأها ، فقال ابن البعيم : العفو يا مولاي . فقال لا عفا الله عنك وأمر بقتله فقتل وحرقت جثته

استيلاء تميم على طرابلس

وجيز الامير تميم في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة جيشاً لطرابلس فأخذها بعد الحصر

وكان سببه أن أهلها كانوا كارهين لوالبها من قبله^(١) ولم تزل يده عليهم فلما وصل اليها شاه ملك من مصر مآكوه من البلد

(١) لعمري في تاريخ ابن خلدون - ج ١ - ص ١٠٠ - ١٠١

وملك شاه هذا من أولاد بعض أمراء الأتراك ببلاد المشرق . آله في بلاده
أخرجوه منها فسار الى مصر في مائة فارس زمن الافضل وأمير الجيوش ، فأكرماه
وأعطياه أقطاناً وأموراً ، ثم بلغهما عنه أشياء توجب اخراجه من مصر . فخرج
هو وأصحابه هاربين ، واحتالوا حتى أخذوا سلاحاً وخيلاً وتوجهوا الى المغرب
فوصلوا الى طرابلس وملكوها بواسطة بنقض أهلها واليهما وأخرجوا واليهما . فلما
سمع تميم الخبر جهز العساكر اليها وضيّقوا على الأتراك بها ففتحوها^(١) ووصل شاه
ملك معهم الى المهديّة فسار به تميم ومن معه ، وقال : قد ولد لي مائة انتفع بهم ،
وكانوا لا يخطيهم لم سهم ، فلم تطل الايام حتى جرى لهم أمر غير تميماً عليهم ، فعلم
شاه ملك ذلك وكان داهية خبيثاً - فخرج يحيى بن تميم الى الصيد في جماعة من
أعيان أصحابه نحو مائة فارس ومعهم شاه ملك ، وكان قد قدّم اليه ألا يقرب شاه
ملك فلم يقبل ، فلما أبعدوا في طلب الصيد غدر به شاه ملك وقبض عليه وسار به
وبين أخذ من أصحابه معه الى صفاقس ، وبلغ الخبر تميماً فركب وسير العساكر في
أثرهم فلم يدركوهم ، ووصل شاه ملك بيحيى بن تميم الى صفاقس فركب صاحبها
حمو بن مليل^(٢) ولقي يحيى ومشى في ركابه راجلاً وقبل يده وعظمه واعترف له
بالعبودية ، فأقلم أياماً ولم يذكره أبوه بكلمة وكان قد جعله ولي عهده ، فلما أخذ
أقام أبوه مقامه ابناً له آخر اسمه « منى » ثم خاف حمو يحيى على نفسه أن يشور
معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم ، فأرسل الى تميم كتاباً يسأله انفاذ الأتراك
وأولادهم ليرسل اليه ابنته يحيى ، ففعل ذلك بعد اقتناع منه ، وقدم يحيى فحجبه
أبوه عنده مدة ثم أعاده الى حاله ورضي عنه ، وجهازه معه عسكراً الى صفاقس فسار

(١) ووليّ حرالمس محمد بن حررون بن حليفة ، وبقي والياً الى زمن الحسن بن علي بن يحيى بن تميم
فاستد بطرابلس هو وبناته من بن مطروح وروصوا دعوة الحسن وقومه وشتموا المارم والجباية . اهـ من
تاريخ النابت (ص ١٤٢)

(٢) كانت الاصل ملك . والصحيح من ابن حبان

اليها وحصرها برآ وأقام عليها شهرين ، وضيق على الأتراك بها ، واستولى عليها بعد أن فارقها الأتراك إلى قابس

ولما أخذ الحسن أخاه المثنى وأخرجه نعيم من المهديّة قصد الأمير بكر بن كامل الدهماني بقابس^(١) ، وحسن له الخروج إلى صفاقس والمهديّة وأطمعه فيها وضمن الاتفاق على الجند من ماله ، وجمع مثنى من يمكنه جمعه وساروا إلى صفاقس ، وبلغهم أن جند نعيم قدم عليهم وأنه لاطمأنهم به ، فساروا عندها إلى المهديّة فنزلوا عليها وقتلوها . وكان الذي تولى قتالهم من أهل المهديّة يحيى بن نعيم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحسن تدبير ، فلم يبلغوا منها عرضاً وعادوا خائبين ، وتلف ما كان مع المثنى من مال وغيره ، وعظم أمر يحيى وصار هو المشار إليه

وتوفي نعيم في رجب سنة إحدى وخمسمائة . وكان شجاعاً ذكياً له معرفة حسنة ، حليماً ، كثير العفو على الجرائم العظيمة . عفا عن مظفر كاتب حمو الذي كان يكتب نعيم عن حمو ما يفيظه ، وبلغ منه كل مبلغ لما وصل إليه حين فر حمو إلى صفاقس ، وقد كان دخل عليه وهو لا يشعر ، وحين مثل بين يديه طلب العفو فعفا عنه مع شدة حقه عليه ومثل هذا الذنب لا تفتقره الملوك ، بل تتجاوز فيه إلى العقاب ، وتتعدى العقاب إلى ضرب الرقاب

وكان له شعر حسن . فنه أنه وقع حرب بين طائفتين من العرب : عدي ورياح ، فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا وأهدروا دمه ، وكان صلحهم مما يضر به وبيلاده ، فقال أبياتاً يحرض على الطلب بدمه ، وهي :

مق كانت دماؤكم تُطلُّ أما فيكمم بثأر مستقل

أغانم ثم سالم ان فشلم فما كانت أوائلكم تفل

(١) كانت (سمل) صفاقس) والصحيح من سمل حذور (ص ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨) - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠

ونتم عن طلاب النار حتى كأن العز فيكم مضحل
 ولا كسرتم فيه العوالي ولا بيضاً تمل ولا تسل
 فصد أخو المقتول حين معها فقتل أميراً من عدي ، واشتد بينهم القتال
 وكثرت القتلى حتى أخرجوا بني عدي من افریقیة
 ومن محاسنه أنه اشترى جارية بثمن كثير ، فبلغه أن مولاهم الذي باعها
 ذهب عقله وأصف على فراقها ، فأحضره تميم بين يديه وأرسل الجارية الى داره
 ومعه الكسوات وأواني الفضة وغيرها ومن النفقة شيء كثير ، ثم أمر مولاهم
 بالانصراف وهو لا يعلم ، فلما وصل الى داره ورآها على تلك الحال خرم مفضياً
 عليه لشدة سروره ثم أفق ، فلما كان الغد أخذ الثمن وجميع ما كان عليها وعاد الى
 دار تميم ، فانتهره وأمره بإعادة جميع ذلك الى داره
 وكان له في البلاد أصحاب أخبار لهم أرزاق سفية ليطلعوه على أحوال أصحابه
 لكلا يظلموا الناس ، فكان بمدينة القيروان تاجر له مال وثروة فذكر بعض الأيام
 التجار بما ودعوا له ، وذلك التاجر حاضر ، فترحم على أبيه ولم يذكره ، فرجع
 ذلك الى تميم ، فأحضره الى قصره فسأله : هل ظلمتك ؟ قال لا . قال فهل ظلمك
 بعض أصحابي ؟ قال لا . قال فلم أطلت لسائك أمس بدمي ؟ ثم قال له : لولا أن
 يقال شره في ماله لقتلتك ثم أمر بصنعه في حضرته قليلاً ، ثم أطلقه ففرج
 وأصحابه ينتظرونه ، فسألوه ما الخبر ؟ فقال : « أسرار الملوك لا تذاع » فكانت
 بافریقیة مثلاً

وكان عمره ستاً وسبعين سنة ، تولى منها ستاً وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين
 يوماً . وخلف من الذكور ما يزيد على المائة ، ومن الإناث ما يزيد على الستين (١)

(١) وقد مدحه ابن رشيق القيرواني بهذين البيتين :

اصبح واقوى ما سمته في الندى من الخبر الماتور منذ قديم
 اسديك تزورها السيول عن الحيا من البحر عن كف الامير تميم

ومت شعرة :

وجمر قد شربت على وجوه اذا وصفت تجل عن القياس
 حمود منسل ورد في شعور كدر في شعور منسل اس

ولاية يحيى بن نعيم

ولما مات تولى ابنه يحيى في رجب من السنة المذكورة . وكان عادلاً في رعيته ضابطاً لأمور دولته ، رحياً بالضعفاء والفقراء ، يكثر الصدقة عليهم ، يقرب أهل العلم والفضل ، وكان عالماً بالأخبار وأيام الناس والطب ، وكان حسن الوجه أشهل العين ، إلى الطول ماهراً^(١)

ولما استقر في الملك جهز أسطولاً إلى جزيرة جربة . وسببها : أن أهلها يقطعون الطريق ويأخذون التجار ، فحصرها وضيق على من فيها ، فدخلوا تحت حكمه ، والتزموا ترك الفساد ، وضمنوا صلاح الطريق ، فكف عنهم عند ذلك ، وصلاح أمر البحر ، وأمن المسافرون^(٢) . وتوفي سنة تسع وخمسة مائة وكان موته فجأة يوم عيد الاضحى . وكان منجمه قد قال له في تسيير مولده : ان عليه قطعاً في هذا اليوم فلا تركب ، فلم يركب وخرج أولاده وأهل دولته إلى المصلى ، فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وأنشد الشعراء ، وانصرفوا إلى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام ، فلم يش غير ثلاث خطوات حتى وقع ميتاً . وكان ولده علي بمدينة صفاقس فأحضر وعقدت له الولاية . ودفن يحيى بالنصر ثم نقل إلى التربة بالمستير . وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوماً ، وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، وخلف ثلاثين ولداً ، ورثاه عند موته الشعراء ومنهم عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلي بتصيدة ، وهنا فيه ابنه علياً . وهي قوله :

ما أحمد العضبُ حق جرّد الذكر ولا اختفى قر حتى بدا قر

(١) يعني انه مائل إلى السلوك

(٢) وكان قد أثار من الاساطيل البحرية وسرفهم ، غزوهم ، ووردت له بارعة

حتى ندمه لم السرايا بخري . ٥١٠ . ابن حبان (١٠١٠٠)

يموت يحيى أميت للناس كلهم حتى اذا ما علي جادم نشروا
ان يُبعثوا بسرور من تملكه فن منية يحيى بالأسى قُبروا
وافى عليّ بسن الموت ضاحكة وعينه من أيسه دمعها هر
شمت جيوب الاعالي بالأسى فبكت من كل أفق عليه الأنجم الزهر
وقلّ لابن تيمم حزن مائتها فكل حزن عظيم فيه محقر
قام الدليل - ويحيى لا حياة له - أن المنية لا تُبقي ولا تدر

ولاية علي به يحيى به محم

ولما تولى عليّ عت همته وأنف مما كان يفعله قواده ، ومنهم رافع بن بكر
الدهاني قائد قابس . وكان لا يصنع أحد بأفريقية أسطولا لحل التجارة الآ
أميرها ، وكان رافع اصطنع في أيام يحيى أسطولا لحل التجارة فلم ينكر عليه يحيى
جريا على عادته في المداراة . فلما استقر عليّ في الملك لحقته أنفة وبعث الى رافع
يمنعه من ذلك فالتحا الى رجار صاحب صقلية - لعنه الله واعتضد به ، فوعده - أن
ينصره ويعينه على اجراء مركبه في البحر ، وأنفذ في الحال أسطولا الى قابس ،
فاجتاز أسطوله بالمهدية فتحقق على اتفاقها ، وكان اذا قيل له اتفاقا على ذلك يكذبه
فلما اجتاز الأسطول بالمهدية أخرج عليّ أسطوله إثره فتوافى الجميع الى قابس ،
فلما شاهد رافع أسطول الافرنج و[أسطول] المسلمين لم يخرج مركب (١) ، فعاد
أسطول الافرنج وبقي عليّ يحصن قابس مضيقاً عليها ، ثم عاد الى المهدية . وتعادى
رافع في المخالفة لعليّ وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل المهدية فحاصرها ،
وخادع علياً وقال انما جئت للدخول في الطاعة ، وطلب من يسعي له في الصلح ،

(١) يعني ان رافعا لما شاهد اسطول الافرنج واسطول المسلمين ، وهو اسطول علي القاسم من
المهدية تم اسطوا لم يخرج منه مركب

وأفضاله تكذب قوله فلم يجبه عليّ بحرف ، وأخرج العساكر فحملوا عليّ رافع حلة منكرة فألقوم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت . فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن ، فعادت العرب وعاودت القتال ، واشتد الأمر ودامت الحرب الى الغروب ثم افترقوا ، وقتل من أصحاب رافع بشر كثير ، ولم يقتل من جنده عليّ غير جندي واحد من الرجال ، ثم خرج عسكر عليّ مرة أخرى فاقتتلوا أشد من القتال الأول وكان الظهور فيه لعسكر عليّ فلما رأى رافع أنه لا طاقة له بهم رحل من المهديّة ليلاً الى القيروان فنهه أهلها من الدخول فقاتلهم ثم دخلها ، فأرسل اليه عليّ عسكراً فحاصره الى أن خرج منها وعاد الى قابس ، ثم سأله جماعة من أعراب افريقية وغيرهم الصلح فأبى ثم أجاب .

وكانت استجارة رافع برجار سبب الوحشة بينه وبين عليّ ، وكانت بينهما مودة أكيدة ، فخاطبه رجار بقول لم تكن عادته أن يخاطبه به وأغلظ فيه ، فتأكدت الوحشة وحذر عليّ منه وأمر بتجديد الاسطول واعداد الأهبة للقاء العدو ، وكتب المرابطين بما كسب في الدخول معه الى صقلية ، فكيف رجار عما كان يعتمدده ، وتوفي عليّ سنة خمس عشرة وخمسةائة في العشر الأواخر من ربيع الثاني . وكان مولده بالمهديّة . وكانت امارته خمس سنين وأربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً

ولاية الحسن بن علي بن يحيى

وفي ذلك تولى ابنه الحسن بعهد منه ، وتولى أمر الدولة منذل الخصى مولاه . وفي أيام الحسن خرجت عن بيعته طرابلس ، وقصدها رافع صاحب

صقلية كما سنذكره ان شاء الله تعالى

وكان سن الحسن بن علي يوم ولايته اثنتي عشرة سنة . ولما تولى أمره صندل راسل أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاتسين الملقب بمراكش لما كان بينه وبين والده من المودة لما وقعت الوحشة بينه وبين رجار صاحب صقلية بسبب الاسطول الذي كان قد صنعه عامه مكى بن كامل الدهاني والي قابس من قبله لحل التجارة ، واستعانة مكى بن كامل برجار ، واتفق أن وصل بأمر توليته أسطول أمير المؤمنين علي بن يوسف مع قائده علي بن ميمون الى بلاد رجار ، فافتتح منها حصوناً وسبى منها سبايا كثيرة فلم يشك النصراني أن الباعث لعلي بن يوسف على ذلك إنما هو الحسن فاستجاش وحشد أجناده ومقاتلته وبالغ في كتم أمره بمنع السفن من سواحل المسلمين ، فلم يخف على الحسن مقصده وخشى أن يطرق بلاده دون أهبة له فأمر بأخذ الأسلحة وتشديد الأسوار واستقدام القبائل من الأعراب وغيرهم للجهاد . فوصلت الحشود اليه من كل جهة ، ونزلت الأعراب بظاهر المهديّة ، فلما كان يوم السبت لخمس بقين من جمادى الأولى سنة سبع عشرة وخمسة مائة وصل أسطول رجار الى المهديّة فرسى الجزيرة المعروفة بجزيرة الاحامى وهي على عشرة أميال من المهديّة ، ونزل قائده عبد الرحمن وجورجي الى الجزيرة وقصرت لهما ولقدي الا فرنج مضارب هناك وكان وصولهم آخر النهار فخرج منهم الى البر تلك الليلة خلق كثير وانبطوا حتى تعدوا عن البحر أميالاً ثم عادوا الى الجزيرة ، ووصل القائدان في اليوم في البحر الى المهديّة في بعض قطع ، فأطافا بها وانهبوا الى ساحل زويلة فهالهما ما رأيا بالأسوار والسواحل من الناس وانصرفا عائدين الى الجزيرة فوجدوا طائفة من العرب والاجناد قد حطوا حولها وكشفوا من كان بها من الروم عن مواضعهم ، وقتلوا منهم قوما ونهبوا بعض أسلحتهم ، فلما كان

اليوم الثالث تمكن النصارى من القصر المعروف بقصر الديعاس^(١) ، وحصل به زهاء مائة باعانة بعض الاعراب لم على ذلك لما متاهم به عبد الرحمن وصاحبه .

وقد كان رجار أمرهما بالنزول بجزيرة الاحاسي والتحميل على أخذ قصر الديعاس بمباطنة العرب ، ثم الزحف من هنالك في البر بالرجال والخيال الى المهديية ، فلما كان في اليوم الرابع اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا تكبيرة راعت من في الجزيرة فظنوا أنهم داخلون اليهم فانهمزوا الى مراكزهم وقتلوا بأيديهم كثيراً من خيلهم ، ودخل المسلمون الجزيرة وليس بها أحد منهم ، فوجدوا بها حيوياً وآلات وأسلحة أعجلمهم الهرب عنها ، وأحاطوا الديعاس يقاتلونه والاسطول في البحر يعاين ذلك ولا يستطيع اغاثة من في القصر لكثرة ما اجتمع في البر من عساكر المسلمين . فلما عاينوا أنهم غير قادرين على انقاذ من بالقصر أقبلوا عائدين الى صقلية ، وأقام المسلمون يقاتلون من حصر بقصر الديعاس منهم الى أن اشتد الحصار عليهم ، وفي ماؤم وطعامهم ، خرجوا منه ليلة الاربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة ، فتخلفتهم سيوف الاعراب قتلهم عن آخرهم ، وهنى احسن بهذا الفتح . ولم يدر ما نحت طه من المحمة التي حصت وعمت المسلمين ، وكتبت عنه في ذلك كتب الى سائر الجهات ، منها كتاب يقال في بعض فصوله :

« و ان صاحب [صقلية] ليج في طغيان غيه ، واستمر على عداوته وبغيه ، وحاله سوء تقديره وفساد تدبيره على اهتضام جانب الاسلام ، وتوهم أن ذلك سهل الملتصق قريب المرام ، فاستعجاش وحشده ، واستنفره ، استمده . وما استملت له في ظنه أمور ، وكل تدبيره القدي فيه تدميره ، سير أسطوله نحو المهديية .

(١) قال ابن خلدون في احبار الحسن بن علي (ص ١٣١ ج ٦) . محمد بن علي بن ابراهيم
ورلوا الى الساحل وصرخوا لانه
ألى ان عدهم المسعد

حماها الله - في نحو من الثلاثمائة مركب حاملة ثلاثين ألف راكب ، وزهاء الف فارس . وكان اقلاعه في طالع مقارن للنحوس ، قاض عليه باتلاف أمواله واهلاك النفوس . فمن أول ما أفشاه الله فيه من فعل الجميل ، وأظهره من عنايته التي لا يؤدي حثها بغير الشكر الجزيل ، أن أرسل عليهم ريحاً جرت جميعهم الى التيار وأصلتهم بين الماء حر النار ، في كلام طويل

ولما أقلم الاسطول الى صقلية خائباً خاسراً غاظ رجاء ذلك . واتفق بأثر ذلك أن وصل الاسطول الملائم مرة أخرى ، وقائده محمد بن ميمون المذكور ، وقبل مغادرة بلاد رجار قتل وحمل نساءها سبياً الى بلاده . وكان رجار كلما وصل أسطول من المغرب الى بلاده نسبه الى الحسن ، فعزم العزم المصمم على غزو المهديّة وأفشى في ظاهر الامر أن بينه وبين الحسن صلحاً وفي نفسه ما فيها لتم خديعة ويمكن من مراده .

وكان بين الحسن وبين ابن عمه يحيى بن العزيز بن منصور ^(١) [بن الناصر ابن هلناس المتقدم الذي صاحب بحماية ما أوجب أن بعث في هذه المرة لمحاصرته بالمهدية أسطولاً في البحر وجيشاً في البر قائده مطرف بن علي بن حمدون الفقيه ، فحصر المهديّة براً وبحراً ، ونزل مطرف بجيشه بظاهر زويلة ، فاستمد الحسن رجار فأمدّه بأسطول ، فعلم مطرف بذلك فارتحل عن المهديّة مسرعاً ، وكانت لرجار جواسيس بالمهدية فكتبوا اليه يعلمونه أنه يمر ساهاً مرآكب قد استوفت وسقها ، فأمر جرجي قائد اسطوله المتوجه للنصرة بالمهجوم عليها وأخذها ، فأخذ ذلك خدراً وحملها الى صقلية ^(٢) ، ثم هجم بعد ذلك على مرسى المهديّة فأخذ منه مركباً

(١) كانت بالاصل يحيى بن بلمر بن اديس بن منصور الح وهو خطأ والصواب ما ابتداء كما مؤخذ من

اس حلدون (ص ١٦٢ - ١٦٣)

(٢) (صقلية) ثلاث كسرات وتعدد اللام ، والياء ايضا مشددة : مديه على شاطئ بحر الروم الشمالي فيما يقال افرقية . وطلع اتساع البحر يساً ويدر افرقية في اقرب تلة مائة واربعين ميلاً ، وبها عدة مدن

للحسن قد احتفل به وشحنه بنفخائر ملوكية ليوجهها الى الخافض العبيدي صاحب مصر، وكان ذلك المركب يسمى نصف الدنيا .

ولم يزل يوالى الغزو عليه بأساطيله - والمقدم عليها جرجي المذكور وهو المعروف بالمهديّة حاضرة وبادية ويسمى في ذلك - الى أن دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسة مائة فلم يشعر الحسن صبيحة يوم الاثنين الثاني من صفر الا وقد طلع عليه جورجى المذكور (١) في ثلاثمائة مركب ، فأرسل على بعد من المهديّة ، وكانت الريح منعقة من الدخول الى المرسى فأرسل الى الحسن يخادعه ، ويدكر أنه انما وصل لطلب عسكريين به على أهل قابس ليرد اليها ابن رشيد واليهما الفأز اليه مستغيثا به - وله قصة طويلة من راسها فليراجع محلها - فعلم الحسن أنها مخادعة الى أن يتهاى له الريح فيدخل اليها ، وانه لم يصل الا بعد علمه بخلاء المهديّة من العسكر ، وكان الغلاء المتوالى على إفريقية أضعف أكثر جنود الحسن وأهلك خيلهم ، ومع ذلك كانت بقية العسكر في محاربة ابن خراسان بتونس عضداً لحرز ابن زياد الفادعي صاحب الملققة : فعزم الحسن على تسليم المهديّة لتنصارى وأمر في الحين بالراحيل عنها وخرج من القصر بما خف معه ومن أمكنه من أهله وولده وحشمه ، وتمعه الناس هربين بما قدروا عليه من أهل وولد ، وجرى عليهم في هذه الضيقة ما لم يكونوا يقدرونه . وكان الحسن يقول عند خروجه : « سلامة

والهار ومترهات عده وممر مبيد . » ١٩٠ يقول ابن حمدان

د كرت سقلدة والمهوى ر ج الحسن بتكارها

قد كنت امرحت من حبه هني أحدث احبارها

التمت الحسن الفرات سنة ٢١٢ في ربيع ربه الله من اذلت في ايام الامون .

قلت : وهي الايام من ممالك ايطاليا ولا تزال اثار الامير تائه بها في كل احية وتسمى ساسيا .

(٢) هو جرجي بن ميخائيل الاسطاني قائد اسطون - سار . كان جنرالاً فارس من اعرس ودمهم

السان وورخ في الحساب وتهدى في الشام بأطالنية وميريه حاسطه ثم واستولى على

فلما ذلك تم اعمل حرجي الخيلة في الحاق بخارها حتى به وحسن عده واسمعه

ابن خلدون (ص ١٦٩ : ج ٦)

المسلمين أحب الي من الملك والقصر ، كذا ذكر ابن شداد
 وبقي الاسطول على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول الى البلاد بسبب عدم
 اسعاف الريح الى الساعة السابعة من حين وصوله ، ثم لانت الريح فدخل ووجد
 المهديّة خالية فلكها دون دفاع . ووجد جورجي قصر الحسن على حاله لم يحمل
 منه الحسن الا ما خف له . فرأى فيه من الذخائر الملوكة ما هاله ، وحكم على ذلك
 كله ، وأمر أن ينادى في المهديتين بالامان فارتفع النهب منهما وأخرج جميع
 النصارى من المهديتين ^(١) فأنزلهم فيما بينهم من مضارب وأخبيصة فسكان من
 بقى في المهديّة أحسن حالاً ممن فر منها ، فان الفارين تقوا من المشقة وعدم الماء
 ما أهلك أكثرهم الى أن تداركهم جورجي فبعث اليهم خيلاً يعلوهم بالامان
 فرجعوا الى بلادهم ، وورق عليهم مالا وطعاماً أقرضهم اياه ، فصلحت أحوالهم
 واغتنب الناس بالمهديّة لما رأوا من عدل النصارى فعمرت أحسن عمارة وسار
 الحسن الى عسكره الذي قدمنا أنه كان في نصره محرز بن زياد ^(٢) فلفيه محرز بالبر
 والاكرام ، وأنزله عنده فألقه هنالك أسماً ، وهو كاره للقامة لما يرى في عيني محرز
 من السامة ، فأحب الانتقال الى مصر . وهاليها اذذاك [الحافظ] عبد المجيد ،
 ابن محمد ، بن المنتصر ، بن الظاهر ، بن الحاكم ، بن العزيز ، بن المعز ، بن المنصور
 ابن القائم ، بن المهدي ، وباصمه كان الحسن يخطب في بلاده - فأبتاع من تونس
 مركباً أعد لسفراء فبعه جورجي بذلك فأعد له عشرين قطعة ترقب إقلاعه
 فعدل عن السفر الى مصر

ونظر في التوجه الى الخليفة عبد المؤمن بن علي وأنفذ كبار ولده يحيى وعمها
 وهيبه الى ابن عمه يحيى بن العزيز يستأذنه في الوصول اليه وتجديد العهد والسير

(١) ريد بالمهديّة الثابتة وبنها وبين المهديّة مقدار رمية سهم انظر الكلام عليها في صفحة ٢٧

(٢) قال ابن خلدون (١٣٢٠ - ١٣٠٠) محرز بن زياد الفنادي صاحب على بن خراسان صاحب تونس

من عنده الى عبد المؤمن ، فأذن له يحيى فسار اليه فلما وصل اليه لم يجتمع به يحيى وسيره الى جزيرة مرعبان هو وأولاده ، وود كل بهم من يمنعهم من التصرف ، فبقوا كذلك الى أن ملك عبد المؤمن بن علي بجاية ، وكان وزير يحيى ميمون ابن حمدون ، تلقى بني الحسن أحسن تلقى ، وكتب على لسان يحيى الى الحسن بالتوجه عما جرى عليه ، والتحريض على الوصول والمدول عما خطر بباله من قصد غيره ، فأهل الحسن محرز بن زياد بما كتب اليه ابن عمه ، فأشار اليه بالتركب عنه وأن يتوجه حيث ما أحب فهو خير له منه ، فلم يطمعه الحسن في التوجه الى بجاية ، فلما قرب منها ندب يحيى وزيره الى لقاء الحسن فامتنع عن ذلك ، وأمر أخاه قائد بن العزيز بالخروج الى لقاءه مع مشيخة البلد وأن يعدلوا به عن بجاية الى الجزائر فيكون مقامه بها ، ففعل أخوه ذلك وأنزله هو وأولاده بمدينة الجزائر في أمكنة لا تليق بهم وأجرى عليهم جرايات لا تكفيهم ، وأمر ميمونا بمراعاة أحوال الحسنة ، ومنعه من السفر والكتب الى الخليفة عبد المؤمن بن علي لما توقعه من استمالة عبد المؤمن به في أخذ بجاية ، فبالغ في التشديد عليه في ذلك وأقام بها ساكنا الى أن نزل عبد المؤمن المغرب الأوسط وقد قلب على جميع بلاد المغرب الاقصى وجميع جزيرة الاندلس وذلك سنة سبع وأربعين وخمسة مائة وقلب على مدينة الجزائر ، فاجتمع بالحسن هنالك رسار اليه وهو بمدينة متيجة وأقبل عن عبد المؤمن ، وقربه اليه واستصحبه معه ، وجعل الحسن يغريه على أخذ بجاية حسد الابن عمه ، ورضية في خروج الملك من يديه ليستوا في ذلك . فنزل عبد المؤمن الى بجاية والحسن معه ، فاستولى عليها ، على جميع أعطاش ، وكان ذلك بعد هزيمة صنهاجة بجبل زيري واعانة يحيى على نفسه بأنهما كانا لداثة واهال تدبير دولته ونفويضه الامر لغيره .

فلم استولى عبد المؤمن على بجاية فو يحيى من العزيزة منها في البحر وكان

مرامه التوجه الى بونة والنفوذ من ذلك الى بغداد فعلمه أن الخليفة العبيدي بمصر
ينقم عليهم انطلع الاول ، فلما وصل الى بونة جعل الحارث يتأفف منه وينفويه على
اهمال الملك ، فخرج عنه يحيى الى قسنطينة وبها اذ ذاك أخوه الحسن بن العزيز ،
فاكرمه وتخلي له عن الأمر فأقام بقسنطينة أياما يعصل أمره الى أن أناب الى الطاعة
ودخل في إيالة الموحدين ووصل الى الخليفة فأكرمه وأنزله مع ابن عمه الحسن
ابن علي ثم كانت لعبد المؤمن على المغرب الوقعة المعروفة « بوقعة سطيف » هزم
فيها طوائفهم وطلع الى حضرة مرا كش بجميع من حكم عليه ، ومن جلتهم
الحسن بن علي ويحيى بن العزيز وأسكنهما بمراكش في رفاهية ورزق جار
ولما كانت سنة ثمان وأربعين وخمسة واصل الخليفة الى سلا واستصحب
معه يحيى بن العزيز وأسكنه بها في بعض قصور بني عشرة ، واقام بسلا الى أن
مات هناك ودفن بمقابرها الجوفية (١) مما يلي البحر ثم عاد الى مراكش وبها
الحسن بن علي مقباً ، فلما وصل اليها لم يزل الحسن يفريه بالحركة الى افريقية
ويحضه عليها وعلى انقاد المهديّة من أيدي النصارى الى أن تفتت نفسه الى ذلك
فاخذ في الحركة اليها سنة أربع وخمسين وخمسة (٢) وكانت بيد رجار صاحب
صقلية ملك الافرنج وكان افتكها من يد الحسن في صفر سنة ثلاث وأربعين وخمسة

حصار رجار طرابلس

وكان رجار هذا سنة سبع وثلاثين وخمسة قصد طرابلس بأسطوله ليأخذها
لما علم أنهم لم يدخلوا يدماً في بيعة الحسن بن علي ، وكانوا قدموا عليهم مشايخ

(١) ينسب الصقلية

(٢) قال ابن خلدون منازل المهديّة (بن عبد المؤمن) وحاصرها اشهراً ثم افتتحها سنة ٥٥٥هـ وأسكن
بها الحسن فأقام هناك ثمانين سنين . ثم استمدد يوسف بن عبد المؤمن فارتحل بأهله يريد مراكش فهلك
بتلمسان في طريقه اه (ص ١٦٢ ، ج ٦)

من بني مطروح يدبرون أمورهم فظنّ أنهم لا يقدرّون على شيء ، فسير إليها
 أسطولاً فحاصرها أهلها ، وكان ذلك تاسع ذي الحجة ، فنازلوا البلد وقتلوه ،
 وعلقوا الكلاب في سوره و تقود حتى كادوا يأخذونه . فلما كان الغد نزل
 جماعة من العرب نجدة لأهل البلد فقوى بهم أهل البلد فخرجوا إلى [أهل]
 الأسطول وحلوا عليهم حملة منكّرة فانهزموا هزيمة فاحشة ، وقتل منهم خلق
 كثير ولحق الباقون بالأسطول ، وتركوا الأسلحة والأقال والدواب فنهبا
 العرب وأهل البلد ورجع الأفرنج إلى صقلية وتجهزوا وعادوا إلى المغرب فوصلوا
 إلى جيجل ، فلما رآهم أهل البلد هربوا منهم إلى البراري والجبال فدخلها
 الأفرنج وسبوا من أدركوا فيها وهدموها وأحرقوها وأحرقوا القصر الذي بناه
 يحيى بن عبد العزيز للتزّه وعدادوا

استيلاء رجار على طرابلس

ثم وجه لطرابلس أسطولاً كبيراً في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة فحاصروا
 بها براً وبحراً ثالث المحرم فخرج اليهم أهلها ونشب القتال ودامت الحرب بينهم
 ثلاثة أيام ، فلما كان الثالث صبح لافرنج في البلاد ضجة عظيمة وخلت الأسوار
 من المقتلة

وكان سبب ذلك أن أهلها كانوا قبل وصول الأفرنج بأيام يسيرة قد
 اختلفوا فاخرجت طائفة منهم بني مطروح وقدموا عليهم رجلاً من المشيخ
 يريد الحج ومعه جماعة ولوه أمرهم ، فلما نزلهم الأفرنج أعادت الطائفة الأخرى بني
 مطروح فوقع الحرب بين الطائفتين ، وخلت الأسوار ، فانهزم الأفرنج الفرسان ونصبوا
 السلايم وصعدوا السور واشتد القتال ، ملكت المدينة عنوة بالسيف ، فسفكوا
 دماء أهلها ، وأخذوا نسهم وأموالهم ، وهرب من قدر على الهرب .

والتجأوا الى البربر والعرب ، ثم نودي بالأمان في كافة الناس فرجع كل من فرّ منها وأقام الأفرنج ستة أشهر حتى حصنوا سورها ، وحفروا خندقها . ولما عادوا أخذوا رهائن من أهلها ومعهم بنو مطروح والمائم ، ثم أعادوا رهائتهم

ولاية رافع بن مطروح الأولى

على طرابلس

، ولوا عليهم رجلا من بني مطروح (١) وتركوا رهائنه وحده ، واستقامت أمور المدينة ، وانضم أهل صقلية والروم اليها فمرت سريعا وحسن حالها ، هذا ما لابن الأثير

وذكر التيجاني ان رجار أخذها سنة أربعين وخمسة بعد أن أخذ المهديّة وسبب ذلك أن أهلها في تلك السنة أصابتهم شدة عظيمة وبجاعة مهلكة هلك فيها الناس وفروا من أوطانهم ، فجهز اليها رجار الرومي صاحب صقلية أسطولا فحاصرها به وذلك بعد استيلائه على المهديّة وصفاقس واستقرار ولايته عليها . ووقع خلف بين أهل طرابلس أدنى الى قلب أسطول الروم عليها ، فأحسن قائده جرجي بن ميخائيل الى أهلها لما أضمره من تلك غيرها من البلاد الساحلية وأبقى جنده من المسلمين والصقليين وغيرهم وولى عليها شيخها أبا يحيى بن مطروح التيمي ، وجعل قاضيهم أبا الحاج يوسف بن زيري ، فكانت أحكام المسلمين كلها مصروفة الى واليهم وقاضيهم ، ولم يكن النصراني يتعرض لشيء من أحكامهم . وأقامت تحت قلب النصراني اثني عشر عاماً الى أن افتتح

(١) هو أبو يحيى رافع بن مطروح التيمي كما سيذكره قريباً . وولايته هذه كانت من قبل الأفرنج . وستأتي له ولاية ثالثة حينئذ الأفرنج واجلام عن طرابلس ، ثم أقره عليها عبد المؤمن بن علي خليفة أئمة أموحدين محمد بن تومرت

عبد المؤمن بن علي أ كثر بلاد افريقية فغاف النصرى أن يملكه أهل طرابلس فأحبوا أن يثيروا بين المسلمين الموحدين وأهل طرابلس عداوة ، فأمرهم أن يصعدوا المنابر ويتكلموا في جهة الموحدين بسوء ، وكان ذلك سنة أربع وخمسين وخمسة مائة لما بلغهم ملك عبد المؤمن أ كثر بلاد افريقية ، فأعظم ذلك أهل طرابلس واجتمعوا على قاضيهم أبي الحجاج ، فسفر بينهم وبين النصرى وأعلم النصرى ألا سبيل الى نيل ذلك ، وان الامر انما كان للمقد بينهم ألا يكلفوا المسلمين شيئاً مما يخالف أمر دينهم ، وذكر أهل الدين بسوء مما يخالف أمر دينهم ، فان رضوا منهم بذلك والا سلموا لهم البلد وخرجوا عنه ، فأعفاهم النصرى من ذلك وتعاقبوا على القيام عليهم والتخلص من أيديهم ، والسر والنجوى بذلك بينهم ، واتعدوا ^(١) ليلة معينة ، ونصبوا في تلك الليلة خشباً وأناشيط في الطرقت تمنع الخيل من الجري فيها وثاروا عليهم ، فبادر النصرى الى خيولهم وركضوها فلم يجد مجالاً ، فأخذوا قبضاً باليد وعاد البلد الى تملك المسلمين وكان قيامهم عليهم في سنة ثلاث وخمسين وخمسة مائة ^(٢)

(١) قال في تاريخ الصحاح : "والتعدوا القوم وعد بعضهم خصاً . هذا في الخبر وهو في نسخة ويقال

اتعدوا . اهـ

(٢) ٥٠٥ - التاريخ غير صحيح لانه ذكر انما بن النصرى اراد ان يملكه أهل طرابلس واهل طرابلس . وكان ذلك في سنة ٥٥٥ وذهب ان هذا قبل ان يملكه أهل طرابلس وهو سنة ٥٥٥ منهم . وكيف يقال هم روا عنهم سنة ٥٥٥ وهذا خطأ ان يكون هذا التاريخ روا عنهم واحرق قوم باليد ، وهذا في تاريخ الصحاح . قال في تاريخ الصحاح : "والتعدوا القوم وعد بعضهم خصاً . هذا في الخبر وهو في نسخة ويقال

٥٥٥

ولادة رافع بن مطروح الثانية

على طرابلس

وحكم على البلد شيعة [أبو يحيى بن مطروح التميمي ، وكان رجلا شهيا ، صانع العرب المحاورين له فاستقر حاله بها الى أن نزل الخليفة عبد المؤمن بن علي الى افريقية في سنة خمس وخمسين وخمسة مائة ، ووصلت اليه وفود البلاد فكان من جعلتهم هددا لئلا ، قدم بهم [أبو يحيى بن مطروح التميمي فبايعوا عبد المؤمن وأقر عليهم شيخهم أما يحيى بن مطروح التميمي المذكور ، فلم يزل محمود السيرة فيهم الى أن حزمي أيام أبي يعقوب بن عبد المؤمن ، وقيد الهرم فطلب التوجه الى الحج ، فسرحه السيد أنه ربد بن أبي حفص [محمد] (١) بن عبد المؤمن المذكور ، فتوجه بجميع أهله في البحر واستقر بالاسكندرية وكان دخوله لها سنة [ست وثمانين وخمسة مائة] (٢) وبها مات ، كما ذكره البيهقي في مياومه . وهو الذي أشد لما كان عصر:

لوقفة بين باب البحر صاحبة وباب هوارة وموقف الغم
اشهى الى النفس من كسر الخليج ومن دير الزحاج وشاطئ بركة الخدم
اه ما لتيحياتي

وذكر ابن الأثير أن عبد المؤمن قدم افريقية وبايمه أهل طرابلس سنة أربع وخمسين وخمسة مائة . والله أعلم أين ذلك كل ولم تستول عليها يد العدو من لئن الفتوح غير هذه المرة وسنة ست عشرة وتسعمائة (٣)

(١) الريادة من ابن خلدون

(٢) كانت بالأصل ٥٣٦ وهو عاط لأن ابن مطروح هذا كانت يمته لعبد المؤمن سنة ٥٥٥ أو ٥٥٤ على ما ذكره المؤلف وتاريخ اقاله الى الاسكندرية على ما في الاصل يقضى انه كان قبل سنة عبد المؤمن وهو غير صحيح والصحيح من ابن خلدون (ص ١٦٨ - ١٦٩)

(٣) سنة ٥٥٠ انظر الحاشية ص ٥٣

صلاح الدين يوسف بن أيوب أنما ملك هو وعمه أسد الدين شير كوه مصر بمجيش نور الدين محمود بن زنكي وقوة سلطانه ، وكانا من قواده وأهوانه . ولما توفي أسد الدين حدثت بين صلاح الدين بن أيوب ونور الدين زنكي وحشة ، وكان ذلك سنة ثمان وستين وخمسة ، احتاط صلاح الدين بسببها ، وقسم أمره بين بلاد اليمن وبلاد المغرب ، وبنى على الاندفاع أمامه إن وصله نور الدين وسبب الوحشة : أن صلاح الدين يوسف بن أيوب عهد من مصر الى بلاد الأفرنج غازيا ، ونازل حصن شوبك^(١) وبينه وبين الكرك يوم^(١) وحاصره وضيق على من به من الأفرنج ، وأدام القتال ، فطلبوا الأمان واستمهلوه عشرة أيام فأجابهم الى ذلك ، فصار مع نور الدين بن زنكي بما فعله صلاح الدين سار عن دمشق قاصداً بلاد الأفرنج أيضا ليدخلها من جهة أخرى ، فقبل لصلاح الدين : ان دخل نور الدين بلاد الأفرنج وهم على هذه الحالة أنت من جانب و هو من جانب ملكها ، متى زال الأفرنج عن الطريق وأخذ ملكهم لم يبق لك بديار مصر مقام مع نور الدين . وان جاء نور الدين اليك وأنت هاهنا فلا بد لك من الاجتماع به ويكون هو المتحكم فيك بما شاء ، ان شاء تركك فعل ، وان شاء غير ذلك فعل ، فلا تقدر على الامتناع عليه و المصلحة الرجوع الى مصر . فرحل عن الشوبك عائداً الى مصر ولم يأخذه من الأفرنج ، وكتب الى نور الدين يعتبر باختلال البلاد المصرية لأمور بلغت عن شيعة العلويين ، وأنهم عازمون على الوثوب بها وأنه يخاف عليها من البعد عنها أن يقوم أهلها على من يخالف بها فيخرجونهم وتمود ممتعة ، وأطال الاعتذار ، فلم يقبله نور الدين منه وتمير عليه

(١) الشوبك : بفتح ثم السكون ثم الياء الموحدة المفتوحة وآخره كاف : قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وأبلة وبحر القلزم - البحر الأحمر - قرب الكرك والكرك بفتح اوله وثانيه اسم لقلعة حصينة في اطراف الشام من نواحي الباعاء بين أبلة وبحر القلزم معجم

وعزم على الدخول الى مصر واخراجه منها . فلما سمع صلاح الدين الخبر جمع أهله وفيهم أبوه نجم الدين أيوب ، وخاله شهاب الدين الحازمي وغيرهم ومعه سائر الامراء وأعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين وحركته اليهم واستشارهم فلم يجبه أحد بكلمة . فقام تقي الدين عمرو بن أخي صلاح الدين فقال : اذا جاءنا قاتلناه ومنعناه عن البلاد ، وواقفه غيره من أهلهم ، فشتهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه ، وشتهم تقي الدين وأقصده ، وقال لصلاح الدين : أنا أبوك ، وهذا شهاب الدين خالك ونحن أ كثر محبة [لك] من جميع من ترى والله لورأينا نور الدين لم يمكننا الا أن نقبل الارض بين يديه ، ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفضلنا ، فاذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا وكل من رأى من الامراء لورأى نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سر وجهم ، وهذه البلاد له ، ونحن مماليكه ونوابه فيها فان أراد عزلك سمعنا وأطعنا . والرأي أن تكتب كتابا مع نجاب تقول : بلغني أنك تريد الحركة لأجل البلاد فأى حاجة الى هذا ؟ يرسل المولى نجاباً يضع في رقبتي منديلا ويأخذني اليك ، فما هاهنا من يمتنع عليك وقم الامراء وغيرهم فتفرقوا على هذا . فلما خلا به أبوه قل له : بأي عقل فعلت هذا ؟ أما تعلم أن نور الدين اذا سمع بغيرنا على منعه . فحربنا جعلنا أمر الوجود اليه وحبنا لانقوى عليه ، أما الآن اذا بلغه ، اجري وطاعتنا تركنا وتشاغل بغيرنا والأقربار تعمل عملها ، والله لو أراد نور الدين قصبه من قصب السكر لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل ، ففعل صلاح الدين ما أشار به ، فترك نور الدين تمجيل قصده واشتغل بالاهم عنها الى أن توفي سنة سبع و ستين وخمسائة وكان في تلك السنة شرع يتجهز للدخول الى مصر فأثمه أمر الله الذي لا مرد له وكان أسمر اللون طويل القامة ليس له لحية الا في حنكه وكان واسع الجسم حسن الصورة حلوا العينين ، وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له صاحب

الشريفيين ، وبإين لما دخلها شمس الدولة بن أيوب سنة إحدى عشرة وخمسة
وطبق ذكره الأرض بعدله وحسن سيرته

قال ابن الأثيره وقد طالمت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعد الخلفاء
الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ، ولا أكثر تحريفاً منه للعدل
وقد أتينا على كثير من ذلك في كتاب الباهري أخبار دولتهم . وإن ذكر هنا
نبذة مختصرة لعل من يقف عليها بمن له حكم فيتقدي به

فإن ذلك زهد ، وعبادة ، وعبادة ، وعبادة ، كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف
لا في أمته بل يخصه من مات كان به بعد استراجه من سهمه من الغنيمة ومن الأموال
لم صده لمصاح المسلمين . واتقد شكت إليه روجته من المضايقة فأعطاهها ثلاثة
دكا كين في حصص كانت به يحصل به منها في السنة نحو العشرين ديناراً ، فلما استقلتها
وربب لم إلا هذا ، وجميع ما في بدي أفا فيه خازن المسلمين ولا أخوتهم فيه ،
ولا أخوس نرحمهم لأحدك . كان يدين كثير بالليل وله أورااد حسنة فكان
كفيل :

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن الخراب في الخراب
وكان عارفاً بالفقهاء على منهب أي حنيفة ليس عنده فيه تعصب ومم
سعيث ، اسمه طبيب للاجر

وما عدله فإنه لم يترك في بلاده على سميتها مكسا ولا عشراً ، بل أطلقها
جديد ، في مصر والشام ، الجزيرة والموصل . وكان يعظم الشريعة ويقف عند
أحكامها . وأحضره انسا في مجلس الحكم فضى معه إليه ، وأرسل إلى القاضي
كمال الدين بن الشهرزوري يقول : قد جئت محاكاً ، فاسلك معي ما تسلك مع الخصوم
فظهر الحق له ، فوجهه للخصم الذي أحضره وقال : أردت أن أترك له ما يدعيه

تفت أن يكون الباعث لي على ذلك الكبر والافتة من الحضور الى مجلس الشريعة ، فحضرتة ووهبته ما يدعيه . وبنى دار العدل في بلاده فكان يجلس هو والقاضي فيها ، فينصف المظلوم ولو أنه يهودي من الظالم ولو أنه ولده .
وأما شجاعته فاليها النهاية ، فكان في الحرب يأخذ قوسين ليقاتل بهما ، فقال له القطب النساوي الفقيه : بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالاسلام فان أصبت في معركة لا يبقى من المسلمين أحد الا أخذهم السيف . فقال له نور الدين : ومن محمود حتى يقال له هذا ، من قبلي من حفظ الاسلام والبلاد ، ذلك الله الذي لا اله الا هو

وأما ما فعله من المصالح ، فانه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها قنبر دمشق ، حمص ، حمه ، و حلب ، ، شيزر (١) ، و حلبه ، وغيره . وبنى المدارس الكثيرة الحنفية والشافعية وبنى الخانات للصوفية ، وبنى الخانات في الطرق ، ووقف على الحجية الوقوف الكثيرة ، و حاصل وقفه في كل شهر تسعة آلاف دينار وكان يكرم العلماء ، أهل الدين ويعظمهم ويقدم اليهم ويجلس معهم ويتوسط ، ولا يرد لهم قولاً ، يكادهم بخنث يد . كان وفياً ، بهياً ، زاهياً .

وبنا بنى صلاح الدين على الاحباط بسبب أو تشبه بيده وبين نور الدين هم أمره بين بلاد اليمن وبلاد المغرب ، وبنى على الاندلس ما بين ان وصله نور الدين ، فوجه أخاه تورنساد الى اليمن فافتتحهم سنة سبع وستين ، وحبسهم في المغرب يفتحها ، وكانت طرابلس وافريقية والمغرب في يد الموحدين . و سخر نهي الدين في حركته ثم زهد في غزو أرض المغرب لما بينه وبينها من

(١) اسم قلعة بالبحر

العربان و المهالك

وقد سرى خبر تغريبه الى جمع من جنده وخواصه فاستبشروا بذلك وبنوا عليه ، فلما امتنع تقي الدين عن التغريب نفر بطائفة من جنده بمالوكه شرف الدين قراقش المتقدم المذكور وبأخري ابراهيم بن قراتكين^(١) سلاح دار المعظم ، وصف دار المعظم ، وسيد المعظم شمس الدولة بن أيوب الكردي أخو صلاح الدين المذكور . وكان ابن قراتكين في جند تقي الدين . فتوجه العبدان المذكوران لأرض المغرب مجتمعين حتى جاوزا العقبة ، فاتفق رأيهما أن يمتزقا لينفرد كل بما قدر له من الملك . فسار قراقش الى « سنتريه » وهي المعروفة في زماننا بسيوة واقتحمها وخطب فيها لصلاح الدين ولاخيه تقي الدين سيد قراقش من بعده وكتب اليهما بذلك . واقتح « أوجلة » و « زالة » وهي المعروفة عند العوام بزلة ، وأرال من فزان دولة بني خطاب الهواريين ، وكانت قاعدة ملكهم « زويلة »^(٢) وهي المعروفة بزويلة ابن خطاب ، وعذب ملكها محمود ابن خطاب بن سليمان بن عبد الله بن صنع بن خطاب^(٣) آخر ملوكهم على المال حتى هلك^(٤) وخطب فيها لصلاح الدين ولتقي الدين

(١) ابراهيم بن قراتكين نقل قصة حين حصرها المسور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في حرو ، مع قراقش وعلي بن غانية

(٢) زويلة : كسبية مدينة في فزان واقعة في الجنوب الشرقي من مرزوق : بينهما نحو ١٥٠ كيلو متراً ، ومنها الى مدينة غرامس مسيرة ٢٥ يوماً . وهي محطّة وسط الواحة الشرقية المتصلة بواحة مرزوق ، وكانت فيما مضى قاعدة لعزان . وتسمى بالاشراف لان غالب سكانها اشراف وكانت اكبر مما هي عليه الآن بنحو ثلاث مراك و دورها من طقة واحدة . وفي وسطها بقايا بناء ضخم قديم يقال انه كان قصرأ فيما مضى . ويقرب سورها الجنوبي مسجد لا يزال بحالة جيدة وبه محن متسع حوله اعمدة ضخمة ويقرب المدينة من الجهة الشرقية مكان قديم هي قبور اشراف استشهدوا في قتال كفار تلك التواحي وتسمى الآن قبور الصحابة . والارض حولها منبسطة خصبة كثيرة المياه افتتحها عقبة بن نافع سنة ٢٢ بعد فتح برقة

(٣) كانت بالأصل محمود بن خطاب بن بزلة بن عبد الله بن زفلس خطاب والنصح من ابن خلفون وتاريخ الناب

(٤) وموته اقرض ملك بني خطاب من فزان . وكان التحاق قراقش بزويلة سنة ٥٦٨ هـ

بمدينة قابس، وقويت نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع إفريقية لبعده يعقوب بن عبد المؤمن عنها. وتملك علي بن اسحق^(١) بجاية من يدعامل يعقوب سنة ثمانين وخمسائه فوجه اليه يعقوب عسكرياً واستبعدها منه

وسبب استيلاء علي عليها أنه لما سمع بوفاة يوسف بن عبد المؤمن عمر أسطولاً نحواً من عشرين قطعة وسار بجموعه فأرسل على ساحل بجاية وخرجت خيله ورجاله من الشواني^(٢) فكانوا نحو مائتي فارس من المسلمين، وأربعة آلاف رجل، فدخل مدينة بجاية بغير قتال، لانه اتفق أن واليها سار عنها قبل ذلك بأيام إلى مراكش، يتركها جيشاً، لا مانعاً لعدم عدو يحفظها منه فجاء الملم ولم يكن في حسابهم أنه بجدت نفسه بذلك فأرسل بها، ووافق جماعة من بقايا دولة بني حماد وساروا معه فكثرت جمعهم وقويت نفسه فسمع الخليل والي بجاية فعاد من طريقه، معه من الموحدين نحو ثلاثمائة فارس وجمع من العرب والقبائل الذين في تلك الجهات نحو ألف فارس. فسمع بهم الملم ونفق به منه، ونفذ إليهم وقد سار معه نحو ألف فارس، فالتفتاه توجّهوا اسدياً، وانضفت الجوع التي كانت مع والي بجاية إلى الملم، وانهزم وإليه ومن معه من المؤمنين وساروا إلى مراكش فجمع جيشه وخرج إلى أعمال بجاية فأطاعته جميعها إلا قسنطينة فحصرها إلى أن جاء جيش من الموحدين من مراكش في صفر سنة إحدى وثمانين وخمسائه أمد بجاية في البر والبحر، وكان بها يحيى وعبد الله أخوا على ابن اسحق الملم، فخرجاً منها سار بين ولحقاً أخيهما، فرحل عن قسنطينة وسار إلى إفريقية، صادقة قرقيش الأرمي وكانا يقمان الدعوة لبني العباس، واجتمع هليهما سليم ودباس ومن بأرض طرابلس إفريقية مما يليها من العرب، ووصل

(١) علي بن اسحق بن يوسف، من ثمانية وعرف ابن عابة، وهو من أعيان المسلمين الذين كانوا يرث العرب انقض. وهو صاحب جزيرة ميورة وقطن في حروم مع أهل مرلوة سنة ٥٨٤ هـ (٢) جمع شوني وهوانه لويح من مراكش البحر

اليهما من مصر مملوك لثقي الدين ابن أخي صلاح الدين اسمه بوزابه ، فكثر
جمعهم وقويت شوكتهم فلما اجتمعوا بلغت عدتهم مبلغاً كبيراً وكلهم كاره
لدولة الموحدين فاتبعوا علي بن اسحاق الملقب لانه من بيت المملكة والرياسة
القديمة ، واتقادوا اليه ولقبوه أمير المسلمين وقصدوا بلاد أفريقيا فلكوها
جميعها شرفاً وخراباً الا مدينتي تونس والمهدية فالت الموحدين أقاموا بهما
وحفظوها على خوف وضيق وشدة ، انضم الي الملقب كل مفسد في تلك البلاد
ومن يريد النهب والفساد والشر ، نفر بوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا
الحريم وقطعوا الاشجار . وكان الوالي على افريقية من قبل الموحدين عبد الواحد
ابن عبد الله الهنتائي وهو بمدينة تونس ، فرسل الي ملك المغرب يعقوب بن
يوسف بن عبد المؤمن بن علي وهو يبرأ كمش يعلمه الحال ، وقصد الملقب جزيرة
ماشو - وهي بمقربة من تونس اشتمل على قرى كثيرة - فنازلها وأحاط بها ،
وطلب أهلها الأمان فأجابهم وأمنهم ، فلما دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من
الغلات والدراب ، وسلبوا الناس ، وامتدت أيديهم الي النساء والصبيان
وتركوهما كى ، وقصدته فوس محاصرها وضيق على من بها حتى مات منهم خلق
كثير . وذا استولى على افريقية قطع الخطة لدي سبيلهم من وخطب الناصر
لدين الله العباسي ، وأرسل اليه يطلب الخدم والاعلام السود

وقصد في سنة اثنتين وثمانين مدينة قفصة فخرج من بها من الموحدين
وسلموها اليه فرتب فيها جنداً من الملقبين والأتراك ، وحصنها بالرجال مع
حصانتها في البلاد . ولما وصل الخبر يعقوب بن يوسف اختار من جنده عشرين
ألف فارس من الموحدين وقصد قلعة العسكر قلعة القوت في البلاد ، ولما جرى فيها من
التخريب والاذى ، وسار في صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسة فوصل الي مدينته
تونس ، وأرسل ستة آلاف مع ابن أخيه ، فساروا الي علي بن اسحاق الملقب

ليقاتلوه ، وكان بقفصة ، فوافوه وكان مع الموحدين جماعة من الترك فثاروا عليهم فلهزم الموحدون وقتل جماعة من مقدميهم ، وكان ذلك في ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين ، فلما سمع يعقوب الخليل أقم بمدينة تونس الى نصف رجب من السنة ، ثم خرج فيمن معه من الصاكر يطلب المثل والاتراك ، فوصل اليهم وانتقوا بالقرب من مدينة قابس واقتتلوا فلهزم المثلث ومن معه ، فأكثر الموحدون القتل حتى كادوا يفتنونهم ولم ينج منهم الا القليل ، قصدوا البر ورجع يعقوب من يومه الى قابس ففتحها وأخذ منها أهل قراقش وأولاده وحملهم الى مراکش ، ودانت له البلاد كلها : طرابلس وإفريقية

ثم أظهر قراقش الانابة الى الموحدين ومات على بن اسحاق الميورقي ، وتولى اخوه يحيى ، وكان ذلك سنة ست وثمانين وخمسة مائة ، ولحق قراقش بالسيد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن^(١) ، فأقام بهاز ما نأمت كرامته ثم انصرف عنها فاداً فرجع الى قابس وخادع أهلها حتى دخلها فقتل جماعة منهم ، وأظهر الرجوع عن الانابة واستدعى جماعة من أشيخ العرب القبايين فقتل أعيانهم ومن قتل منهم محمود بن طوق بن بقية - واليه تنسب الحمديد - وحديد ابن جارية في سبعين^(٢) ، واستولى عليها وعلى طرابلس بعد اتقاضهما عليه . ثم وقع

(١) ذكر في حدود ان قراقش نزع الى طاعة الموحدين سنة ٥٨٦ هـ باجر اليهم تونس ونقله السيد ابو زيد بن ارحم بن عبد المؤمن . ا هـ وانو رد هذا كان صاحب تونس اذ ذاك . وكان صاحب إفريقية والمغرب المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن

(٢) منهم قصر الروميير ، وهذا القصر بقابس احتله رافع بن مكي ، وقيل رشيد بن كامل وكلاهما من دهمان بن بني هلال

والحمديد قبيلة عربية طرابلسية مشهورة بكرة النفس والكرم ، وسأؤم شديداً التحجب لا يكاد الانسان يراهم ولا رثنا تعرف منهم هذا الى اليوم وهم يسكنون البادية وبيوت الشعر ولم رحلة في الصيف الى الزاوية يتفتنون فيها خلال الأشجار والخيل بالصارية وما اليها الى صرمان

وحديد بن جارية جد الحواري واليه يسود قبيلة عربية طرابلسية بها يسكن صرمان وبعضها يسكن النواحي الاربعة بين طرابلس وغريان

التغير بينه وبين يحيى بن اسحاق الميورقي ، وكان يحيى يبذل الجريد ، فسار الى طرابلس للقائه فراقش فخرج اليه فراقش وجعل عليها نائبا يقال له يا قوت المعروف بالافتخار والتقيا بحسن ، وهو الذي يقول في الشاعر :

ألا لاسقى الرحمن محسن قطرة ولا زال مغبر الجوانب محسن

وخيب قطيساً^(١) من الغيث كله ولا ابتل فيه للركائب فرس

وهو يعرف اليوم بوادي الهيرة : بهاء بعدها مثناه تحتية بعدها راء مهلة فكانت الوقعة ليحيى على فراقش وقعة شنيعة ، وفر فراقش للجبال وتوغل فيها وتبعه الميورقي أياما ثم رجع الى طرابلس وحصر بها يا قوتا نائب فراقش ، فلم يقصر في دفاعه ، وضبط البلد ضبطاً عظيماً ، فكتب الميورقي لأخيه عبد الله - وهو اذ ذاك صاحب ميورقة^(٢) من بلاد الاندلس يطلب منه الاعانة ببعض أسطوله فوجه اليه قطعتين ضيق بهما على طرابلس تضيقاً شديداً الى أن استولى عليها

استيلاء يحيى بن غانية على طرابلس

ولما تم له الأمر [امن على أهلها بالمعروف ، وأخذ يا قوتا فوجه في القطع التي وصلت اليه الى ميورقة فاعتقل بها ، ولم يزل هناك الى ان استولى الموحدون على ميورقة وذلك سنة تسع وتسعين وخمسة

ولما انفصل عنها استخلف عليها ابن عمه تاشفين بن الغاني فاقام بها مدة ثم قام عليه أهلها وأخرجوه منها ، وتوجه يحيى الى قابس واستولى عليها ، وبقيت

(١) قطيس : صفة مكسورة وطاء مكسورة معاندة ، اسم موضع تحت حال الغرين ، والمعنى الشراة

(٢) ميورقة ، منع لهم ويلتقى بها سالكين وأوردوا : حررة ارشادهم . . .

في حكم يحيى بن اسحاق الملقب الى أن وصل الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الى افريقية سنة احدى وستائة فاستنقذ قابس ، وبايعه أهل طرابلس ، وتردد عليهما حفاظ الموحدين من قبله ، ثم من قبل الشيخ ابن محمود ابن أبي حفص بن عبد المؤمن بعد انفصال الناصر واستخلافه اياه عليها . وكان يحيى ابن اسحاق لما استولى على البلدين طرابلس وقابس وأستقر عنده أن شرف الدين قراقش أقام بودان (١) فتوجه اليه بمن استصحب من العرب القبايين من أولاد محمود (٢) وجارية بن وشاح ، الموتورين من قبل قراقش وحصر بها الى أن فني طعامه وأعطى بيده سلا واشترط على العرب أن يقتلوه قبل ولده وكان شديد المحبة له . فلما خرج هو وولده اليهم قل له الولد يا أبت الى أين يروحوا بنا ؟ فقال الى حيث رحنا بشبابهم . فقتلوه وقتلوا ولده بعده وصلبه يحيى بظاهر ودان ويحيى هذا هو يحيى بن اسحاق المعروف بابن غانية من أعيان الملتئمين الذين كانوا ملوك المغرب واغتصبوه من أيدي زناته الذين ثاروا أيام الفتن بعد خراج افريقية عن بيعة بني عبيد وعي دولة رديئة مذمومة سيئة لا ديانة لها ولا سياسة . فلنذكر نسبهم وسبب توليهم تنبها للفائدة فنقول :

(١) ودان مدينة تقع على رأس جبل صغير كان بها سور وبه باب واحد يفتح الى الجهة الشرقية وفي الجهة الغربية منه قلعة . والآن تهدم السور ولم يبق منه الآن الا الباب وحواله شيء قليل وقد كثر عمرتها الآن وامتد خارج لسور ، وحواليه بكثير وهي تقع على مسافة ٣٤ ميلا الى الجنوب من مدينة طرابلس والى شمال زونة بنحو عشرة ايام فتحتها بسر بن ارطاة سنة ٢٢ ثم انتفض اهله ومنعوا ما كان بسر فرضه عليهم وفي أيام معاوية بن أبي سفيان ذهب اليها عتبة بن نافع و معه سر بن ارطاة في جيش عظيم حتى نزل غنطاس فافتحها سنة ٤٢ وخاض عتبة جيشه هناك واستخلف عليه زهير بن قيس البلوي ، ثم سار بنفسه في ٤٠٠ فارس ، و ٤٠٠ جمل يتبعه قربة ما . حتى تقدم ودان فافتحها واخذ ملكها شجاع انه فقال لم فعلت هذا وقد عاهدت المسلمين ؟ فقال عتبة : ادب لك اذا مسست انفك ذكرت فلم يحارب العرب ، واستخرج منه ما كان بسر فرضه عليه وهو ٢٦٠ رأساً

(٢) اولاد محمود لا زالون يعرفون بهذا الاسم وهم من العرب الرحل يسكنون البادية فيما وراء الجوش الى الجهة الغربية وبعضهم يسكن بمرن وهم شذ من الخليل

نسب الملتحين^(١)

هم عدة قبائل ينتسبون الى حمير أشهرها لمتونة ومنها أمير المسلمين يوسف بن علي بن تاشفين . وجدالة ، ولطة . وكان مسيرهم من اليمن أيام الصديق رضي الله عنه أمرهم بالمسير الى الشام وانتقلوا الى مصر ، ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع طارق الى طنجة وأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها الى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وتوجه رجل منهم يقال له الجوهر بن قبيلة جدالة الى افريقية طالباً للحج وكان محباً لدين ، فمر بفتية بالقيروان وعنده جماعة يتفقهون قيل هو الفقيه أبو عمران الفاسي ، فأصغى اليه الجوهر وأعجبه حاله فلما رجع من حجه قال للفتية ما عندنا من هذا في الصحراء شيء خير الشهادة الصلاة في بعض الخاصة فابعث معي من يعلمهم شرائع الاسلام ، فبعث معه جلا اسمه عبد الله بن ياسين الكردي^(٢) ، وكان فقيهاً صالحاً شهماً ، فسار معه حتى أتيا قبيلة لمتونة فنزل الجوهر من جملة وأخذ بزمام رجل ابن ياسين فعلقها للاسلام فأقبلوا على الجوهر بهنونه بالسلامة وسألوه عن الفقيه فقال : هذا رجل حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء يعلمكم دين الاسلام ، فرحبوا بهما . أنزلوهما ، وقلوا تذكرونا شريعة الاسلام ، فعرفهم عقائد الاسلام وفرائضه قالوا : أما ما ذكرت من الصلاة والزكاة فهو قريب ، وأما ما قلت من قتل يقتل بمن سرق يقطع ، ومن زنى رجم ، أو جلد ، فأمر لانأترمه فاذهب انميرنا . فرحل عنهم فنظر الى الفقيه شيخ كبير وقل لا بد أن يكون لهذا الجمل في هذه الصحراء

(١) الملتحون قبائل عربية كانت تسكن الصحراء الكبرى ، وكانوا من بين الجبل يتقبلون منها الاسلام .
 (٢) التالفة ، واول من سماه المرابطين عبد الله بن ياسين ، وهم اول من دعاهم الى قتال من الملوك الكفرة
 نسكهم الاسلامية

(٣) قال ابن خلدون : عبد الله بن ياسين بن لك الجروني

شأن يذكر في العالم ، فاتتهى الجوهر والفقير الى جدالة قبيلة الجوهر فدعاهم عبد الله
ابن ياسين والقبائل الذين يجاورونهم الى حكم الشريعة فمنهم من أطاع ومنهم من أعرض
وعصى . ثم ان التحالفين لهم تجبروا وتجمعوا فقال ابن ياسين للذين أطاعوا توجب
عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وانكروا شرائع الاسلام واستعدوا لقتالكم
فأقيموا لكم راية وقدموا عليكم أميراً . فقال الجوهر أنت الامير فقال إنما انا حامل
أمانة الشريعة ولكن أنت الامير ، فقال الجوهر لو فعلت هذا لتسلط قبيلي على
الناس ويكون زر ذلك عليّ فقال له ابن ياسين الرأي أن نولى ذلك أبا بكر بن
عمر رأس لمتوفاه وكبيرها (١) وهو رجل سيد مشكور الحال مطاع في قومه ومستجيب
لنا ، يحب الراسة ويقبضه قومه فنتقوى بهم . فأتيا أبا بكر بن عمر ، فعرضوا عليه
ذلك فأجاب ، ففقدوا له البيعة وصاحه ابن ياسين « أمير المسلمين » وعادوا الى
جدالة وجمعوا لهم من حسن اسلامه ، وحرضهم عبد الله بن ياسين على القتال في
سبيل الله وصحاه المرابطين ، وتجمع عليهم من خالفهم فم يقاتلهم المرابطون ،
واستعان ابن ياسين وأبو بكر بن عمر على أولئك الاشرار بالصالحين من قبائلهم
فاستلومهم وقربوهم حتى أحاطوا بنحو ألفي رجل منهم من أهل البغي والفساد
فركوهم في مكان واحد وخندقوا عليهم وحفظوهم وأخرجوهم قوما بعد قوم
وقتلهم فيبئذ ذلت لهم أكبر قبائل الصحراء وهابوهم وقويت شوكة المرابطين .
هذا وعبد الله بن ياسين مشتغل بالعلم وقد صار عنده منهم جماعة يتفقون
ولما استبد بالامر هو وأبو بكر بن عمر عن الجوهر الجدالي وبقي لاحكم له
داخله الحسد وشرع سرا في افساد الامر ، فلم بذلك منه وعقد له مجلس ومثبت
عليه ما نقل عنه فحكم عليه بالقتل لأنه فكث البيعة وشق العصا وأراد محاربة

(١) هو ابو بكر بن عمر بن نلاكين ، وولاه ابن ياسين أمر المرابطين سنة ٤٤٧ هـ وهو الذي خرج من
الصحراء بميوش المرابطين لفتح المغرب ، وقبل ان يتم فتحه عاد الى الصحراء واستعمل عليه يوسف بن تاشفين

أهل الحق ، قتل بعد أن صلى ركعتين وأظهر السرور بالقتل طلباً لبقاء الله تعالى . وأجمعت القبائل على طاعتهم ، ومن خالفهم قتلوه ، وبقوا على ذلك إلى سنة خمس [وأربعين ^(١)] وأربعمائة فمطحت بلادهم فأمر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج إلى السوس وأخذ الزكاة ، فخرج منهم تسعمائة رجل وقدموا سجدة وطلبوا الزكاة فجمعوا لهم شيئاً قدره الله وعادوا

ثم إن الصحراء ضاقت بهم وأرادوا اظهار كلمة الحق والعبور إلى الأندلس ليجاهدوا الكفار ، فخرجوا إلى السوس الأقصى [سنة ٤٤٥هـ ^(١)] فاجتمع لهم أهل السوس وقتلهم فانهزم المرابطون وقتل عبد الله بن ياسين الفقيه [سنة ٤٥٠هـ ^(١)] وعاد أبو بكر بن عمر وجمع جيشاً وخرج إلى السوس في ألفي راكب فاجتمع من بلاد السوس و زناة اثنا عشر الف فارس فأرسل إليهم وقل : افتحوا لنا الطريق لتجوز إلى الأندلس ونجاهد اعداء الاسلام فأبوا ذلك ، فصلى أبو بكر ودها الله تعالى ، وقل : اللهم ان كنا على الحق [فانصرنا] وإلا فأرحنا من هذه الدنيا ثم قاتلهم وصدق هو وأصحابه القتال فنصرهم الله تعالى وهزم أهل السوس ومن معهم ، وأكثر القتل فيهم وغنم المرابطون أسلابهم وأموالهم ، وقويت نفسه ونفس أصحابه وساروا إلى سلجاسة فنزلوا عليها وطلبوا من أهلها الزكاة فامتنعوا عليهم ، وسار إليهم صاحب سلجاسة ، فاستولوا عليها وكان ذلك سنة ثلاث وخسين وأربعمائة واستعمل عليها يوسف بن تاشفين الممتوني وهو من بني عمه الأقربين ورجع إلى الصحراء ، فأحسن يوسف السيرة في الرعية ولم يأخذ منهم سوى الزكاة فأقام بالصحراء مدة

ثم عاد أبو بكر بن عمر إلى سلجاسة فأقام بها سنة والخطبة والأمر له والنهي ، واستخلف عليها ابن أخيه أبا بكر بن إبراهيم بن عمر و جهز مع يوسف بن تاشفين

(١) الزيادة من ابن خلدون

جيشاً من المرابطين الى السوس ففتح على يديه
 وكان يوسف ديناً حازماً داهية مجرباً^(١) . وبقوا كذلك الى سنة اثنتين وستين
 وأربعمائة . وتوفي أبو بكر بن عمر بالصحراء [سنة ٤٨٠هـ^(٢)] فاجتمعت طوائف
 المرابطين^(٣) على يوسف بن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه أمير المسلمين
 وكانت الدولة في المغرب لزقاته الذين ثاروا في أيام الفتن وهي دولة رديئة
 مذمومة السيرة لا سياسة لها ولا ديانة . وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السنة
 واتباع الشريعة فاقبدي به أهل المغرب ، فسار اليها وافتتحها حصناً حصناً ، وبلداً
 بلداً بأيسر سعى ، وأحبه الرعايا وصلحت احوالهم .

ثم انه قصد موضع مدينة مراکش وهو قواع صنف لاعمارة فيه وهو موضع
 متوسط في بلاد المغرب - كالتيروان بافريقية - تحت بلاد المصامدة الذين هم
 أشد أهل المغرب قوة وامنهم ، فاختط هناك مدينة مراکش [سنة ٤٦٥هـ^(٤)] ليقوى
 على قمع أهل تلك الجبال ان هموا بفتنة واتخذها مقراً ، فلم يتحرك أحد
 بفتنة ، وملك البلاد المتصلة بالمجاز مثل سبتة وطنجة وسلا وغيرها . وكثرت
 عساكره ، وخرجت جماعة لمقونة : قبيلة وغيرهم من الصحراء وضيقوا حينئذ
 لثامهم ، وكانوا قبل أن يملكوا يتلمشون في الصحراء من الحر والبرد كما يفعل
 العرب . والغالب على ألوانهم السمرة فلما ملكوا البلاد ضيقوا اللثام
 واختلف في سبب التزامهم اللثام ، فقيل ان طائفة من لمقونة خرجوا غازين

(١) قال ابن خلكان . وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي

(٢) الزيادة من ابن خلدون

(٣) كانت ناصب الموحدون ، وهو خطأ لان يوسف بن تاشفين من المرابطين وهم الملتصقون اصحاب
 أبو بكر بن عمر . وقد مات يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ والموحدون هم اصحاب المهدي والمهدي قام بدعوته
 سنة ٥١٤ هـ في زمن علي بن يوسف بن تاشفين ، وهم الذين قضوا على دولة المرابطين في زمن اسحاق بن
 علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٤٢ هـ

وكان اذا وعظه أحدهم خشم عند استماع الموعدة ولان قلبه لما وظهر عليه أثرها
 وكان يوسف حليماً كريماً دينياً يحب الصفيح عن الامور العظام : فمن صفحه
 أن ثلاثة نفر اجتمعوا فتمني أحدهم ألف دينار يتجر بها ، وتمني الآخر عملاً
 يعمل فيه لأمر المسلمين ، ومعنى الآخر زوجته النغز اوية^(١) وكانت من أجل النساء
 وأمن عقلاً ولها الحكم في بلاده ، فبلغه الخبر فاحضرم فأعطى تمني المال ألف
 دينار ، واستعمل الآخر ، وقال للتمني الزوجة ما حملك على هذا بأجاهل . ثم
 أرسله اليها فتركته ثلاثة أيام في خيمة تحمل اليه كل يوم طعاماً واحداً ثم أحضرتة
 وقالت . ما أكلت ول : طعاماً واحداً ؟ فقلت : كل النساء شيء واحد ، وأمرت
 له بمال و كسوة وأطلقته . فانظر هذا الصفيح . ولم تؤثر عنه رذيلة الا ما فعل
 بالتمني بن عباد وبفيه لما أفنتك بلادهم وأخذهم أسارى

وكان يوسف قد سير العسكر مع سير بن أبي بكر^(٢) وحاصر المعتمد بأشبيلية
 واخذها سنة أربع وثمانين و أربعمائة وقتله أهلها قتلاً شديداً وظهر من شجاعة
 المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه ، فكان
 يلقي نفسه في المواقف التي لا يرجي خلاصه منها ، فلم بشجاعته وشدة بأسه ولكن
 « إذا نفست المدة لم تكن العدة »

و لم يزل الحصار دائماً والقتال مستمراً الى [يوم الأحد] عشرين من رجب
 من هذه السنة فعظمت الحرب ذلك اليوم ، واشتد الامر على أهل البلد ، ودخله
 المرابطون ونهب جميع ما فيه وسلب الناس ثيابهم ، فخرجوا من مساكنهم

(١) اسمها زينب بنت اسحاق ، تزوجها يوسف بن علي بن عبد الرحمن ، ثم تزوجها بعده لقوط بن
 يوسف بن علي المرادي . ثم تزوجها بعده ابو بكر بن عمر . ولما رحل الى الصحراء واناب عنه يوسف بن
 تاشفين عن المغرب تنازل له عنها . (ابن خلدون)

(٢) زاد ابن خلدون : ابن عمه وركوت

يسكون عوراتهم بأيديهم ، وأخذ المعتد أسيراً (١) وأولاده القكور والاناث
بعد أن استأصلوا جميع ما لهم فلم يصحبهم من ملكهم بلقة زاجر وسير المعتد
وأهله الى « مدينة أغيات » فحبس فيها وفعل معهم أمير المسلمين يوسف أفعالا لم
يسلكها أحد ممن قبله ولا يقطها أحد ممن يأتي بعده الا من رضي لنفسه بهنه
الرديلة وذلك أنه سجنهم ولم يجز عليهم ما يقوم بهم حتى كانت بنات المعتد يفرزن
للناس بأجرة ينفقنها على أنفسهن . فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر
نفس ولؤم طبع

وأغيات هذه مدينة في سفح جبل بالمغرب بمقربة من مدينة مراكش بينهما

(١) هو المعتد على الله ابو القاسم محمد بن المعتد بالله ابى عمرو عباد بن النعمان المؤيد بالله ابى القاسم
محمد قاضي شيلية ، ان ابى الوليد اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسد بن عمرو بن عثمان بن عمرو
الغصني من ولد النعمان بن المذر الغصني آخر ملوك الحيرة . وكان المعتد - المتأور صاحب قرنة بشيلية
و - والآم من جزيرة الاندلس . وفيه وفي ابيه يقول بعض الشعراء :

من نبي المذؤوب وهو النعمان - زاد في شرح نو ع -

فتية لم تند سواها المصالي والمعلبي الأولية لاولاد

واصلهم من العريش - قرية تفصل بين الشام ومصر - واولاد من فحس منهم ان الانسان هو ابنه
عطاف واستوطنوا شيلية ، اول من تولى الملك منهم الظاهر محمد بن عباد وهو المشايخ . وذلك سنة
وغيرها سنة ٤١٤ وكان من اهل العلم والادب ووفى ان الاحداث سنة ٤١٤ هـ .
وقدم بالامر منه سنة ٤١٤ هـ وسرو عنه . وكنى بـ « ابي سفيان » وكان من شعراء
ملكه . ذكر سنة ٤١٤ هـ وهو يوم الاثنين ثمان مائة هـ . سنة ٤١٤ هـ . من تولى الملك
٤١٤ هـ ولده المعتد على . و هو من سجد وكان من سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ .
حصن من على ارضه وهى من الصخرة يوم الجمعة . سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ .
يجتمع بهن وكان له شعر كثير في الكهنة عن ابنه .

ولما استتج - موت لاندلس برويس بن المشين عن الامويين . سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ .
واجتمع وتم النصر مسلمين دعاء المعتد . وسبع ابن تميمي ائتمن ببيتا سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ .
ابن عباد وظيفته ماسكة ورهفة سنة ٤١٤ هـ . يكنى بـ « ابي اسد » من سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ .
بأخذ الانسان فانخذها وفعل من سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ .
ولادة ابن عباد في شهر ربيع الاول سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ .
وخلع يوم الاحد لعشرين من سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ . سنة ٤١٤ هـ .
وقيل في ذى الحجة سنة ٤١٤ هـ . وورد في حياته في الصلاة على العريش . سنة ٤١٤ هـ .

نحو اثني عشر ميلاً . كذا ذكره صاحب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق »
 قلُّهُ : وأغات وريكة أسفل جبل درين^(١) من شماليه في فحص أفصح طيب
 التراب أكثر النبات والأعشاب والمياه تخرقه يميناً وشمالاً ، وتطرد بساحتها
 ليلاً ونهاراً وحوها جنات محدقة وبساتين وأشجار ملتفة ومكانها أحسن مكان
 من الأرض منفرجة الأرجاء ، طيبة الثواء ، عذبة الماء ، صحيحة الهواء ، وبها
 نهر ليس بالكبير يشق المدينة ويأتيها من جنوبها فيمر إلى أن يخرج من شماليها
 وعليه أرحاؤم - آلات يطلعون بها الخنطة - وهذا النهر ، يدخل المدينة يوم
 الخميس ويوم الجمعة والسبت والاحد ، وباقي الجمعة يأخذونه لسقي جناتهم
 وأرضهم ويقطعونه عن البلد فلا يجري منه إليها شيء ، فيكتنفها جبل درين فإذا كان
 زمن الشتاء تحللت الثلوج النازلة بجبل درين فيسيل ذوباتها إلى مدينة أغات ،
 وربما جمده به النهر في وسط المدينة حتى يجتاز الأطفال عليه وهو جامد فلا ينكسر
 لشدة جموده

وأهلها هوارة من قبائل البربر المتبر برين بالمجاورة ، وهم أملياء تجار ميامير
 يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الاموال من النحاس
 الاحمر والمون والاكسية وثمانب الصوف والمعائم والمآزر وصنوف النظم من
 الزجاج والاصداف والاحجار ، وضروب من الافاوية والمطر وآلات الحديد
 المصنوع . وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله الا وله في قوافلهم المائة رجل
 والسبعون جملاً كلها موقورة .

ولم يكن في دولة الملثمين أحد أكثر منهم أموالاً ولا أوسع منهم أحوالاً

(١) ودرين هذه موضع بالقرب في مراكنش ، ولما مر بها المعتمد وهو أسير انشد لنفسه :

هدى جبال درن محدوة بالدرن
 باليتني لم أرها وليتها لم ترني

وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم . وذلك أن الرجل منهم إذا ملك أربعة آلاف دينار يمسكها مع نفسه وأربعة آلاف يصرفها في تجارتها أقام على عيين بابه وعن يساره عمودين من الأرض إلى أعلا السقف وبنياتهم بالآجر والطوب والطين ، فإذا مر الناظر بدار ونظر إلى تلك العمود مع الأبواب قائمة وهدا علم من عدد ها كم مبلغ مال صاحب الدار ، لانه قد يكون من هذه العمود خلف الباب أربع وست مع كل عضادة اثنتان أو ثلاثة إلى آخر ما ذكره

ولم يزل المعتمد بها مسجوناً إلى أن توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وكان المعتمد من محاسن الدنيا كريماً وعلماً وشجاعة ورئاسة تامة ، وأخباره مدونة وآثاره مشهورة ، وله أشعار حسنة ، فمنها ما قاله لما أخذ ملكه وحبس :

سَلَّتْ عَلَيَّ يَدُ الْخَطُوبِ سَيُوقَهَا فَنَجِّذُنْ مِنْ جَسَدِي الْخَصِيبِ الْأَمْتَنَا
ضَرَبَتْ بِهَا أَيْدِي الْخَطُوبِ وَإِنَّمَا ضَرَبَتْ رِقَابَ الْأَمْلِينَ بِهَا الْمُنَى
أَمْؤَلُو الْعَادَاتِ مِنْ نَفْحَاتِنَا كُفُّوا فَإِنَّ النُّهْرَ كَفَّ أَكْفُنَا
وله من قصيدة يصف القيد في رجله :

تَعْطَفُ فِي سَاقِي تَعْطَفُ أَرْقَمُ يَسَاوُرُهَا هَضْبًا بِأَثْيَابِ ضَيْغَمٍ
وَإِنِّي لَمَنْ كَانَ الرِّجَالُ بِسَيْبِهِ وَمَنْ سَيْفِهِ فِي جَنَّةٍ وَجْهٌ (١)

وله في يوم عيد اذ جاءته بناته حافيات عليهن ثياب مهنة إذ كن لضيق العيش يفتزلن للناس بأجرة حتى أن إحداهن كانت تفتزل لبفت صاحب شرطة أبيها اذ كان في سلطانه .

[فَيَاهُ مَضَى كُنْتِ بِالْأَهْيَادِ مَسْرُورًا فَسَاءَ لَكَ الْعَيْدُ فِي أَغْمَاتِ مَأْسُورًا]

(١) وتالم مُعْتَمِدُ يَوْمًا مِنْ صَبِيحِ قَبِيهِ وَتَقَالَةُ نَقَالُ :

تَمَالَتْ مِنْ تَالٍ عَنِ الشُّوْدِ	عَنِ الْعَيْدِ وَهِيَ الْعَيْدُ
وَكَانَ حَرِيصِي سَابِقًا سَيْفًا	وَمِنْ رِقَابٍ سَقِيلٍ أَلْمِينِ
وَقَدْ صَارَ دُكُورًا مَسْرُورًا	مِنْ أَسْرِ عَسْ فَارُورًا

تري بناتك في الأطوار جامعةً
 يفرزن للناس لا يملكن قطميرا
 يرزن نحوك للتسليم خاشعةً
 أهبأرهن حسيرات مكاسيرا
 يعلان في الطين والأقدام حافيةً
 كأنها لم تغطا مسكا وكافورا
 لا خد إلا تشكي الجذب ظاهره
 وليس الامع الأنفاس مطورا^(١)
 قد كان دهرُك إن تأمره ممتثلا
 فردك الدهر منهباً ومأمورا
 من بات بعدك في ملك يسر به
 فأنما بات بالأحلام مغرورا
 وله لما وفد عليه بأخيات شاعره أبو بكر بن اللبانة حين أنشده القصيدة الفائية
 التي أنشأها فيه الآتي ذكرها وعزم على الانفصال عنه بعث اليه بعشرين ديناراً
 وشقة بغدادية :

اليك النزر من كف الأسير
 فان تقبل تكن عين الشور
 تقبل ما يذوب له حياء
 وان عذرت حالات الفقير
 وكانت الشعراء يكاتبونه وهو في السجن بالانظم : الذر يتوجمون له
 ويذمون الزمان وأهله حيث منله منكوب
 قل شاعره أبو بكر بن اللبانة زرته بعد أسره بأخيات وقلت أيبانا عند
 دخولي اليه منها :

لم أقل في النفاق كان مثاقفاً
 كنت قلباً به وكان شفافاً
 يمكث الزهر في الكمام ولكن
 بعد مكث الكمام يبدو قطافاً
 وإذا ما الهلال غاب مضياً
 لم يكن ذلك المغيب انكشافاً
 أما أنت درة للمعالي
 ركب الدهر فوقها أصدافاً
 حجب البيت منك شخصاً كريماً
 مثل ما يججب الدنان سلافاً
 أنت للفضل كعبة ولو اني
 كنت أسطيع لالتزمت الطوافاً

(١) روى ابن خلكان هذا البيت مكث : لا جد الا وهكوا الجذب ظاهره وليس الامع الانفاس مطورا

ومن كاتبه عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي
الشاعر المشهور بأبيات يذكرونها مسيرة عن أشبيلية إلى أغات تمريراً وهي
جواب عن قول المعتمد: «تعطف في ساقى» البيتين المتقدمين وهي هذه:

جري لك جدُّ بالكرام عثور وجرار زمان كنت منه يجير
لقد أصبحت بيض الطلاني غمودها إنانا لترك الضرب وهي ذكور
أتأس من يوم يناقض أمسه وشهب الدراري في البروج تدور
ولما رحلت بالندى في أكفكم وقلقل وضوى منكم وئبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت ألا فانظروا كيف الجبال تسير

ورثاه أبو بكر بن اللبابة عند حادثته بمدة قصائد منها قول:

تبكي السماء بمن رشح غاد على البهاليل من أبناء عباد
عريسة دخلتها النائبات على أساود منهم فيهم وآسد
وكعبة كانت الآمال تخدمها فاليوم لا عاكف فيها ولا ياد
ياضيف أقفريت لكرمات نخذ في ضم رحلت واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل وادهم ليسكنه خف القطين، حف الزورع بالوادي

إلى أن قال:

حط القناع فلم تدر نهدرة ومزقت روحه، زريق إيراد
حان لوداع فضجت كل صرخة وصارت من مفناة ومن فاد^(١)
ولم قتل ولدا المعتمد بين يديه حين أخذ أسيراً صبراً، وهم: أبو الفتح

الرشيد، ويزيد أشد:

يقولون صبراً لا سبيل إلى الصبر سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
[هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه يزيد فهل بعد الكواكب من صبر]
أفتح لقد فتحت لي كل رحمة كما يزيد بش قد زدني أجري

(١) هذه الأبيات من قصيدة عن أبيات ١٩ يشتم في وصف له عبد الرحمن المستنير بالله بعد أن
عالت دولتهم وهي - سورة في ثلاثه أمبار.

هوى بكما المقدار عني ولم أمت فادعى رفيقاً قد نكصت إلى القدر
 ولو عدتما لاخرتما العود في الثرى إذا أتتا أبصرتما في الأسر
 أبا خالد أورتني البث خالداً أبا النصر منوذةت ودعني نصري^(١)
 وكان ابنه الرشيد جرت له حادثة قبل أخذ المرابطين اشبيلية شبهة بحادثة
 الأمين بن هارون الرشيد . قال أبو بكر بن عيسى بن اللبابة الدائي : كنت يوماً
 عند الرشيد بن المعتد في مجلس أُلِّسه سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، فخرى ذكر
 غرناطة وملك أمير المسلمين بن تاشفين لها . قال فلما ذكركناها تفجع وتلمت
 واسترجع وذكركنا قصريها فدعونا لفصره بالدوام ، وملكه بتراخي الأهوام ، فأمر
 عند ذلك أبا بكر الاشبيلي بالفناء فغنى :

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالفُ الامد
 قال فاستحالت مسرته ، وتجهمت أسرته ، ثم أمر بالفناء من وراء
 ستارة فغنى :

إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبر فالنظر إلى أي حال أصبح الطلل
 فتأكد تطيره واشتد ار بداد وجهه وتغيره ، وأمر مغنية أخرى بالفناء فننت :
 يالهن نفسي على مال أفرقه على المقلين من أهل المروآت
 إن اعتداري إلى من جاء يسألني ماليس عندي من إحدى المصيبات
 قال ابن البانة فتلانفت الحال بأن قتت فقلت :

حلل مكرمة لاهد مبناه وشمل مأثرة لاشتت الله
 للبيت كالبيت لكن زاد ذا شرقاً أن الرشيد مع المعتد ركناه
 ثلوا على أنجم الجوزاء مقعده وراحل في سبيل الله مشواه

(١) هذه الايات من قصيدة عدة لياتها ١٦ يتأذكرت في قلائد العقيان ايضاً ولها تير الاحزان
 وتبيح المسجون

حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت بالشرق والغرب عيناه ويسراه
 فلمعري لقد بسطت من نفسه وأصدت عليه بعض أنسه ، على أي وقعت
 فيها وقع فيه الجميع بقولي : البيت كالبیت الخ وأمر إثر ذلك بالغناء فغنى :
 ولما قضينا من مفي كل حاجة ولم يبق إلا أن نزم الركايب
 قل : فأيقنا أن هذه الطيرة تعقبها الغيرة ، فلم يمض إلا قليل من الدهر حتى
 حاصر اشبيلية عسكر أمير المسلمين وضيق عليها فقاتل أهلها قتالا شديدا وظهر
 من العتد ما ذ كرنا ، وانقضت أيامه فصبحان من لا يحول ملكه ولا يزول
 ولنرجع لذكر ابتداء دولة الموحدين للخول طرابلس تحت بيعتهم فنقول :

ظهور دولة الموحدين

كان ابتداء دولتهم سنة أربع عشرة وخمسة ، وأول من أقامها المهدي أبو
 عبد الله محمد بن عبد الله تومرت^(١) العلوي الحسني المصمودي المرخي نسبة إلى
 هرغة^(٢) نخند من المصادمة^(٣) كانوا يسكنون جبل السوس من بلاد المغرب زلوه
 لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير وكان قد رحل في شيبته إلى بلاد المشرق
 لطلب العلم فتنقه ، وكان فقيها عالما فاضلا حافظا للحديث عارفا بأصول الدين والفتنة
 متحققا بعلم العربية ، وكان ورعا قاسكا ، ووصل في رحلته إلى العراق فاجتمع بالفرزالي

(١) كانت بالأصل محمد بن عبد الله ابن تومرت . وقد قل ان -لديون محمد بن تومرت - وهو اسم
 عبد الله وتومرت . هل ابن خاسكان وتومرت بعد انه نشأ من عودها وسكون أواد ورجع به وسكون
 الرء بعدها ثم نشأ من فوقها وهو اسم برري

(٢) كانت بالأصل المرخي نسبة إلى هرغة والنسب يرجع من إر -لديون ابن حديد من -لديون
 وهرغة منج الماء وسكون لراء و بعدها بنج معجبة قبله من المصاء -

(٣) المصادمة من ولد مصمود بن يونس ، ومما ذكره في ذلك الأثر وهو

والكبا وأبي بكر الطرطوشي بالاسكندرية . وقيل إنه جرى له حديث مع الغزالي فيها فله بأرض المغرب من التملك ، فقال له الغزالي إن هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يعكر وقوعه لأمثالنا ، هكذا قل بعض مؤرخي المغرب ، والصحيح أنه لم يجتمع به فحجج من هناك وعاد إلى المغرب ، ولما ركب البحر من الاسكندرية مقربا غير المنكر في المركب وأزم من به بإقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى إلى المهدي سنة خمس وخمسة وبعث بها حينئذ يحيى بن نعيم فنزل بمسجد قبلي مسجد السبت وليس معه سوى ركوة وعصا وتسامع به للناس فقصدوه يقرأون عليه أنواع العلوم وكان إذا مر به منكر غيره وأزاله فلما كثرت ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه واحترمه وسأله الدعاء ورحل عن المهدي وأقام بالمستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار إلى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فأخرج منها إلى قرية بالقرب منها اسمها ملالة فلقبه بها عبد المؤمن بن علي ^(١) فرأى فيه من العجوبة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالأمر ، فسأله عن اسمه وقبيلته فأخبره أنه من قيس عيلان ثم من بني سليم فقال ابن تومرت هذا النبي بشر به النبي ﷺ حين قال : « إن الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس قبيل من أي قيس فقال من سليم » فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن بمدينة تاجرارة من عمل تلسان ^(٢) وهو من بني عامر قبيلة من كومة أنزلوا بذلك الأقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدي ملازما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه إلى أن وصل إلى مرا كش دار أمير المسلمين علي بن يوسف بن قاشقين فرأى

(١) زاد ابن خلكان : القيس الكومي ، وقال : « الكومي » بضم الكاف وسكون الواو نسبة إلى كومة وهي قرية صغيرة تازل بساحل البحر من أعمال تلسان له . ووقد لقيه في طريقه إلى الحج فحجبه إلى بلده وأتى عزمه عن وجهه ذلك واحتص به وتشمير للاخذ عنه

(٢) قال ابن خلكان : قيل أن ولادته كانت سنة ٥٠٠ . وقيل سنة ٤٩٠

فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثرت أتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو في بعض الأيام في طريقه إذ رأى أخت أمير المسلمين (١) في موكبها ومعها من الجوارى الحسان كثير وهن سافرات وكانت هذه عادة الملتزمين تسفر لساؤمهن وجوههن وحزبهن وأصحابهن فأسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرمى أمره إلى أمير المسلمين فأحضره . أحضر الفقهاء لينظروا . فأخذ يعظه ويذكروه ويخوفه فبكى أمير المسلمين وأمر أن ينظروا الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته في الذي فعله . وكان عند أمير المسلمين بعض وزراءه يقال له مالك بن وهيب فقال والله يا أمير المسلمين هذا لا يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما يريد إثمارة فتننة والغلبة على بعض النواحي فاقته وقلدني دمه فلم يفعل ذلك فقال ان لم تقتله فاحبس واخلده في السجن و إلا أثار شرأ لا يمكن تلافيه فأراد حبسه فتمعه رجل من أكابر الملتزمين يسمى بيان بن عمران فامر بإخراجه من مرا كس فسار إلى أغمات ولحق بجبل دبرين وسار فيه حتى لحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة وكان ذلك سنة أربع عشرة وخمسةائة . فتووا واجتمعوا حوله وتسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا إليه وحضر أعيانهم بين يديه فجعل يعظهم ويذكروهم بأيام الله ويذكروهم شرائع الإسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وأنه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لا تباعهم الباطل بل الرجاء قتالهم ومنهم عمام فيه وأقم على ذلك نحو سنة وتبعه على ذلك هرغة وسمى أتباعه الموحدين وأعلمهم أن النبي ﷺ بشر بالبهدي الذي يملأ الأرض عدلا وأن مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى قمام إليه عشرة رجال منهم عبد المؤمن

ابن علي فقالوا لا يوجد هنا الا فيك فانت المهدي فبايعوه على ذلك وانتهى
خبره الى أمير المسلمين فجهز جيشاً من أصحابه وسيرهم اليه فلما قربوا من الجبل
الذي هو فيه قال لأصحابه إن هؤلاء يريدونني وأخاف عليكم منهم والرأي أن
أخرج بنفسي الى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة
هل تخاف من السماء شيئاً؟ فقال لا بل من السماء تنصرون فقال له ابن توفيان
فليأتنا كل من في الارض ووافقته قبيلتهم جميعاً فقال المهدي أبشروا بالنصر والمظفر
بهذه الشرذمة وبعد قليل استأصلون دوابهم وترمون أرضهم وديارهم ، فزلوا من
الجبل ولقوا جيش أمير المسلمين فمزموهم وأخذوا أسلابهم وقوى ظنهم في صدق
المهدي حيث ظفروا كما ذكر لهم ، وأقبلت اليه حينئذ أفواج القبائل من الجبال
التي حوله شرقاً وغرباً وبايعوه ، وأطاعته قبيلة هنتانة وهي من أقوى القبائل
فأقبل عليهم وأطمأن لهم ، وأتته رسل أهل تينمل بطاعتهم وطلبوه اليهم فتوجه
الى جبل تينمل ^(١) وبني له مسجداً خارج المدينة واستوطنه وألف لهم كتاباً
في التوحيد ^(٢) وكتاباً في العقيدة ، ونهج لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض ،
وأمرهم بالاعتصام على القصير من الثياب القليل الثمن وحرصهم على قتال عدوم
وأخراج الاشرار من بينهم . ولما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف
أن يرجعوا عنه فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ثم أمر أصحابه

(١) دور بيته ثلاث سنين وتيسل بكر النار اثنتان من فوقها وسكون الياء اللتان من تحتها ومعناها بون

ثم يبع مفتوحاً ولا ممتدة

(٢) من مؤلفاته المرشدة في التوحيد وكان علي رأى الامامة في القول بالامام المعصوم
والف في ذلك كتابه آخر ، يطلب وجد الخلة افتحها كتابه هذا يسمى بها . وكان
يسمى أصحابه القراء ويسمى أتباعه الموحدين وكان على مذهب الاشعريين في القول بالتأويل ولذلك سمى أصحابه
المحدثين تحريصاً للمؤمنين في احدهم بالتأويل عن التأويل وميلهم الى التحميم وكان حضوراً لا يأتي النساء
وله قدم في التفسير والعادة ولم يعمد به فاته في اربع الاما كان من وفاته الامامية من الشيعة في القول
بالامام المعصوم وكان يسمى الامام وبعد بيته سمي المهدي - أس حلون ٦ . ٢٢٩

بقتلهم ففعلوا وهم غارون فقتلوا في ذلك المسجد ، ثم دخل المدينة قتلوا وأكثروا
ونهبوا الأموال وسبوا الحرير ، فكان عدة القتلى خمسة عشر ألفاً وقسموا الأرض
والمساكن بين أصحابه

ولما خاف أهل تينمّل على نفسه لما فعل أراد أن يوقع بينهم وبين المرابطين
خنة فنظر في أولادهم فإذا الغالب عليهم الشقرة والزرقة ، وعليهم السمرة . فقال
مالي أراكم سمراً وأولادكم شقراً زرقاً ، فقالوا كان لأمير المسلمين عدة مماليك من
الافرنج والروم ، وكانوا يصعدون الجبل في كل عام يأخذون الأموال المقررة
لأمير المسلمين عليهم ، وكانوا يسكنون بيوتنا مع الحرير ويخرجوننا منها . فلما
أخبروه بذلك قبّح لهم الصبر عليه وأزرى عليهم ، وعظم الأمر عندهم ، فقالوا
له كيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة . فقال إذا حضروا عندكم في
الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم إلى نزيهه فليقتله ،
واحفظوا جبلكم فإنه لا يرام ولا يقدر عليه . فلما حضر عندهم العبيد قتلواهم ،
تخافوا على أنفسهم من أمير المسلمين فانتعوا في الجبل وسدوا ما فيه من طرق
تسلك إليهم ، فقويت نفس ابن تومرت بذلك وأرسل إليهم أمير المسلمين جيشاً
قويّاً فحاصروا الجبل وضيقوا على أهله ، وقتل عندهم الميرة حتى عدم الخبز رأساً
وكان يطبخ لهم ابن تومرت كل يوم من الحساء ما يكفيهم ، وكان قوت كل
واحد منهم أن يمس يده في ذلك الحساء ويخرجها بما حلق فيها ويقنع بذلك في
يومه . فلما اشتد بهم الأمر أراد أهل تينمّل إصلاح حالهم مع أمير المسلمين ،
وبلغ ذلك ابن تومرت وكان معه انسان يقال له أبو عبد الله الوائشريسي ملازماً
لقراءة القرآن وطلب العلم سرّاً بحيث لم يعلم به أحد

فلما كانت سنة ثمان عشرة وخمسة خاف المهدي خروج أهل الجبل
عليه فأمر الوائشريسي بأمر دلت على زندقته ليخدع بها العوام . وذلك

أنه أمر الوائشريسي بالحضور بإزائه عند المحراب ، وأن يتعليب وأن يظهر أنه لم يعرفه وهو لا يعرف قراءة القرآن ففعل ، فلما صلى والناس حوله سأله من أنت ؟ فقال : أبو عبد الله الوائشريسي ، فقال المهدي : إن أمرك لعجب ، ونادى في الناس فحضروا فقال : هذا الرجل يزعم أنه الوائشريسي فانظروا وحققوا أمره . فلما أضاء النهار عرفوه . فسأله المهدي ما قصتك ؟ فقال اني أتاني الليلة ملك من السماء ففلس قلبي وعلمني القرآن والموطأ وغيرهما من العلوم ، فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ بقراءة القرآن فقرأ بقراءة حسنة من أى موضع سئل . ثم قال ان الله قد أعطاني نوراً أعرف به أهل الجنة من أهل النار ، وأمركم أن تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة ، وقد أنزل الله ملائكة الى بئر بوضع كذا يشهدون بصدق . وكانوا وضعوا فيها رجلاً . فسار اليها المهدي والناس ، وصلى المهدي عندها وقال : يا ملائكة الله إن أبا عبد الله الوائشريسي قد زعم كيت وكيت ، فقال من بها : صدق . وكان أمرهم بالشهادة له . فلما قبل ذلك من البئر قال : إن هذه البئر مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة أن تلتطم اثلاثم فيها نجاسة أو ما لا يجوز ، وألقوا فيها من الحجارة والتراب ما لطمها بمن فيها ، وفعل بأهل الجبل من حضورهم بغير سلاح وقتلهم بعد ذلك ما دل على تزندقه . ووقائمه مع أمير المسلمين كثيرة ولما بحث جيشه وكسر سأل هل مات عبد المؤمن ؟ فقيل : لا . فقال : إن الأمر باق . وهو الذي فتح البلاد ووصى أصحابه باتباعه ، وكان إذ ذاك مريضاً وحرصهم على اتباعه وتسليم الأمر اليه . وتوفى سنة أربع وعشرين وخمسة

ولاية عبد المؤمن بن علي

واستقر الأمر لعبد المؤمن ورجع بعد اللقاء لتينتمل وأقام بها يتألف القلوب ويحسن إلى الناس . وكان جواداً ، مقداماً في الحروب ، تابثاً في المزاها ، إلى سنة ثمان وعشرين وخمسة مائة فتجهز وسار في جمع كثير إلى أن وصل إلى تادلة فأنه أهلها وقتلوه ، فقتلهم وقهرهم وفتحها وسائر البلاد التي تليها ، وسار في الجبال يفتح ما امتنع عليه ، وأطاعته صنهاجة ، ووقعت بينه وبين أمير المسلمين حروب فتارة له وتارة عليه ، إلى أن نزل مراکش سنة إحدى وأربعين وخمسة مائة وبها يومئذ اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو صبي ، فضرب خيامه في غربتها على جبل صغير وبني عليه مدينة صغيرة له ولعسكره ، وبني فيها جامعاً ، وبني له بناء عالياً يشرف منه على مدينة مراکش ويرى أحوال أهلها وأحوال المقاتلين من أصحابه . وقتلها قتالاً شديداً وأقام عليها أحد عشر شهراً وافتتحها [في أوائل (١) اثنتين وأربعين وخمسة مائة (٢) وقتل أعيان دولة المرابطين .

ولما استولى على اسحق بن علي أخذ يرقمده ويسأل العفو رغبة في البقاء ، ويدعو لعبد المؤمن ، فقام إليه سير بن الحاج الأمير . وكان إلى جانبه مكتوماً . فبصق في وجهه وقال : تبكي على أبيك وأمك ، اصبر صبر الرجال ، فهذا رجل لا يخاف الله تعالى ولا يدينه بدين . فقام الموحدون إليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه . وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة ، وقدم اسحق على صفر سنة وضربت عنقه . وقيل إن استيلاء عبد المؤمن عليها سنة ثلاث وأربعين من

التاريخ المذكور

(١) الرعدة من ابن حلكان

(٢) قال ابن خلدون انفتحها في اذيات شمال سنة ١١٤١ .

وبموت اسحق انقضت دولة المثلثين . وكانت مدة ملكهم سبعين سنة ،
 وولي منهم أربعة : يوسف ، وعلي ، وتاشفين ، واسحق .
 ولما فتحها عبد المؤمن أقام بها واستوطنها واستقر بها ، وأمر بهدم الجامع
 الذي بناه يوسف بن تاشفين . وبنى بالنصر جامعاً كبيراً وزخرفه فأحسن عمله .
 ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالعمد بن عباد وارتكب سجنه على الحالة
 التي ذكرنا أقبیح ارتكاب ، فلا جرم أن سلط الله سبحانه وتعالى على أعقابه من
 أربى عليه وزاد ، فتبارك الحي الدائم الملك الحق الذي لا يزول ملكه ، وهذه
 سنة الدنيا فأف لها ثم أف ، نسأل الله تعالى أن يتختم أعمالنا بالحسنى ، ويجعل خير
 أيامنا يوم لقائه بجاه محمد ﷺ وآله

ولما استقر وأخذ بلاد بني حماد اجتمع العرب : بنو هلال ، والاشج ،
 وعدي ، ورياح ، وزعب ، وغيرهم من العرب من أرض طرابلس والمغرب ،
 وقالوا : ان جاوزنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب ، وليس الرأي إلا لقاء الجد معه
 واخراجنا من البلاد قبل أن يتمكن ، وتحالفوا على التعاون والتضافر والأيخون
 بعضهم بعضاً ، وهزموا على لقائه بالرجال والاهل والمال ليقاتلوا قتال الحریم ،
 واتصل الخبير برجار الافرنجي صاحب صقلية ، فأرسل الى أمراء العرب وهم :
 محرز بن زياد ، وجبارة بن كامل ، وحسن بن ثعلب ، وعيسى بن حسن ، وغيرهم
 يحثهم على لقاء عبد المؤمن ويعرض عليهم أن يرسل اليهم خمسة آلاف فارس
 من الافرنج يقاتلون معهم على شرط أن يرسلوا اليه الرهائن ، فشكروه وقالوا :
 ما بنا من حاجة الى نجده ولا نستمين بغير المسلمين . وساروا في عدد لا يحصى

وكان عبد المؤمن قد ارتحل من بجاية الى بلاد المغرب ، فلما بلغه خبرهم جهز
 جيشاً من الموحدین يزيد على ثلاثين ألف فارس ، واستعمل عليهم عبد الله بن
 عمر الهنتاتي ، وسعد الله بن يحيى ، وكان العرب أضعافهم ، فاستخرجهم الموحدون

وتبعهم العرب الى أن وصلوا الى أرض سعليف بين جبال . فحمل عليهم عسكر عبد المؤمن فجأة والعرب على غير أهبة ، فالتقى الجمعان واقتتلوا أشد قتال وأعظمه ، فأنجحت المعركة عن انهزام العرب ونصرة الموحدين . وترك العرب جميع ما لهم من أهل وأثاث ومال . وأخذ الموحدون جميع ذلك ، وعاد الجيش الى عبد المؤمن بجميعه قسم جميع الاموال على عسكره وترك النساء والاولاد تحت الاحتياط ، ووكل بهم من الخدم والخصيان من يتخدمهم ويقوم بحوائجهم وأمر صبياتهم . فلما وصلوا معه الى مراکش أنزلهم في الاماكن الفسيحة ، وأجرى لهم النفقات الواسعة وأمر ابنه محمداً أن يكتب أمراء العرب وأن يعلمهم أن نساءهم وأولادهم تحت الحفظ والصيانة ، وأمرهم أن يحضروا ليسلم اليهم أبوه ذلك جميعه ، وأنه قد بذل له الأمان والكرامة . فلما وصل كتاب محمد الى العرب سارعوا الى مراکش ، فلما وصلوا اليها أعطاهم عبد المؤمن نساءهم وأولادهم وأحسن اليهم وأعطاهم أموالاً جزيلة ، فاسترقى قلوبهم بذلك واقاموا عنده وكان بهم حفياء ، واستعان بهم على ولاية ابنه محمد ، وكانت بيعة محمد سنة احدى وخمسين وخمسةائة

وفعل لذلك عبد المؤمن حيلة عظيمة ، وذلك أن الامر كان بيد عبد المؤمن وعمر الھنتان يلى الأمر من بعده ، فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكثر أولاده أحب أن ينتقل الملك اليهم ، فلما حضر أمراء العرب من هلال ، وزعب ، وعدي وغيرهم اليه ، ووصلهم وأحسن اليهم ، ووضع عليهم من يقول لهم : أطلبوا من عبد المؤمن وقولوا له : نريد أن نجعل لنا ولي عهد من ولدك ترجع اليه الناس بمدك ، ففعلوا ذلك ، فلم يجبههم اكراما لعمر الھنتان لعل منزلته في الموحدين ، وقال لهم : ان الأمر لابني حفص عمر ، فلما علم عمر بذلك خاف على نفسه ، فحضر الى عند عبد المؤمن وأجاب الى خطم نفسه ، فحينئذ بويع لمحمد بولاية العهد وكتب الى جميع بلادہ بذلك ، وخطب له في جميعها ، وأخرج عبد المؤمن في ذلك اليوم

من الاموال شيئا كثيرا

وفي هذه السنة استعمل عيد المؤمن أولاده على البلاد ، وشيوخ الموحدين المشهورون من أصحاب المهدي بن تومرت [موجودون في مناصبهم] فكان يتعذر عليه عزلهم ، فأخذ أولادهم وتركهم عنده يشتغلون بالعلوم ، فلما مهرروا فيها وصاروا مقتدى بهم قل لا بآبائهم : اني أريد أن تسكونوا عندي أستعين بكم على ما أنا بصدهه ويكون أولادكم في الاعمال لانهم فقهاء عقلاء ، فأجابوا الى ذلك وهم فرحون مسرورون ، قولى أولادهم ثم وضع عليهم من يعتمد عليه ، فقال لهم : اني أرى أمراً عظيماً فعلتموه قد فارقتم فيه الحزم والأدب ، فقالوا ما هو ؟ فقال : أولادكم في الاعمال وأولاد أمير المؤمنين ليس لهم منها شيء ، مع ما هم فيه من العلم وحسن السياسة ، واني أخاف أن ينظر من هذا فتسقط منزلتكم عنده . فعلموا صدق القائل ، فحضرروا عند عبد المؤمن وقالوا : نحب أن تستعمل على البلاد السادة أولادك ، فقال : لا أفعل ذلك . فلم يزلوا به حتى فعل ذلك بسؤالهم ، فاستعمل ابنه أبا محمد عبد الله (١) على بجاية وأعمالها ، واستعمل ابنه أبا حفص على مدينة تلمسان ، واستعمل ابنه أبا الحسن علياً على مدينة قابس وأعمالها ، وولى ابنه سعيداً على سبته ، والجزيرة الخضراء ومالقة ، وكذلك غيرهم . واستولى على أرض افريقية ، وطرابلس والمغرب ، والاندلس ، وأزال منها دولة المسلمين . وتوفي [في العشرة الاخيرة من جمادى الآخرة (٢)] سنة ثمان وخمسين وخمسة مائة ، وكانت وقاته بسلا لانه سار من مراکش الى سلا فرض بها ومات ولما حضره الموت جمع شيوخ الموحدين من أصحابه وقال لهم : قد جربت

(١) قال ابن خلكان وقد عهد له ابوهم بالامر بعده ، ولم يتم له الامر لما كان عليه من الطيش ولذمان شرب الخمر وحين النفس ، وخلع في شعبان سنة ٥٥٨ هـ ، وكانت مدة ولايته خمسة واربعين يوماً . وتولى بعده الامر اخو يوسف وهذا خلاف ما سيذكره المؤلف

(٢) الزيادة من ابن خلكان

ابني محمداً فلم أره يصلح لهذا الأمر وإنما يصلح له ابني يوسف فهو أولى به ، قدسوم له ووصاهم به وبأبعوه ودعي بأمر المؤمنين . وكتبوا موت عبد المؤمن ، وحل بصورة أنه مريض الى أن وصل الى مراکش ، وكان ابنه أبو حفص في تلك المدة حاجباً لآبيه ، فبقي مع أخيه علي مثل حاله مع أبيه يخرج فيقول للناس أمر أمير المؤمنين بكذا ، ويوسف يقعد مقعد أبيه ، الى أن كملت له المبايعة في جميع البلاد واستقرت قواعد الأمر له ثم أظهر موت أبيه

وكانت ولاية عبد المؤمن ثلاثاً وثلاثين سنة وشهوراً ، وكان حقلًا ، حازماً سديد الرأي ، حسن السياسة للأمر ، كثير البذل للاموال ، سفاكاً للدماء على صغير الذنب ، وكان يعظم أمر الدين ويقويه ، ويلزم الناس في سائر بلاده بالصلوات ، ومن رؤي في وقت الصلاة غير مصل قتل ، وجمع الناس بالمغرب على مذهب الامام مالك في الفروع ، وعلى مذهب أبي الحسن الاشعري في الاعتقاد وأصول الدين . وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين ، والمرجع اليهم والكلام معهم ولم ، واستقر الملك بيد يوسف ، ووقع له من الاتراك ما حكي لنا في شأن قراقش ، وكذا من علي بن اسحاق (١) ثم توفي يوسف سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة وشهوراً ، وكانت وفاته بمدينة شنترين (٢) بعد أن حاصر أهلها الافرنج شهراً ثم مرض فمات في ربيع الاول وحمل في تابوت الى اشبيلية (٣)

(١) انظر صفحة ٥٩ - ٦٤

(٢) شنترين بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح الهمزة المثناة من فوقها وكسر الراء وسكون اليمامة من تحتها وببدا تون له من ابن خلكان . قال الحموي : وهي تقع في غربي الأندلس بينها وبين جهة اربنة أيام . وهي مدينة حصينة ملكها الافرنج سنة ٥٤٣ هـ

(٣) قال ابن خلكان : فلما وصلوا به الى اشبيلية صبروه ودفنوه الى تامل ودفن هناك عند أبيه وللهدي ابن تومرت . وكانت وفاته يوم السبت اسع حنون من ربيع سنة ٥٨٠ هـ وذكر في عمل الخبر انه مات في ربيع الاول من هذه السنة ، وهو مخالف لما ذكره المؤلف في تاريخه وفاته

(١)

ولاية المنصور أبي يوسف يعقوب بن يوسف

وتولى ابنه المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في الوقت الذي مات فيه أبوه ، فقام بالأمر أحسن قيام وأقام راية الجهاد ، وأحسن السيرة في الناس وكان ديناً مقبلاً للحدود في الخاص والعام . فاستقامت له الدولة ، وانقادت إليه بأسرها مع سعة أقطارها ، وكان أبو يوسف حسن السيرة ، وكانت طريقته ألين من طريق أبيه مع الناس ، يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم ، وهم أهل خدمته وخاصته ، وأحبه الناس ومالوا إليه وأطاعوه من البلاد ما امتنع على أبيه ، وسلك في جباية الاموال ما كان أبوه يأخذه ولم يتعداه الى غيره .

وقام على يعقوب محمد بن عبد الكريم بالمهدية وهو جرجاجي الاصل ، وقبض على واليها من قبله وهو الشيخ أبو علي يونس ابن الشيخ أبي حفص بن عبد المؤمن ، وكان ذلك سنة خمس وتسعين وخمسةائة ، وأخذ يحيى بن اسحاق الميورقي طرابلس ، وقابس ، وتونس ، فاتفق أن قتل بعضهم نفسه لما فعل بهم ابن اسحاق من تعزيم المال والتعذيب عليه ، ورأى ذلك أرواح له ، وقد ذكرنا تاريخ ذلك

ولما بلغ الناصر بن يعقوب ما دام أهل افريقية من الميورقي ، وابن عبد الكريم امتعض لذلك وأخذ في الحركة اليها ، وكان يبلغ الميورقي ذلك فيدفع خبرها ، الي أن وصل الناصر الى بجاية ووصله رجاله وأخبروه معاينة ، فوجه ذخائره وأمواله الى المهديّة لتكون تحت يد ابن عمه علي ابن الغازي ، وخرج من تونس وتوجه الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع بالعربان وأخذ رهائنهم وأخذ موافقتهم معه على الخدمة ، ثم الى بلاد نفاوة . وأطلق فيهم أيدي الجند فقتلوا كثيراً من

(١) ولد ليلة الاربعاء رابع شهر ربيع الاول سنة ٥٥٤ وتوفى سنة ٥٩٥ بمراكش وقبل بمدينة سلا واتسع ملكه حتى لم يبق مجيب اقطار بلاد المغرب من البحر المحيط الى برقة الا من هو في طاعته وداخل في ولايته وهو لدى بني مدينة رباط الفتح على هيئة الاسكندرية

أهلها ونهبوا أموالهم وأطلقوا النار في بعض دورها . وذلك لما كان بلغه عنهم من الخيانة

ثم انتقل الى مطاظة ، وبلغه أن الناصر فكَّبَ عن طريق تونس وأخذ عن طريق قنصة في اتباعه ، فانتقل الى جبل دمر متحصناً به . ووصل الناصر الى قنصة مستغماً عن أخبار يحيى ، فعرف انتقاله الى جبل دمر ، ورجع الى تونس . وولى على البلدان حفاظاً من الموحدين . وقدم في رجوعه على قتال يحيى الشيخ المقدس أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص ، ووجه جيشاً عظيماً ضخمًا . فأحب يحيى الفرار من الجبل الى الصحراء . فشجع أصحابه وحرصوه على الثبات فالتقيا فكانت الواقعة المعروفة بتاجرا للشيخ أبي محمد عليه (١) . فاستأصل فيها كثيراً من أصحاب يحيى . وفري يحيى في شردمة قليلة وكان قدم ولده وأهله أمامه بنحو خمسة فراسخ . فلما فرّ أخذهم ولولا ذلك لسبوا . واستنقذ الشيخ أبو محمد من يده السيد أبا زيد حياً بعد أن ضرب به الموكل به ضربات بسيف قصد بها قتله ، فاعجل عن الاجهاز عليه . واستنقذ جماعة من الموحدين كانوا في يده ، وأخذ رايته السوداء وأحاط الموحدون بجميع ماني عسكري يحيى من الأموال والابل فانتهبوها . ورجع الشيخ أبو محمد بجميع ذلك الى الناصر وهو محاصر للمهدية وبها على بن الغازي (٢) الميورقي وأركب الأمين الموكل بالشيخ أبي زيد على جبل شهره له وبيده الراية السوداء فطيف به على المهدية وكانت الهزيمة في الثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وسبعمائة . وكتب حماد الملقب المشهور بالابداع في قطعة ورق هذين البيتين مقطعين في الورق يهجو بهما يحيى ويذكر الهزيمة وها :

رأى يحيى امام انطلق يأتي ففرّ امام من وافى إليه

(١) قال ابن حلدون : وكانت العدة من عسكره يومئذ ٨٨ الفاً من اهل البلد والولاية

(٢) قال ابن حلدون وهو المعروف بالابحاح الدمامي

فشبهت التي باللام يغرى ولام الأمر داخلة عليه^(١)
وعرضت الفنائم على الناصر على ملاحظة من المحصورين بالمهدية وهم مع ذلك
مكذبون بهزيمة يحيى مفتحون بالسب . وألح الناصر في قتالهم ، ونصب عليهم
المجانيق على جهة واحدة في السور حتى كثرت الموتى والجراحات . وتحقق انهزام
يحيى فسقط في أيديهم وطلبوا الأمان فأسمفوا به . ونزل على بن الغازي
وأتباعه وشيعته على أن يخلوا سبيلهم ، ويسلموا البلد ويكونوا في أمان الموحدين
الى أن يصلوا الى يحيى بن غانية . وكان ذلك في السابع والعشرين من جمادى
الاولى فكان بين هزيمة تاجراً وفتح المهديّة أربعة وسبعون يوماً : وخرج على
ابن الغازي عن المهديّة وجملته وحاسيته فضرب أخبثته بقصر قراضة فبات هناك
تلك الليلة . ثم دعته نفسه إلى الدخول في طاعة الموحدين وقال : أطعت بعد أن
كنت في حكم نفسي . فاستحسن ذلك منه الناصر واستدعاه وأحسن إليه .
ووافق ذلك وصول مملوك الناصر ناصح صاحب ديوان سبته بالمهدية العظيمة التي
جمعها في المدة الطويلة . وكان فيها ثوبان قد نسجا بأنواع الجواهر وجعلت فيهما
أهلام من اليواقيت والحجارة النفيسة . فأمر الناصر بحمل جميع الهدايا إلى علي بن
الغازي . فبات ناصح من أثر ذلك كذا

ثم انتقل الناصر عن المهديّة في عشرين من جمادى الآخرة سنة الفئتين
وسمائة . وأراد النقلة لأرض المغرب . فحينئذ أخذ يتحدث مع أشياخه ومدبري
أمر دولته فيمن يترك بأفريقية فأجمع رأيهم على الشيخ أبي محمد بن أبي حفص ولم
يختلف في ذلك اثنان ، وكانهم رأوا بذلك بعده عن الخلافة . فأمر الناصر بعض
خدمه في الحديث معه في ذلك استحياء من مواجهته به فامتنع ولم تسمح نفسه
بفارقة وطنه ، ففاوضه الناصر في ذلك بنفسه فاعتذرله بعد الشقة عن خلفه

(١) هكذا بالاصل . ومنها غير واضح

عرا كش من أهل وولد وبما استلزم ذلك من مفارقة الخليفة والبعد عنه ، ونظر
السلطان فلم يجد عوضاً عنه ولم يرد إكراهه عن المقام ، وهظم عليه أمر شرق
البلاد وما ناب أهلها من بعده عنهم ، فأرسل إليه ولده ومعه ولد الشيخ أبي محمد
من ابنة المنصور ، وهو المعروف بالسيد أبي الحسن ، وكان الناصر خاله قد رباه
مع ولده يوسف المنتصر ولي عهده . واختصه كونه ، فوجهه مع ولده في طرف
من حاشيته ليلا فدخلوا عليه . فقام الشيخ أبو محمد لولد الناصر وأجلسه معه وقال
ما حاجتك أيها الطالب . ولو كان عندي غير نعمتكم لتابلتكم به ، فأجابته الحاشية :
كرامته قضاء مصلحته ، فقال نعم تقضى . فقال الولد : ان مولانا وسيدنا يخلصكم
بالسلام ، ويقول لكم هذه البلاد من أول هذا الأمر العزيز وهي مع هؤلاء الثوار
في أمر عظيم ، وتحت ليل بهم . وقد وصل إليها سيدنا عبد المؤمن ، وسيدنا أبو
يعقوب ، وسيدنا الناصر ، وما منهم إلا من أنفق أموالا ، وأفنى في الحركة إليها
رجالا . والمشفة شديدة ، والشقة بعيدة ، وما عاد واحد منهم إلا وطاد الويل وأظلم
ذلك الليل . وهذه الدعوة كما يجب علينا القيام بها والذب عنها ، كذلك يجب
عليكم ، وقد طلبنا في جميع اخوانكم السادة وأعيان أهل الجماعة من ينوب عنا في
هذه البلاد فلم نجد عنك ممدلا . فانحصر الامر الينا وليكم ، فإما أن نطلع الي
حضرة مرا كش فتقيم هنالك مقامنا وتقيم نحن بهذه البلاد ، أو نطلع نحن الي
حضرتنا . فقال الشيخ : يا بني أما القسم الأول فما لا يمكن ، وأما القسم الثاني
فأجبت إليه على شروط . فسر الولد بذلك . وقبل يد الشيخ ، وقبل الشيخ
رأسه . وانفصلوا كأنما عندهم تلك الليلة فتح جديد بالسرو والدي عنهم ، والطلانينة
مما كان أهمهم . ثم خلا الناصر به مستفها عن شروطه . فاشترط ألا يتولى إفرريقية
إلا بقدر ما تصلح أحوالها ، وينقطع طمع الميورقي منها ، ويتخير الناصر في رجاله
من يوجهه عوضاً عنه ، وجعل الغاية في ذلك ثلاث سنين ، وأنه يعرض عليه الجيش

فيبقى معه من يتم اختياره عليه ، وانه ان فعل فلانا ما كان لا يسأل عنه ، ولا يعاتب فيه . الى آخر الشروط ، ومن رآها فليراجع معالمها . وكل ذلك والناصر مقبل عليه قابل للشروط .

وخرج الناصر متوجهاً لأرض المغرب . وكان لسبع خلت من شوال ، وصحبه الشيخ أبو محمد ثلاثة أيام ثم رجع ، واستقر ملكها وملك طرابلس في يده وفي يده بنيه من بعده الى أن اختلفوا واستعان بعضهم بالافرنج .

استيلاء صاحب جنوة على طرابلس

وأخذ صاحب جنوة طرابلس سنة ست عشرة وتسعمائة وأخذ حلق الوادي صاحب صقلية ، ومكنت طرابلس تحت يد النصارى ثلاثة وأربعين عاماً وقيل خساً وأربعين سنة (١)

وسبب أخذهم لها أن أهلها بعد دخولهم في طاعة الموحدين كثرت أموالهم وتجاراتهم واطمأنوا ولم يشتغلوا بالحرب حتى لم تكن لهم به خبرة ، فقدمت عدة سفن للعدو موسوقة بأنواع البضاعة وفيها من كل نوع كثير فتقدم اليهم تاجر من تجار المدينة فاشترى جميع ما فيها من سلع ونقد لم عنها . واستضافهم رجل آخر وصنع لهم طعاماً فاخراً وأخرج ياقوتة ثمينة فدعاها دقاً ناعماً يبرأى منهم وفرضا على طعامهم فبهتوا من ذلك فلما فرغوا قدم اليهم دلاعا « بليخا » فطلبوا سكيناً لقطعها فلم يوجد في داره سكين وكذا دار جاره الى أن خرجوا الى السوق فأتوا منه بسكين . فلما رجعوا الى جنوة سألم ملكهم عن حالها فقالوا : ما رأينا أكثر من

(١) ذكر بالأصل بعد قوله خساً وأربعين سنة : ، فيكون أخذهم لما سنة واحد وسبعين وثمانمائة او ثلاث وسبعين وثمانمائة ، وهذا الكلام غير ظاهر لان النصارى اجدوا البلد في التاريخ المذكور ، وسيذكر المؤلف ان طورغود باشا اخرحهم نهاسنة ٩٥٨ فتكون مدة اقامتهم فيها ٤٢ سنة وانما يصح كلام المؤلف لو كان تاريخ دخولهم الذي ذكره هو تاريخ خروجهم ، لتلك حد وناه من الاصل ونهنا عليه

أهلها مالا وأقل سلاحاً، وأعجز أهلاً عن دفاع عدوّه. وحكوا له الحكايتين . فتأقت نفسه لاخذها وجيز لها أسطولا فأخذها في ليلة واحدة بلا كثير مشقة واستولى عليها . ولم ينج من أهلها إلا من تسور ليلاً . وأحماز المسلمون إلى تاجوراء وجبال غريان ومسلاطة . وصارت المدينة للنصارى

وقيل ان دخولهم لها كان بموافقة البعض من أهلها . والله أعلم أي ذلك كان ولما أحماز المسلمون انتدب جماعة من أهل تاجوراء ركبوا شينياً وتوجهوا لصاحب القسطنطينية^(١) يطلبون منه إعانة ، وكانوا لاخبرة لهم بلغة الترك ، فلما حضروا الى القسطنطينية استغرب أهلها زيارتهم وسألوهم من أي البلاد أنتم ؟ فأخبروا أنهم من طرابلس الغرب قدموا لحضرة السلطان مستغنين به ، فأحضرنا بين يديه وكان مراد علياً خصياً للسلطان ربي بأرض المشرق وقدم العربية فكان يعرب للسلطان عنهم . فأخبروه عن حال بلادهم وأخذ النصارى لها وتضييع ملكهم دولهم ، وأنهم يريدون منه إعانة على افتسكك بلادهم واليأيلي أمرهم

و رواية مراد أغا

فاستعمل عليهم مراداً وقدموا به لبلدهم ودانوا له وبايعه أهل غريان سنة ثنتين وخسين وتسعمائة . وبايعه أهل ريفها كلهم . قيل وراسلته خودة بنت شرومة بن محمد الفاسي صاحب فزان فأرسل اليها طائفة من جنده سنة ست وخسين وتسعمائة فملكوا أرض فزان . والصحيح أن أخذ فزان إنما كان سنة خمس وثمانين وتسعمائة بعد فتح طرابلس وموت طورغود باشا بأيام ، إذ كان أمر الجند شوري بينهم وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر ذلك ولم يزل يوالي الغزو على

(١) وكان ذلك سنة ٩٢٦ ، وكان صاحب جنوة يدعى

(٢) وهو أول وال تركي في طرابلس الع -

طرابلس ويضيق على من بها من الروم ومن ظهر منهم اختطفه المسلمون ، وبني بعضهم قصراً بين البلدين لاخطافهم الى أن دخلت سنة ثمان وخمسين وتسعمائة فرآ أسطول السلطان سليمان بالمدينة المذكورة مدحاً لقلج على باشا إذ كان محاصراً لخلق الواد وبه طورغود باشا وهو قائده نخرج اليهم مراد ومعه أعيان بيعته من أهل تاجوراء^(١) في شيفي وطلبوا منه الاعانة فأبى عليهم وتعلل بأنه لم يؤذن له فيها فهوتوا عليه أمرها وصغروها بين يديه فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يعطوه حجة على أن لا يكون عليه دوك من السلطان تخالفته أمره وأنهم المؤاخذون بذلك فأعطوه بذلك حجة ، وحاصروها برآ وبجراً فأخذوها قبل عنوة وقيل طلب أهلها الأمان لأنفسهم فأجابوهم لذلك وخرجوا عنها

ولاية طورغود باشا

وتسلم طورغود باشا البلد وكاتبوا السلطان بذلك فسر به سروراً عظيماً . وكتب له بولاية البلد وبايمه أهل جربة وقابس وأهل عمالتها . وقيل كان فتحها زمن ولاية سليم بن بايزيد . والصحيح ما ذكرناه من أنها زمن السلطان سليمان [الاول بن السلطان سليم الاول^(٢)] بن السلطان بايزيد [الثاني بن السلطان محمد الفاتح^(٣)] بن السلطان مراد الثاني بن السلطان محمد [جلبي بن السلطان بايزيد الاول بن السلطان مراد الاول^(٤)] بن أوركخان بن عثمان بن ارطغرل بن سليمان . وكان سليمان ملكاً في المشرق في بلاد ماهان بمقربة من بلخ . واختلف في نسبه فقيل من التركان الرحالة النزالة من نغذ التتر منهم ، ويتصل نسبهم بيافت بن نوح عليه الصلاة والسلام . كذا ذكره القطبي

(١) بلد شرقي مدينة طرابلس نحو ثمانين ميلاً ، بها مراد اما حانها ومدرسة كبيرة لانزال تعرف باسمه الى اليوم
(٢) الزياتين تاريخ الدولة العلية العثمانية ل محمد فريد بك

وقال صاحب درر الأتقان في منبع ملوك بني عثمان : إن أصلهم من عرب الحجاز وزاد جماعة من المؤرخين أنهم من أهل المدينة المشرفة على ساكنها أفضل للصلاة والسلام . وعلى أنه من التركان كان سبب خروجه من بلاد بلخ الى بلاد الروم تخريب جنكيز خان بلاد بلخ ، فتوجه سليمان شاه هذا وصحبه في خمسين ألف بيت الى أرض الروم فلما جاوز القرات غرق سليمان فدخل ولده أرطغرل أرض الروم فأكرمه السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان الروم . ومات بالروم وخلف هدة أولاد أنجاد أشدهم بأساً وأعلام همة عثمان ، نشأ مولعاً بالقتال وجهاد الكفار ، وأعجب ذلك السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان الروم فأرسل اليه الراية السلطانية والطبل والزمر فلما وصلت تلك الآلة وضربت بين يديه قام تعظيماً لامر السلطان وفرحاً بإقباله فصار شعاراً لآل عثمان ومن تابعهم من المستحقين لذلك الوقوف عند ضرب ذلك إلى وقتنا . ثم مات عثمان وانتقل الملك لبنيه

وقيل إن أصل عثمان هذا من عرب الحجاز وهاجر منها لغلاء كان بها واستقر ببلاد قرمان واتصل بأتباع سلطانها . وكانت رحلته لأرض الروم سنة خمسين وستمائة وتزوج من قرينا فولد له سليمان وتسلطن وهو الذي فتح (بروسيا) في حدود الثلاثين وسبعمائة . ثم ملك بعده ابنه عثمان جواي الاصغر وقيل هو الذي افتتح (بروسيا) وهو الذي استقل بالأمر بخلاف آبائه فاتهم كانوا من أتباع السلاجقة ، ولم يزل الملك يتداوله بنوه الى أن انتهى الى بايزيد وكان له عدة أولاد وكان يعدل بالملك لا أكبر ولده أحمد ، والعسكر يعيل الى سليم ويدعو الى الخروج عن الطاعة وخلم البيعة لما رأى من فعل أبيه بالعهد لأخيه بمن مال اليه من العسكر فتحاربوا ووقعت بينهما موقعة ثم آل الأمر بينهما الى أن كتب العهد لما رآه من ميل العسكر ، فتولى الملك واتسعت مملكته بمصر والشام وسائر ممالك

العرب . وتولى الملك سنة عشر وتسعمائة فأقام في الملك تسع سنين وثمانية أشهر وتوفي سنة ست وعشرين وتسعمائة وتولى ابنه سليمان في السنة المذكورة وعمره حينئذ ست وعشرون سنة ولبث في الملك تسعاً وأربعين سنة وتوفي سنة خمس وأربعين وتسعمائة وهو الذي أفنك ممالك بني حفص من أرض إفريقية : طرابلس وتونس لابنته سليم خلافاً للشيخ مرعي مؤرخ ملوك بني عثمان وأبي سالم العياشي ، وذلك أنه اتفق على أن فتح طرابلس كان سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وفي ذلك كان الأمر لسليمان وقد ذكر غير واحد أن أخذها كان من المدد الآتي لحق الوادي نصره وهو يقتضي حصر الجيش له . وقد ذكر الشيخ مرعي أن المحاصر لذلك قلج علي باشا وسانان ولم يل قلج علي الوزارة لسليم إنما وليها لأبيه سليمان وكانت ولاية سليم بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين وولاية قلج علي باشا الوزارة لسليمان سنة ست وخمسين وتسعمائة (٩٥٦) وأقام بها أربع سنين وستة أشهر

وكان سليمان بن سليم سعيداً فضلاً جواداً ممدوحاً مجاهداً في سبيل الله ناظراً إلى الرعية بالعدل لم يل الأمر من بني عثمان قبله أو بعده مثله . وصلت سراياه إلى أقصى المشرق والمغرب وغزا بنفسه ثلاث عشرة غزوة عظيمة وكان مفتوحاً على يديه أمان سلك ملك ، وأنى توجه فتح وقتك مؤيداً في حروبه مسدداً في رأيه ، مسعداً في وقائعه ، ولم يزل مذكراً قائماً بأمر الدين وإظهار العدل وتأييد الشريعة وتجميد الأمة في القرن العاشر إلى أن توفاه الله . وكانت أيامه من غرر الزمان

وقتل أول أمره أولاده خوف الهتن والخروج عليه ، خفق ولده مصطفى بعد توجيهه إلى تبريز لأخذ العجم ، وتحميل في تحصيل ولده بايزيد فلم يمكن بعد ذلك إلا بعد قتل فيها نحو الحسين ألفاً وحصل بقية أولاده مجوداً وعبد الله

وعثمان وبذل مالا كثيراً حتى ظفر بهم فخنقهم وخنق أولادهم . ولما مات رثاه الشعراء بكل لسان ومنهم أبو السعود المفي صاحب التفسير رثاه بقصيدة قال رحمه الله تعالى :

أصوتُ صاعقة أم ففخة الصور
أصاب منها الوري دمي وداهية
تهدمت بقعة الدنيا لوقعها
فمن كئيب وملوف ومن ددف
فباله من حديث موحش فكر
تاهت عقول الوري من هول وحشته
تقطعت قطعاً منه القلوب فلا
أجفانهم سفن مشحونة بدم
أني بوجه نهار لاضياء له
أم ذاك نعي سليمان الزمان ومن
وقي ومن ملأ الدنيا مهابته
له وقوم في الاكفاف شائعة
وراية رفعت للمجد خافقة
يا نفس مالك في الدنيا مخلقة
وكيف تشين فوق الارض غافلة
فللمنسايا مواقيت متسدرة
وليس في شأنها للناس من نظر
يا نفس فاتتدي لا تهلكي أسفاً
إذ لست بأهورة بالاستحيل ولا

فالارض قد ملئت من نقر ناقور
وذاق منها البرايا صعة الطور
واخذ ما كان من دور ومن سور
هان بسلسلة الاحزان ماسور
يضافه السم مكرو و منفور
فاصبحوا مثل مجنون ومسحور
يكاد يوجد قلب غير مكسور
تجري ببحر من العبرات مسجور
كأن خاراته شنت به يجور
قضت أوامره في كل مأمور
وسخرت كل جبار وتيمور
أخباره وجيدت في كل ظامور
تجري على علم بالنصر منشور
من بعد رحلته من هذه الدور
أليس جنانه فيها مقبور
تأتي على قدر في اللوح مسطور
ومدخل ما بتقديم وتأخير
فأنت منظمة في ملك تصور
بما سوى بطل مجبور . . .

إن المنايا وان عمت محرمة على شهيد جليل الحال مبرور
 روابط في سبيل الله مقتحم معارك الخلف بالرضوان مأجور
 مات ، بل نال عيشاً باقياً أبداً عن عيش قن بكل السمر مغفور
 ولم يزل طرغود باشا والياً بها ومراد آغا بتاجوراء محبوباً مكفوف اليد عن
 التصرف الى سنة سبع وستين وتسعمائة فتوفي مراد ، وفي مدة طرغود اشتغل
 بغزو أرض الروم وعماراة السواني^(١) وجلب الناس من أطراف البلاد لعماراة
 المدينة فعمرت

وقصده أسطول النصارى سنة ست وستين ليفتك البلد فرجع خائباً ، ولم
 يزل منصوراً مؤيداً في حروبه ناظراً للرعية بالعدل لم يفرض عليهم خراجاً ولم
 يطالبهم بشيء الى أن دخلت سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة . فوجه السلطان سليمان
 أسطولاً كبيراً لاخذ جزيرة مالطة لأنه بعد أخذه جزيرة رودس استأنمته أهلها
 فأمنهم ، وخرجوا منها وعمرها جزيرة مالطة ولحق المسلمين منهم أذى كبيراً الى
 وقتنا هذا ملكها الله للاسلام آمين

فلما بلغه ذلك ندم على تركهم وأمانهم ووجه اليهم الاسطول سنة اثنتين وسبعين
 وتسعمائة فلما حاصروها أرسلوا الى طرغود يطلبون مدداً ففرج اليهم في اثني
 عشر شهيراً^(٢) فلما حاصروا بعض قلاعها أصابته رحمة الله كورة^(٣) قيل لم يصبه
 جسمها وإنما أصابه حرها . فنزل من حلقه دم كثير حتى استفرغ فمات ، وقيل
 أصاب جسمها جوفه فقطعت أمعاءه فدفنت هنالك ، وصبر علي قائد الاسطول
 باقيه وأرسله الى طرابلس ، فدفن بها ، وقبره الآن مشهور بمقربة من البحر باراه
 مسجده الذي ابتناه بها بنكباء شرقها والشمال . ولما أرسلوه وقع بين أهل الاسطول

(١) السان (٢) الشوى اسم لنوع من السفن البحرية (٣) قلة

خلف أدى الى انكسارهم فأقلعوا عنها ولم ينالوا المراد منها
ولما بلغ الخليفة سليمان ابن سليم الخبر اقمتم لذلك ، وعزم على تجهيز جيش
عزمم لها ليريح المسلمين منها فعاجله داعي الموت

ولاية يحيى باشا

ولما مات طرغود أرسل الى طرابلس الخليفة سليمان والياً من قبله يقال له
يحيى بن أسطول شوانها وتدير أمرها وأمر الجند الذين بها ، فأقام بها الى سنة
ثلاث وسبعين وتسعة فمات ودفن خارجها بقصر قراقش الارمني (١) وهو
[غربي طرابلس] على نحو ستة أميال أو أقل من ذلك
وتغلب الجند على أمر البلاد فلم يكن لوالها من قبل السلطان تصرف (٢) ، واضطرب
أمرها وفسد نظام الملك وكثر الهرج في الرعية فتغلب على غريان رجل يقال له حجاج
سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ومنعها الطاعة. فلما كانت سنة خمس وعشرين وتسعمائة راسلت
خودة بنت شرومة بن محمد الفاسي زوج المنتصر صاحب فران العسكر بدينه
طرابلس أن يقدموا عليها لتملكهم البلاد ، ووعدهم بالعطاء الجزيا إن دعوا اليها (٣)
وسبب ذلك أنها كانت تحت ابن عمها المنتصر بن الناصر بن محمد ، وكانت
له راحة أخرى من أهل مررث ولم يكن له منها سوى ابنة ، وكان له من المركة

(١) سير لاريل طلاله موجوده وهد من

كان راسي دائرة التي لها التصرف
(٢) الذي راسي

بش وولاية ولاية مصر
المقدون من

(٣) وكان

... ..

عدة أولاد ، وكان أكثر اقامته بمرزك ، وكانت تسكن القصر الاحمر بسببه ، وكان قصر آ منيعاً ، فداخلها ما داخل النساء من الغيرة ففعلت ذلك ، فوجهوا اليها طائفة ، وافق أن قدم عليها المنتصر من مرزك ، فسدت أبواب القصر عنه وأحسنت لحاشيتها وقائلته ، فحاصرها ثلاثة أيام فمات كدأً ودفن بمجامع الحديد . فلما مات زال ما بها من الخمد وحدثتها نفسها بالملك فقدمت على مراسلة الترك بالقدوم فدأمة كسبية ، وفكرت في نفسها حيلة تستعد بها لهم إن قدموا عليها ، ففاجأها قدومهم بالقرب من موته ، فلما رأهم قصدت الى حجارة على جبل بمقربة من القصر فألبستها أقبية الرجال وعمائمهم حتى ظنوا أنها رجال ، وانقطعت بهم الارض فراسلوها أن تنفي بما وعدت بعد أن سدت القصر بطلق أبوابه وامتنعت قطن أن ذلك يقبها . فلما أيقنوا أن تلك الحيل حجارة هجموا على القصر فلكوه وأخذوها وعذبوها عذاباً شديداً ثم حرقوها . وتوجهوا الى مرزك بعد أن ملكوا سببه ، وكان بمرزك الناصر بن المنتصر بن محمد القاسمي وكان أكبر أولاد المنتصر فلما بلغه الخبر وتيقن ألا طاقة له بقتالهم لعدم استعداده لم فرأ بغيرته وإخوته ومن تبعه من أهوانه لأرض كاشنه من أرض السودان واستقر بمدينة كاشنة ، وملك للترك البلد وجعلوا حاملاً عليها منهم يقال له مامى وأقاموا معه طائفة من الجنود ورجوا قائلين . فلما قفلوا من أرض فزان وبلغوا البلد ودخلت سنة تسعين وتسعمائة قام أهل البلد على مامى ومن معه من الجنود فقتلوه عن آخرهم^(١) ، ولم يفلت منهم الا طائفة من أولاد علوان كانوا عوناً للجنود وأرسلوا الى الناصر بأرض السودان فقدم عليهم وبايعوه واستقر بهم الى سنة ثمان وألف فمات بها مريضاً

واشتغل جند البلد^(٢) بما لا يعنيههم وجاروا على الرعية فقدم رجل من أهل

(١) كان قتل مامى ومن معه في زمن ولايه د حدر باشا ، ولم يذكره المؤرخ وكانت ولايته سنة ٩٩٠ هـ وفي زمنه كثرت الامم والساد وميلت السل. وكان حور لحد واليه ، وكان عليه الخدشته ١٠١٣ هـ فلهوه

(٢) اي طراس

المغرب يقال له يحيى بن يحيى السويدي وأظهر العلم والورع . وفي نفوس الرعية من جور الجند ما الله به عليم
 وحكى أن رجلا من الجند كانوا نفوه لأرض الجزائر إذ كانت لجند طرابلس
 وهم الذين اقتنعوها . فقدم مع رجل له قدم في الولاية والصدق مع الله فاستشارهم
 على أن يمكث بالبلد ويمشى صحبتته للحج ، فأمّنوا عليه وأمروه بإدخاله فادخله ،
 فلما نزل الركب تاجوراء قتلوه فبأنه الخبر بذلك مع شكاية الرعية جورهم وفسادهم
 فدعا الله عليهم ، فانتدب لذلك يحيى بن يحيى السويدي فدعا الله أن يديقهم على
 يديه الخلف

فقام يحيى عليهم سنة ست وتسعين^(١) وبايعه أهل تاجوراء مسرأً وخرج ونزل
 بمسلاته . وكان لساناً فصيحاً جواداً مقداماً فأكرمه أهلها وبايعوه ، وتسامع به
 الناس فأتاه حاضر الوطن وبأديه ، فخرج الجند اليه وهو بها فالتقوا بمسلاته
 فكسر الجند وقتل منهم نحو الألف ، وأكثر من قتلهم أهل بزليتين ومن حولهم
 وقويت نفوس الناس معه ، ودها الجند ومن تابعهم بداهية لم يسمع بمثالها . ثم حشد
 وقدم تاجوراء ، وانتقل منها ، وحصر المدينة حصاراً شديداً حتى قرب
 الاستيلاء عليها فخذله شيخ العرب ابن نوير^(٢) ومن تابعه وفهموا عليه ومسكوه
 ، أمكنوا الجند منه فقتلوه سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ، أرسلوا إلى السلطان مرد
 وأخبروه بما فعل ابن نوير ، فكتب لهم في خراج البلد وجعل لهم منه مائة ألفاً
 وأمر بتعظيمهم حين القدوم لدار الملك بطرابلس ، فلم يزالوا عليها وفيهم بقية من
 ذلك إلى وقتنا هذا . ولم نزل طرابلس سلطوي جندها الأمر وطرحهم له شورى
 بينهم في تضعف وتعبر شديد والثورة قائمة في كل ناحية

(٢) كان قومه في زمن ولاية حمير دشا وحاصر المدينة سنة

(٣) 'ولادور' سنة ١٠٠٠ قبة لخادم يعرفون هذا الاسم

قام بعد يحيى سنة اثنتي عشرة بعد الالف في تاجوراء رجل يقال له نبال
وقام بعده عيد الصمد وخلع البيعة سنة تسع وألف

ولاية سليمان داي

ثم بايع الجند رجلا منهم يقال له سليمان داي [سنة ١٠١٢] وتسميه العوام
صفر داي ليتولى أمر الخزانة والخراج فأحسن السيرة في ذلك وتفتت شوكته
وقتل بعض رؤساء الجند

وفي سنة خمس عشرة وألف خلع بيعته أهل تاجوراء وبايعوا رجلا
يقال له أويس وتبعهم على ذلك بنو ربيعة ونزلوا حوالى بلد تاجوراء بأهاليهم
وخرج لهم سليمان داي برأ وبجراً وقاتلهم فلم يند فيهم شيئاً لقوة الاعراب
وشجاعتهم فتفق - لارادة الله تعالى خراب تاجوراء - أن وقعت دابة لبعض
رؤساء بني ربيعة في زرع لبعض أهل تاجوراء فقتلها وأثار أهل تاجوراء - لبعظهم -
لبني ربيعة مخاصمة أفضت الى ملاكة ، فارتحل عنهم بنو ربيعة فدخل الجند
البلد وقتلوا كثيراً من أهلها ، وهتكوا الحرم ونهبوا الاموال ، وزادت بذلك
شوكة سليمان داي فتجاوز الحد في الجور على الرعية وأطلق يد الجند ، ولم يزل
على ذلك الى سنة عشرين وألف فتاقت نفسه لطلب المنصور بن الناصر بن
المنتصر بن محمد الفاطمي صاحب فزان بالاثمة ، فراسله بذلك فامتنع عليه فوجه اليه
جنداً فلما بلغ المنصور ذلك جند قومه واستعد للقائهم ، فجمع عشرة آلاف
مقاتل ولقيه بمحل يقال له كنير^(١) بن أم العبيد^(١) والرمة^(١) خارجاً عن أرض
فزان من جهة الشمال على مسيرة يوم من قرية الزيفن^(١) فالتقوا هناك واقتتلوا

(١) جاء الذين يعرفون بال...

قتالا شديداً ظهرت فيه شهامة المنصور وشجاعته حتى هزم عسكر سليمان وأكثر فيهم أهل فزان القتل . ثم ردوا بعد الهزيمة وكسر المنصور وأنخن بالجراح ، ولما علم عدم سلامته بعث رسولا الى أخيه الطاهر ليفر بالحريم والخزانة وفر لارض السودان كما أمره ، ومات المنصور من جراحته وقتل أكثر عسكره واستولوا على أثاث العسكر وسلاحه ، ووجهوا الى أرض فزان فلكوها وجعلوا عليها عاملاً تركياً يقال له حسين النعال ومكث بها الى سنة اثنتين وعشرين والفا ، وجعلوا معه طائفة من الجند قدام أهل البلد عليهم فقتلهم عن آخرهم واستأصلوهم وراسلوا الطاهر بأرض السودان فقدم عليهم وبأيموه

ولما رجع جند سليمان من أرض فزان أمر بخراب قرية تاجوراء لما كان يبلغه عنهم . ثم ردم أهل تاجوراء به الشكاية بواسطة الجند للسلطان أحمد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد ابن سليم بن سليمان وأخبروه بما فعل فأشكاه منه ^(٢) وأرسل أسطول شوانيه فدخلت طرابلس سنة ثلاث وعشرين وألف فاحتال قندها في أخذ سليمان داي فأرسل اليه حتى أتاه داخل السفينة فصلبه في محل القلع من السفينة

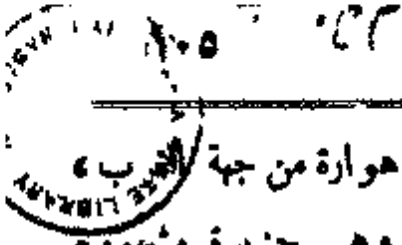
واختلف فيمن تولى أمره ، من جهة السلطان يام سليمان داي : قيل الشريف بانة وقيل بصادرمج بانة ، ونحوه على توليهما أمر البلد من جهة السلطان وبصدمرج - بياه ، ووحدة مفتوحة ، بعدها صاد ثم دال مهملتان ثم راه ثم مير وجيم - لقب له وهو اسم القديس بلعه الترك ، غاب عليه القوم حتى لا يعرف لانه . . . سبب تغلبه عليه كثرة مهادنة السلطان بعبيد الغزال

ولاية شريف بامنا

ثم بعد موت سليمان داي بايع الجند رجلا شريفاً كان من أهل القسطنطينية
 قدم طرابلس زمن سليمان داي حكماً يداوي المرضى ، ثم انتقل منها الى تونس
 وانتقل منها الى الجزائر وأقام بها مدة ، ثم أناب الى طرابلس فوجد سليمان داي
 قتل وكان معه لظافة وخراف فولاه العسكر أمر البلد وبيعوه على ذلك ولم يزل
 والياً لامرها وتفريق رزق الجند وضبط الخراج الى سنة خمس وثلاثين والى
 وقيل الى سنة أربعين والى الف قدام عليه الجند فلما أحسن بذلك أخلق القلعة واستعد
 لقتالهم بمن معه فيها فكبر عليهم ذلك فاستنزوه منها بحيلة وذلك أنه كانت له
 عقيدة بالغة في الشيخ العارف بالله سيدي محمد الصيد اليحياوي نسبة ليحيى بن
 محمد من بني ربيعة القبيل المشهور بالبلد . وقد كان فاضلاً متفكراً منقطعاً لله تعالى
 طرفاً به دالاً عليه ، له كرامات ظاهرة ، كان في ابتداء أمره في ديوان الجند
 فبعثوه في بعض الخدم الى جهة الشرق ، فلما سر بقرية الفواتير وجد بها رجلاً مهدياً
 منجذباً فلحظه فانتقل عن حالته وتوجه بكليته الى الله تعالى . توفي رحمه الله
 تعالى لست بعين من رمضان سنة خمسين والى . فألبس الجند بعضهم شبه الشيخ
 واستنزوه عن إذن الشيخ فامتنع الا أن يرى الشيخ فلما رأى من ألبس شبهه لم
 يشك في أنه هو ، فألقى السلم ونزل اليه فقطعوه قبل أن يصل الارض . فسبحان
 من لا يحول ملكه ولا يزول

ولاية رمضان داي

ثم بعد موته بايع الجند رجلاً منهم يقال له رمضان داي يدبر أمرهم ، وكان
 ضعيف النكاية وبذلك تقوت شوكة الاعراب حتى أرادوا أهل البلد على الاثاوة



وكانوا يأخذون اللحم من الجزرة إذ كانت خارج باب هوارة من جهة الغرب وهي جزيرة مشهورة وفي أيامه قدم محمد باشا الساقلي - نسبة لساقس وهي جزيرة مشهورة من جزر الروم ومنها نجاب المستكى البلدي وهي على دين النصرانية - نوتياً في بعض سفن النصارى فحضر مجلس أخذ القائل بالحصاء خارج باب هوارة فأخبره الآخذ أن ملك البلاد يصير إليه فأعادها فأخبره بذلك فمجب في نفسه من ذلك وهو على دين النصرانية وهي قضية اتفاقية كقضية عمرو بن العاص رضي الله عنه حين قدم الاسكندرية في جاهليته مع بعض أساقفة النصارى بسبب معروف كان صنعه فيه عمرو لما قدم الشام تاجراً ، وكان عليه رعي الابل ، وكان الاسقف من العباد فأصابه العطش واستد به ، فرآه عمرو فاستسقاها فسقاها ، ثم نام بازائه فجاءته حية لتمشه فقتلها عمرو دونه ، فلما أفاق وشاهدها سأل عمراً عن ذلك فأخبره الخبر ، فقال كم دية الرجل عندكم معشر العرب ؟ فقال مائة بعير ، فقال كم يساوي البعير عندكم ؟ فقال عشرة دنانير ، فقال هل لك أن تقدم معي الاسكندرية فأعطيك ديتين لإحيائك لي مرتين ؟ فأجابهم عمرو إلى ذلك ، وقدم على أصحابه فأخبرهم بذلك ووعدهم إن انتظروه إلى قدومه أعطاهم إحدى الديتين ، فأجابوه إلى ذلك وانتقل معه حتى وصل الاسكندرية . فبينما هو بها ذواقي مجلساً يلعب فيه أولاد الملوك لكرة يترامونها بينهم فن خرجت من كه تولى أمر مصر فرموا بمحضر عمرو فأصابته كه نخرجت منه فتمحبوا من ذلك ، فأعادوها فأصابته ، فكان أن تولاها عمرو في خلافة عمر رضي الله عنها ففتحها وكتب له الهدى عليها ثم انتقل محمد باشا إلى الجزائر وهو على دين النصرانية فأقام بها ثم أسلم ، وعمر شينيا واشتغل بنزو أرض المدية ، ثم قدم بشينيه على طرابلس وأحب الدخول في جندها فأتى رمضان المذكور وأعلمه أنه يجب الدخول في جنده فرتبه في ديوان رؤساء السفن أنزأ أرض المدية ، أصاب غنائم . ثم تافت نفسه لمصاهرة

رمضان فقد له على ابنته مناً ودخل بها
وكان الغالب على دولة رمضان امرأة يقال لها مريم بنت فوز الشبلية لنفوذ
كلمتها عند الاعراب الغالبين على أمر البلد ، وهي التي تتوسط بينهم وبين الجند
بالخير ، فلذلك عزت كلمتها وارتفع كعبها في البلد حتى كان الديوان يأتيها لبيتها
وكانت تحت بعض رؤساء الجند
فلما رأى محمد ساقلي ذلك وضعف رمضان وخوره راوده على تسليم الامر
اليه فأجاب به إلى ذلك ، ودبر حيلة في ذلك خشية ألا يرضى الجند ، فأمره أن
يخرج غازياً وأن يعلم طائفته بذلك ويدخل ليلاً ويستأذن في دخول القلعة ، ففعل
ودخل البلد ليلاً واستأذن في الدخول فأبى عليه الجند المرتب بها للحراسة حتى
يستأذوا له ، فاستأذوا رمضان فأذن في دخوله فدخل بمن معه ، فلما استتموا
بالدخول بطش بمن بالقلعة من الجند ، واستولى على الخزانة وأصبح يبايعه الناس

ولاية محمد باشا الساقلي

فلما تمت له البيعة وظف على دور البلد في كل شهر شيئاً لضعف الخزانة ، وأجرى
بالباب مكافأة على الخارج من المدينة والدخول اليها ، وكان عدة ما يأخذ من استلزام
الساكنين في كل سنة ألفين وخمسمائة ريال وقد رعى الشجر من النخل والزيتون
وخليفتاً قلبلاً يعطونه في كل سنة
حكى من يوثق بغيره قل حدثت ممن أدرك ذلك أنه نزل يأخذ على النخلة
الواحدة بيضة ، وكانت جباية ذلك عند تمام السنة
وكان عثمان الساقلي علماً لبعض الجند وقيل للشريف داي الذي تقدم ذكره
فاستعمله قائداً بساحل آل حامد لأخذ العشر وما فرضه على الشجر ، وكان

اكتسب من أخلاق العرب وشجاعتهم فظهرت منه نجابة ، وكان محمد المذكور أراد أن يبطلش يريم بنت فوز ، فمرض زوجها فأتاه بعوده واستصحب معه دواء مسموماً ودفعه له ، فلما تناوله خرج محمد من عنده فما بقي الا يسيراً حتى قضى نحبه ، ولما خرجت مريم من العدة خطبها قيل لنفسه وهي رواية الاكثر ، وقيل لبعض علوجه وأمر بدخولها للقلعة فعُي لها بيت ، ورفعت ما كان بيدها له ، فلما استقرت بها أمر بها فقتلت واستولى على ما بيدها

ثم دبر مع أحمد بن ربيعة حيلة في قمع عماري الأعراب فأشار عليه بترتيب جند بري وأن يركبهم الخيل ، فرتب جنماً وأركبهم الخيل وولى قيادة جيشهم عثمان الساكلى لما ظهر منه من نجابة وشجاعة وصار يترز وأهاليهم فيأخذهم ، ويحتال على رؤسائهم فيأخذهم بالأمان فيقتلهم ، حتى كسر شوكتهم وخرّب الخراج على من استضعفه ودان له منهم

ولم يزل هذا دأبه معهم ^(١) الى أن دخلت سنة تسع وخسين وألف ، فمات في ذي القعدة ليلة الجمعة لليلتين خلتا منه وقيل سنة ستين وألف والاول أصبح . وكانت ولايته سنة أربعين وألف وقد استمر اثنتين وأربعين وهي رواية الاكثر ، وكان موته يسمى سحق له ، وضع في تفاعه وأعطاه إيها طبيب فرنجي كان أميراً عنده . كما تدعى تدان . ولأكل التفاحة شد به الألم وصاح بخارن داره رمضان حتى أحضره بين يديه فلم يسمع منه كلمة سوى لفظة « أولم أولم » ومات ، ومعنى هذه اللفظة التركية يا ولدي مت

ولما مات أغلق رمضان المذكور دونه باب الدار ولم يدخل أحدًا من الغلمان الحاضرين يخرج إلا غلاما له يقال له محمد أرنورت ، وأوصاهم بعدم الصياح وألا يخبروا أحدًا من الخارج ، وتزل فأرسل خلف محمود ككيخية

(١) ان ان نود هذا الساكلى . . .

فحضر فأخبره بموت الباشا واستفهمه عن وجه الرأي في ذلك ، فأجاب محمود :
الرأي مندي أن تلي الامر أنت وأبايكم على ذلك وأنا بحلي ، وعلى ضبط البلاد
أحسن مما كانت في مدته ، ولا أدع مشوشاً عليك بشيء . فقال لا طاقة لي بهذا
ولا أقبل هذا الخطب العظيم ، والرأي أن تتولى أنت مكانه إذ كذلك القانون ،
فقال محمود لا أفضل . وكل هذا وليس مهم إلا غلامان أو ثلاثة لها ، فلما تطارحا
الأمر بينهما وأباه كل منهما قال رمضان : كان الباشا يقول في حياته : سمعت من
هذا الأمر و كبر سني ومات ابني وأريد أن أسلم لعثمان باي وأستريح ، وكان
ابنه مات ليلة السابع والعشرين من رمضان من سنة موته ، فلم يكن بينهما إلا
نحو الخمسة والأربعين يوماً هكذا سمعت منه ، فلما سمع ذلك محمود كيخية نهض لنداء
عثمان باي لذلك الأمر ، واستصحب معه محمد أنور تابع رمضان خازن دار ،
فلما أنبا داره وصاحا به أشرف عليهما وسأل ما الخبر ؟ فأخبروه فامتنع قليلا ،
فأقسما له ، فلما تحقق نزل وصار معها إلى القلعة ، ففتح لهم رمضان خوذة الباب
وأدخلاه وحده ، ومنعوا الأربعة نفر الذين أتوا معه من الدخول وأغلقوا الباب
دونهم ، فلما استقر بهم المجلس قال لرمضان : تول الامر وأنا خادمك كما كنت
مع سيدنا لأنني أعرف محبة أهل البلد لكم ، وكذا رعيتهما وحاضرها وباديها ،
وأعلم فناءهم الخبير عليكم ، فامتنع وقل لا طاقة لي بهذا الخطب ، فرغبه عثمان
ومحمود في هذا الامر كثيرا ، وتكلموا له بتسديد البلد وضبط خراجها وجندها
وحالفاه على ذلك ، فأبى عليهم وقل : سمعت من الباشا في حياته يريد تسليم
الامر إليك

ولاية عثمان باي

فأخذ محمود كيخية وأجلسه على الكرسي وبايعه ، وتبعه على ذلك رمضان

انغازن ، ثم أرسلوا خلف مصطفى شلي وأحضره وأخبروه الخبر فرضي وبايع وأرسلوا الى محمد باي فأحضره فرضي وبايع ، وجعلوا يسيحون بأهل الحصار فرداً فرداً وكل من أتى أخذوا بيعته حتى بايع أهل القلعة كلهم ، واشتغل بعد ذلك بالكتب للعمال وأهل الطاعة يخبرهم بموت محمد وتولية وبنهم . فلما أصبح فتح القلعة والمدينة وأمر المناادي بالنداء للأول بالرحمة ، وللثاني بالنصر . فلما سمع أهل البلد ذلك دخلوا فبايعوا كلهم ولم يختلف عليه أحد من أهل البلد والمسكر فأقبلت الرعية للبيعة أفواجا ، وفرق في العسكر لكل عشرة ريات ثم أخرج محمد باشا ودفنه بازاء تربة رمضان داي على السكة النافذة للبحر من شرقي المدينة ، وبنى عليه بشاية عظيمة ووقف عليه أوقافاً ، وغرس في التربة غرسة كرم ألبست المحل أنساً وبهاء ، وأسقط عن دور البلد الوظيف الذي كان وضعه عليها محمد باشا تؤديه كل سنة للحراسة . وأسقط عنها وظيف القضاة الذين كانوا يأخذونه من الميت

كان القضاة إذا مات الميت أرسلوا لوارثه وطلبوه بدفع سدس ماله ، وسموا ذلك فريضة ، وهو ظلم وجور لم يقل به مسلم ولا ملة من الملل إلا ما حكى بعض الاخباريين عن فرعون في ابتداء أمره من أخذه مكساً على الميت ، فإن عنوا بالفريضة فريضة فرعون فالاسلام نسخ ما قبله ، على أن ذلك لم يكن شريعة وإنما هو ظلم ، وإن عنوا أنها فريضة اسلامية واعتقدوا حلها فهم كفار ملحدون ، إذ الاجماع والكتاب والسنة على حرمة مال المسلم ودمه بمير حق شرعي ، أما الكتاب فقد قل تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » عطفاً على ما قبله من تعيين حدود الله فهو منها والآية محكمة ، وأما السنة فحديث الصحيح : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » والاجماع على ذلك ، وكانوا من حرصهم على هذا السحت يتوهمون على ، أنه جميع ما خلفه من عتق وغيره

بأفلى من ويأخذون سدسه ، وزيادة فوق ذلك ، فحمد أهل البلد على ذلك
وأثنوا عليه الجليل

ثم راسل السلطان عمداً الرابع في طلب الإمارة فكتب إليه السلطان بذلك
وولاه أمر طرابلس وعملها وعمارة السفن والغزو في البحر فغتم من الكفار سفناً
كثيرة وأموالاً غزيرة ، وكان جاعاً للاموال بكل وجه أمكن واستمر على ذلك ،
وفي كل سنتين يجرد له السلطان تشريفاً وكأما جاءه رسول من قبل السلطان
أحسن إليه الاحسان الكلي

فما تمكن اشتد ظلمه ومنع التجار المسافرين لارض فزان من التجارة في
النحاس والحرز والكافد ، وفادى ألا يتجر بنك أحد غيره ، وحجر على الناس
شراء السلع المهمة القادمة من البحر ، وأقلم رجلاً لشراؤها ، ودفع لرجل مالا
يشترى كل سلعة تأتي من بلاد النصارى أو غيرها ، ولا يستطيع أحد أن يشترى
سلعة من أربابها غيره وهو يبيع لأهل السوق ، فبنك ضعف تجار أهل البلد
والمسافرون لارض فزان ، وضعف الجالبون حيث لم يصادفوا ربحاً بسبب
الحجر عليهم

قال حسين بن أحمد البهلول فيما كتب ومن خطه نقلت : كان ذا حزم وعزم
وشجاعة ، ملئت دولته واشتهر خبره في مشارق الارض ومغاربها ، وكان قبل
ولايته وهو قائد الجيش عند محمد باشا له فتكات في مغازيه وأحواله قل أن توجد
في الاكثر من أمثاله ، وكان شديد العزم في غزوه على الاعراب ، وربما بقي
الستة الايام والسبعة لم يترجل عن فرسه إلا لضرورة ليلاً ولا نهاراً ، وربما حلق
على الفرس العاف وركب فرساً آخر غيره

وكان في أيام محمد باشا خلع بيعته جبر بن موسى التاورخي ولم يدخل يداً
في الطاعة واجتمعت عليه قلوب أهل تاورغاه لكرم كان فيه لم يسمع بمثله الا لحاتم
وأحبه الأعراب

يحكى أنه نحر في هيد أربعين جزوراً وثلاثمائة شاة ومدحه الشعراء .
 فوجه محمد باشا اليه عثمان بك في جند فحصره بتاورغاه بلدة ، وهو بلد وخيم له
 حتى شديدة الحر على مسافة ست ساعات من مصراته أو أزيد بقليل ، وبه عين
 ماء عذب يشبه النيل ماؤها في الغزارة ومنه تنفجر الأنهار والجداول الجارية في
 البلد لسقي النخل ، وبها من شجر النخل وضروب أنواعه ما لا يحصى كثرة ،
 وأرضها سبخة ينقلب بها طعم الماء الى الملوحة فاذا ركبت تمر . صعبة المسالك لا يكاد
 يمتدي لمنازلها الطير من صعوبة ذلك ، فحصره بها ودخلها وقطع نخيل بعض
 جهاتها ، فالتقى الفريقان فوقت الهزيمة في جند عمان ، فلما رأى ذلك ترجل عن
 فرسه وأسند ظهره الى نخلة واختلط سيفه وأقسم لا يزول من محله الا أن تكون
 الكرة عليهم أو يموت ، وصاح بالجند وهو يجر ضهم على الثبات ويقلل القوم في
 أعينهم ويقول : اثبتوا وأنا أكنفيكم حتى رد عليه الجند ، فوقت الهزيمة على جبر وانهمزم
 بمن معه وخرج من البلد واستولى عثمان على حريمه وبعض أولاده ، فاستصحب
 الأولاد والحريم حتى نزل مصراته فترك الحريم بها وقتل أولاده بمحل السوق
 القديم بالبلد بقرية أولاد شوشان ، وهي قرية صغيرة غربي مدفن الشيخ زروق
 ، دفنوا بموضع يقال له مسيد بن دخان . يم ومين مهملتا بعدها مشاه تحتيه ودال
 مهملتا آخر الحروف . خارج البلد بنحو ميل عنها لجهة الشمال ، ولم يتركهم
 يدفنون بمقابر المسلمين

قال وكان مؤيداً بالنصر والظفر ، ما توجه لناحية إلا ظفرها ، وكلف في
 عداد جند محمد باشا وصهره رمضان
 وكان أهل فزان قتلوا حسيناً النعال كما ذكرنا سنة اثنتين وعشر بنو ألف
 وبايعوا الطاهر ولم يزل بها معتدل الحال الى سنة اثنتين وثلاثين ولف فطحي
 الطاهر وتيجير وزاد في التراج على الخرماني أهل وادي الآجال^(١) وهو واد متسع

(١) قال الشيخ فاح في حوايه على أربع النسا . وم . من الله رعدون الحمال

كثير النخل وبه من شجر العذباء كثير، وعرضه نحو الثمانية عشر ميلاً، تكتنفه من جهة الغرب رمال، ومن القبلة والشرق جبال شواحق، وفيه مراجم الابل قل أن توجد، وأهل يثربون من الآبار، ومازء عذب فرات، وهو واد مخصب في الزرع والتمر وكل الفواكه، وأهله من الشمال الخرمان، ومن الجنوب طائفة من العرب يسمون الحجاج واليه يأوي التوارق، وأكثروا أهل بيض، وبالرملة التي غربية قطع ماء يكتنفها الرمل من كل جهة وهو ملح أجاج أشد ملوحة من البحر ونقته يشبهه، ولا يعلم له عمق، وقد عرف الرمال تنهال فيه ولم يظهر لها فيه أثر وأعظم تلك القطع القطعة المسماة بقبرعون^(١) يسكن حولها قوم من أهل الوادي يسميهم أهل تلك البلاد المدوادة لاصطيادهم من ذلك البحر ديداناً طوالاً حراً تشبه الدود الكبير وأكثروا ما يمكن اصطياده زمن الربيع والخريف ويقل في الصيف، ولا يمكن اصطياده في الشتاء لصعوبة البحر، وهو سهل نافع جداً مخرج للصفا، وهي من أطيب البلاد هواء وأهلها لا أرض عندهم تزرع لاستيلاء الرمل عليها ولهم غرس نخل يجذب البحر، وبارئهم أحساء ماء عذب لا نظير له، ويأتي لذلك البحر من به علة فيغتمل به فيدأ بحول الله وقوته كائنة ما كانت علته، ومازء ساخن، وأهل تلك النواحي يستشفون به، وهو على مسيرة نصف يوم من الوادي

والقطعة الأخرى تسمى مندرة وهي مثل الأولى في الثنوة والملوحة، وليس بها من الديدان شيء، ويكتنفها من كل جهة النخل، وبها أنواع عجيبة وثمرتها تنبتاً بالطيب، الباكور منه تكون، وآخر الخريف وناقيه يكون في الشتاء،

(٢) ماء الدير وخب دسوى بجيرة مرو.

وبه رجل صالح يسمى زائد بن رزق يقصده أهل تلك النواحي بالزيارة وحوله
ناس ، وبينها وبين قبرعون نحو الستة الاميال
والقطعة الأخرى تسمى الاطرون لاستخراجها منها زمن الصيف
فانتقلوا قارين الى طرابلس ، فأحسن الطاهر بخبرهم فراسل مرابطي سببه بالتمرض
لهم وارضاهم فتمرضوا لهم واسترضواهم فلم يرضوا ، وراسل عامله على سوكنة أبا نوح
المصري بالتمرض لهم فلم يقدر ، فقدموا على رمضان داي وصهره محمد الجزائري
وهو الغالب على أمره ، فأكرمهم ووجه معهم جيشاً لارض قزان ، فلما سمع الطاهر
بذلك فرّ الى أبي نوح وكان ملكه إذ ذاك الامير عمر المقدسي (١) وكان في نفسه من
الطاهر شيء بسبب قتله عيني ابني أخيه محمد المنصور : المنتصر ومحمد
وإرسالها لدار ملكه ، وكان ذلك سبب تغير المقدسي عليه . فتغير تغيراً شديداً
حتى عزم على التوجه إليه ، فأخبره بعض منجميه بأن سيقدم عليك الطاهر
أرضك ، فصار هو وأعوانه وبلغوا قرية يقال لها بلد المرأة - أو منها افتراق
طريقي السودان وابن نوح (٢) - ولم يكن لارض السودان طريق الا من
هنالك ، والطريق المارة عليه على قرية غات (٣) حديثة عهد . فلما بلغوا تلك
القرية أراد أعوانه التوجه لارض السودان ، وأراد هو ابن
نوح ، ففرقوا من هنالك بعد أن كابد أعوانه معه تدبير في عدم التوجه اليه ،
فأبى عليهم إلا التوجه ، فتوجه وكان معه ثمان عشر حملاً ذهباً . فلما بلغ الأمير
عمر خط عليه وعلى من معه من أولاده ومن توجه معه من أعوانه شكراً (٤)
وأغرقهم في البحر (٥) وتولى العسكر البلدي حملوا أحمد بن هو يدي الخرماني حملاً

(١) هذه العنارة غير واضحة ، وهي في الأصل تاري

(٢) هكذا في الأصل ويريد في معنى بلده في ح

(٣) في نسخة أخرى بلده في ح

والعرب من مريوط . أحسنه . ودم . في نسخة أخرى بلده في ح

ثم دخل شهر ربيع الأول سنة ١٨٧٤ م . في نسخة أخرى بلده في ح

١٨٧٤ م . في نسخة أخرى بلده في ح

(٤) مراد (٥) بلده في ح

عليه ، وأبقوا معه طائفة من الجند لحراسة البلد وضبط خراجها ، فلم يزالوا بها الى سنة ست وثلاثين وألف ، فتوجه اليهم الامير محمد بن جهيم ابن أخي الطاهر وكان قد فرّ معه ، فلما توجه صه لارض ابن نوح كره ذلك وتوجه لارض كاشنة ومات ولده جهيم بها ، فراسل ولده محمد أهل فزان خفية فتوجه اليهم بين معه

فلما جمع بذلك انخرماني جند من معه ومن واقفه وخرج للقاءه فالتقيا بجميرة^(١) - بلد بين زويلة و تراغن - وأوقع محمد بن جهيم ففروا الى مرزك^(٢) ، فقفا أثرهم وحاصروها حصاراً شديداً حتى قبي طعامهم وأكلوا ما معهم من الدواب حتى أكلوا الحجر ، وراسلوا - وهم محصورون - محمد باتسا يطلبون المدد فوجه اليهم مدداً ، ولم يكن للامير محمد بن جهيم علم بالمراسلة

وكان سلطان بن مرعي الغيباني - نسبة الى قبيل الغيبان فخذ من بني مقرح - محصوراً معهم وكانت له صداقة مع عبد الله دباش الحسناوي ، وكان عبد الله المذكور مع الامير محمد بن جهيم وكان موثقاً لصديقه سلطان المذكور وهو محاصر وكان يضع له الطعام بخلافة ويأتي به فدلة القصر في يستطيع أحد أن ينزل اليها غير سلطان ، فذا حين عليه الليل نزل اليها وأقرض ما فيها ووضعها محملاً ورجع ، فكان هذا دأب عبد الله معه ، فلما جاءهم الخبر أن المدد قرب منهم أراد سلطان ابن مرعي مكافأة صديقه بإعلامه به خوفاً أن يستولى عليه إذ لا هم للامير محمد ومن معه بهم ، فأعلمه تلويحاً بأن خاطبه : بئس العوذة ولدت مهرأ ، فكفى عن

(١) - بلدة في بلاد المغرب

(٢) - مرزك - بلدة في بلاد المغرب وهي على مسافة ١٧٥ كم من الجزائر والجزيرة والشرق من مدينة الجزائر ، وهي من الخبير ، وتسمى أراج ، وتسمى أرتقي حتى تتفرج ، وهي مقر من حكومة القوية ، وتسمى حريف من - أهم القرية وعيرم وتسمى له العربية ويعرفون البربرية والقرية واسوداء ، وتسمى من الأمازيغي اصيف وقومها من مستنبتات ، وتبلغ درجة الحرارة فيها في الصيف ٤٥ درجة في الليل ، والى ٦٠ درجة في الشمس ، وفيها عيون عسة ، وبواحة مرزوق ١٠ كم من تازين بوحا من الشرق ، والنحل فيها كثير جداً ، يريد ما تأخذه عليه الحكومة العثمانية من الجزية على البرية وتسمى من الأمازيغي

أنفسهم بالعودة وهي المسنة من إناث الخليل، لأنها لا تقدر على الكر والفر، كما أن المحصور كذلك، وعن المدد بالمهر وهو الصغير من ذكور الخليل لقوته على الكر والفر، فهم عبد الله أنه أتاهم مدد فأخبر محمد بن جهم بذلك فأفرج عليهم الحصار وانتقل عنهم، وفر أمامهم متقلباً في أرض فزان إذا دخل أرضاً دخلوا عليه فيقاتلهم حتى سئم الجهم من ذلك

فحضر مرابطو فزان من كل قطر^(١) واعتمدوا بينهم صلحاً على أن يكفوا عن بعضهم ويقفوا عن القتال إلى أن يراجعوا محمد باشا، فراجعهم سيدي علي الحضيري المعداني الفقيه الشهير وأخوه كلاله سيدي حامد الحضيري وجعلوا صلحاً بينهم هلى أن يخرج الترك من أرض فزان ويدهوها بيد صاحبها، ويؤدى اتاوة كل سنة أربعة آلاف مثقال ذهباً: ألفين منها تبراً وألفين بهطون قيمتها عبيداً وإماء، وجعلوا من كل عبد ذكراً خمسة وعشرين مثقالاً، ومن الأمة ثلاثين مثقالاً، ومن الخصي ثمانين، وتحملوا بنفقة الرقيق، وإن من مات منهم عليهم إلى أن يبلغوا سوكنة، ومنها إلى المدينة على السلطان، وكراء رواحل الرقيق على السلطان صاحب طرابلس وكل ما ذكرنا للخزانة. وهذا الآلة المسكر ثلاثاً عشر مثقالاً وثلاثاً ذهباً، المكتبة دار الملك سبعة مثقالاً، لا ثياب، لسعي المودة بالمى أمرها^(٢) ثلاثاً، ثلاثين مثقالاً وثلاثاً وخمسة، وفعقد الأمر بينهم على ذلك، وبعث محمد باشا جنده بالانتقال إن التزم محمد بن جهم بذلك. فلما بلغ محمد باشا فعل الشيخان التزم بذلك وسلم له الجندي بيده، وإنما ذكره، لأنه هنا مع مدد، وكان محلها عنده ذكر محمد باشا لما اشتهر من أمر أمير حمصه البرقي عثمان، فمدد له فدله يظن أنها كانت على يديه، ولم أفت على من ذكرها، كانت على يديه، ولم يزل محمد بن جهم متولياً أرض فزان إلى أن دخلت سنة ثمان وستين فتوفي

و تولى ابنه جهم موضعه بعهد منه

قال حسين بن أحمد فيما كتب في شأنه : كان عثمان هذا داهية حازماً له من الرأي والتدبير و كتمان السر ما لم يكن غيره ، كان اذا ورد عليه كتاب قرأه بنفسه ثم وضعه في جيبه ، و اذا أمر بكتاب كتب ثم عرض عليه فقرأه بحيث لا يستطيع أحد الزيادة عليه ، و كان ذا مكر و خداع لا يقرب في مؤمن إلا و لا ذمة و لما عقدت له البيعة رآه بعض الاعراب مشرفاً من أعلى برج القلعة فقال : الآن استراحت الاعراب و اطمأنت و حق لها السرور حيث سجن هذا الرجل نفسه ، فقال من سمعه : الرجال كثير غيره يقومون مقامه . فقال : ما أظن أحداً يقوم مقامه ، هيات هيات أن يكون أحد مثله

ولما كان في خدمة محمد باشا كان أحمد بن عبد الهادي صاحب اوجلة (١) له نحو العشرين راعياً بالبندق أنى بهم من مصر مالك بهم الجبل الاخضر كله و دان له بذلك أهله ، فأتى عبد الله بن سيدي أحمد بن حموده عثمان و كانت بينهما صداقة و أخبره بذلك و هو تون عليه أمر اوجلة و الجبل ، فعرض ذلك على محمد باشا و طلب منه الاذن فأذن له في ذلك ، فخرج بطائفة من الجنود معه في البر و أمده محمد باشا بطائفة أخرى من البحر . فلما بلغ عثمان باي اوجلة خرج اليه أحمد بن عبد الهادي و جنده و أهل البلد في قوة عظيمة لا يقدر عليها ، فلما رأى ذلك

(١) اوجلة و اسمها من « و سين » و نحوها و المبرق من شمالي و طولها من الشرق الى الغرب يوم مرز و وسطها من الزاوية التي يليها من الشمال و يوجد اسم البلاد و اسم المدينة ارضها . و سكانها من رعيه البرية . و هم متصرفون في ارضها و ارضها
 و هو أحمد لأمه . و ولاء مصر سنة ١٠٥٠ هـ حج الله على يديه افرقية و كان مشجعاً عظيماً كان سهم الفارس فيه ثلاثة آلاف منقل فخر ، و سهم الواحد ألف منقل . فل في أسد العانة : توفي بسقلا و قبيل افرقية سنة ١٠٦٧ هـ

و الناس منه لا يشكون في وجوده و هو بلوحيه لانهم نزلوا هذا الرواية صبرهم عن كبرهم منذ احيال

ذهب الى الخديعة على عادته ، فظهر لهم الاسف والتدم على تعبها اليها ، وقال لو علمت أن أوجه هكذا بليدة في صحراء ليس لها ضياع تقوم بساكنها ولا كثرة نخل ولا مياه ولا غيرها لما كنت قدمت اليها ، ولا جبرت هؤلاء المساكين ، والله ما بي الا ذلك ، وأما أنا فلا يهمني التعب لان خادم السلطان معه لك ، وجعل يتأسف ويتأوه ويظهر التدم على ما فعله مع هؤلاء الفقراء المساكين المنقطعين في هذه الصحراء ، حتى لم يشك أحد منهم في ندمه

وأخذ يقول لهم : ضعوا سلاحكم أيها الفقراء^(١) وأريحوا أنفسكم وارجعوا في حل مما نالكم بدمنا هليكم ، وانا ان شاء الله أستريح يومين هنا وأرجع عنكم ولن تراهوا بعد اليوم إن شاء الله ، فرجعوا الى بلدكم ووضعوا سلاحهم واطمأنوا ، ولم يبق في قلب أحد منهم شك أنه نادم على صنيعه . فلما كان الغداة أتاه كبارهم وسألوه أن يأخذوه من البلد شيئاً يعرض عنه ما صرف على جنده ، فقال : الامير غني عنكم لا يطعم فيكم ، وانا ان شاء الله أمضي اليه واخبره بحالكم غير أني أطلب منكم أن تجعلوه في حل من فزعكم وروعكم بسبب قدمنا عليكم ثم التفت الى الشيخ وقال : يا أحمد يا مسكين استوص بهؤلاء المساكين خيراً وأما أنا فلا أطعم فيكم ، ثم سأله أن يركب يدخل البلد يصلي الجمعة ، وعلل لهم ذلك بأن قل أراها وأخبر الامير بحالها داخلها وخارجها ، وانقطاعها في الصحراء وقلة نخيلها وعمارتها وحلها ، لانه سمع بها ويرى ما ظن أنها من امهات الصباغ ، وليس الخبز كالعيان ، فجابوه : حياً وكرامة تدخل ، فدخل وصلى بها الجمعة وادخل معه بعض أصحابه ، وأمر الباقين بالاحدق ، فأحدقوا . فلما ستم أصحابه بالدخول وحلس شكى اليه أهل البلد حالهم مع تميمهم وظلمهم وأخذوا أموالهم ، فقبض عليه وسجنه وجعل يقتبع بجان أهله ويسلب أموالهم ويسجنهم ويسجن

من النساء كل من لها مال حتى تؤديه، وبالغ في نهب أموالهم حتى نهب أقراط الصبيان من آذانهم وهي لا يزيد وزن الواحد منها على مثقال ، ولم يترك فيها ذهباً ولا فضة إلا أخذها ، وجمع ما فيها من رقيق ، وقيد الشيخ أحمد وأتى به وبفساتنه وحريره وبنيه واخوته ومن له به تبع إلى حضرة محمد باشا . وكان ما جمعه منها من فضة شيئاً كثيراً فضرب ذلك محمد باشا سكة زنة كل قرميل نصف درهم وأجراه في الصرف بأربعة طرائس ، واستمرت تلك السكة بطرابلس إلى أن ضرب خليل سكة ، وكانت لم تستمر في غير طرابلس وعملها من البلدان ، وكان له من الرأي وكميان السر ما لم يكن لغيره ، وكان إذا أتاه كتاب لم يأمن عليه كاتباً

قل البهلول : ومن عظيم ظلمه الفاحش أنه كان إذا باع أحد الشركاء عقارا ولو جزأ لا يتجزأ أغرم البائع وغير البائع مكس العقار كله ولو يبيع قيراط واحد أخذ صاحب المكس كله بمن باع ومن لم يبيع ، وربما كان من لم يبيع يتبا أو أرملة فظلمهم بأخذ المكس ، وهذا شيء لم يسمع به في أمة من الملل ، فلذلك كان المكس أو لا ثلاثة من لمائة فتروى إلى أن بلغ مكس العبد عشر ثمنه وأكثر ، وجعل على مطلق العبد القادم من قران ريالاً وثماناً ، وصحى ذلك غفراً وإن كان الآتي به لم يسد له إلا هو ، أو كان ضيقاً ، ولم يزل يترقى المكس بسبب ذلك إلى أن بلغ استلزام البائعين أربعة وعشرين ألفاً بعد أن كان ألفي ريال وخمسة

وكان جباراً على الرعية لا يرقب فيهم إلا ولا ذمة . زاد في انخراج على القانون القديم شيئاً كثيراً ، وسلط عليهم القواد ولم يقبل منهم شكوى ، فان كثر عليه اللوم قل : ان القواد استلزموا بكنا فهل لكم أن تتحملوا بذلك ولا أخرج لكم قائداً فيتحملون بذلك لضرر القواد وسماح قولهم في الاهالي وعدم سماح شكوي الاهالي فيهم . فبذلك لزم البلد الذي كان وظيفه أربعة آلاف عشرة

آلاف: أربعة في الخراج المهود وستة استلزام القوادح حتى أضر الرعية وأجلهم وشتت قتلهم ، ومن فرمتهم لم يتعرض له ولم يُرضه بشيء ، ومن بقي منهم يفرمه ما لزم البلد كله ، إذ عنده ما ذكر عليهم بدفته آية محكمة لا يجوز عليها الفسخ ، حتى أنه يوجد بدفته تونس من الطراباسيين المؤدين للخراج شيء كثير

وكان إذا أتاه شيخ كبير هرم لا يستطيع خدمة ولا مال له ولا ولد يطلب إزالة ما فرضه عليه أزمه ، ولم يقبل منه في ذلك . وكانت يأتيه أهل القرى ويتحملون باستلزام القوادح فإذا دفعوا ذلك أمهلهم عاماً ثم باعهم من قائد آخر وسلطه عليهم ، ولا يقبل منهم فيه قولاً ولا حجة ، وكان ما فرضه من قبله من العشور على أهل الفلاحة ومن أجرى عليهم الخراج مضبوطاً ، على كل بلد قدر معلوم يأخذون ذلك بمكيال مراد لا يزيدون شيئاً ولا ينقصون من ذلك . فجعل هو كل سنة يزيد في المكيال ويرسل لكل بلد كيلاً يكيلون به الوظيف وكل سنة يزيد المكيال حتى بلغ ثلث كيلات بالمرادي ، واحتمال في زيادة الخراج عليهم من حمة العشر ليضف أهل الإسلام ويهدم أركانه ، وفرض عليهم المطيرة^(١) زيادة على لعشر وعي بها كل أهل البلد من عليه ضريبة الخراج ومن لم تكن عليه من أحنى وغيره . وجعل هذه المطيرة في القدر تعدل السكة^(٢) القديمة ، وربما أعطى لرجل في المفروض الذي زعم أنه عشر جسيم ما يده ويغنى هو وعياله يسألون الناس ، حتى أضر بالخلق الضرر الشديد

(١) المدونة عند هي الأولى من المدونات ، في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ

(٢) السكة هي السكة في مرة أخرى للبلاد القديمة في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ

وحرراً على حدة في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ

ياحرة الأرض ومنه ما هو من مملكتها عام ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ

سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ

ولم يول من حاشيته متأصلاً في الاسلام منصباً ، وانما يُولى المناصب : مثل قيادة الجيش ومنصب الكاهنة أحداث العهد بالاسلام : ولى قيادة الجيش ابن أخته رجب بك ، وولى الكاهنة أولاً محمد بن أخته ، ثم مات بالطاهون فأقلم بعده ابن بنت أخيه سليمان ، وكان قدم عليه أبناء ابن أخيه وهم على دين النصرانية فختنهم^(١) كرها وقيدهم على البلدان فظلموا ظلماً شديداً ولم يستطع أحد أن يشكهم ، وتعدى ظلمهم الى أن أحيوا سنة عملاق بن طسم ، فكان أحدهم اذا زفت عروس الى بعلمها بدأ بها ظلاً وانقض بكارتها ثم يتركها لزوجها . واذا أخير بامرأة جميلة في بلد الذي هو به قائد أرسل اليها وأتى بها كرهاً وفعل بها ما أراد ، ولا يستطيع زوجها ولا غيره دفعاً ولا منعاً ، ومن أراد الشكوى منع الدخول الى الأمير عثمان ، وهذا شيء لم نسمع بمثله الا عن عملاق الاكبر ابن طسم الحنظلي فقد ذكر المؤرخون أن قبيلتي طسم وجديس - وكافا أخوين - لما كثر عددهم أجمع رأيهم على أن يجعلوا ملكاً منهم يرجعون اليه في مهمة أمرهم فمضوا عليهم عملاقاً واتخذ قبيله أعواناً وحاشية ، ووهب بزل يأخذ من جديس الاتاة ويقوي بها قومه ويزيد في الظلم الى أن وقع لهزيمة بنت مازن الجديسية واقعة ، وذلك أنها كانت تحت ابن عم لها ولها منه ابن طلقها قبل قطامه ، فلما تم قطامه أراد أخذه منها فأبى عليه ذلك فحاكها الى الملك عملاق ، فلما حضرت بين يديه قالت أصليح لله الملك إن هذا الولد حملته تسماً ووضعته دفماً ، وأرضعته شفماً ، ولم أبل منه دفماً . فلما اشتدت أهـ صاله وحزن انفصاله أراد أخذه مني كرها ليعركني برهاً - أي ذاهبة العقل - . وقل الرجل أيها الملك أخذت مني النهر كاملاً ، ولم تنلني طائلاً ، إلا ولداً جهلاً ، فأفعل ما أنت فعل : فأمر بالرجل فيبيع وأعطى المرأة عشر ثمنه . باع المرأة وأعطى للرجل خمس ثمنها واسترق الولد ووضعته في جملة غلمانه ،

(١) كانت مناسك : شجر

فأنشدت هزيلة أبياتاً :

أئينا أخطم ليحكم بيننا فأنقد حكماً في هزيلة ظالماً
لعمرى لقد حكمت لا متورداً ولا فهما عند الحكومة عالماً
ندمت ولم أقدر على متزحزح وأصبح زوجي عامر الرأي نادماً

فلما بلغت عملاقاً الأبيات أقسم ألا تدخل امرأة على رجل في جديس إلا أن يبدأ بها قبل زوجها ، فان كانت بكراً افتزعها وفض بكارتها وبعث بها إلى زوجها وإلا أمسكها ثلاثة أيام ، وصبيحة الدخول يصل الولي الوليمة ويحضرها بين يدي السلطان ويقف على رأسه ليعلم من يحضرها أنه الولي زيادة في النكال لهم ، ولم يزل على هذه الحالة إلى أن تزوجت سمدي بنت غفار أخت الأسود بن غفار ابن عمها وكانت يقال لها الشمس لفرط حسننها ، فلما سمع عملاق بذلك أرسل إليها قينات زيادة في التعظيم ، وكانت تظن أن فعله ذلك بعامة جديس لا يخصهم فأحضرها بين يديه فافتزعها وكانت تزعم أنه زوجها فلما فض بكارتها أمرها بالحقاق زوجها ، فقالت ألسنت زوجي فقال بلى أنا الملك عملاق ، فظمته وشقت ثيابها وخرجت على أخيها وقومها وهم على باب الملك ينتظرون هل وحدها بكراً أولاً ، ويقشورون في شأن الوليمة وما هو اللائق بها ، ففاجأهم أن خرجت عليهم ثيابهم مشقوفة ودهها على فخذها وأنشدت

لا أحد أذل من جديس أهكداً يفعل بالعروس
يرضي بهدياً بقومي حم أهدي وقد أعطى وسبق المهر
لأخذة الموتة للعروس أجمل مما حل بالعروس

ففي يأخذ فيها ذلك ، ولما استقرت بالبيت أشدت لها قصيدة ، هي هذه :

أجمل أن يوتى دلي فتياتك يرثه . حل فيك عدد الغل
عشى سعاد في الدماء شريف مرة . قد زفت خدهم إلى الغل

فان أنتم لم تفضبوا بعد هذه
 ودونكم طيب العروس فانما
 فلو أننا كنا رجالا وكنتم
 قبحاً وتيبكاً لفتي ليس دافماً
 فموتوا كراماً واصبروا لعدوكم
 وإلا فخلوا ظهركم ونحملوا
 فلأبين خير من مقام على أذى
 ولا تميز عواقب من الحرب إليها
 وبهلك فيها كل نكس مواكل

فكونوا نساء نائلات من الكحل
 خلقتن لأثواب العرائس والنسل
 نساء لكننا لا نفر بهذا الفعل
 ويختل عشي بيتنا مشية الفعل
 يحرب تلفظ بالضم من الجزل
 الى بلد قمر وهزل من الهزل
 وألموت خير من مقام على الل
 تقوم بأقوام كرام علم رجل
 ويسلم فيها ذو النجاة والفضل

فأخذتهم الحال وشق أخوها الأسود ثيابه حنقاً وساعده قومه فيما أراد ،
 ففقدوا بطسم بعد أن حثتهم سعاد على ذلك ولم يفلت منهم الا رباح بن زيد
 الطسمي لحق بحسان بن تبع مستغيثاً فأغاثه وظفر بجديس وقصتهم مشهورة
 وزاد ذلك الأمر حتى استغل به أكثر قواده ما رأوا تعاميه على ذلك حتى
 تعدوه الى الفاحشة اللوطية . فقد ذكر البهلول أن أحد قواده بساحل آل حامد
 جمع الرعية لخدمة بستان له هناك فاجتمع أهل البلد كلهم فرأى فيهم غلاماً أمرد
 جميل الصورة قبض عليه بم رأى من الناس وفعل به على أعين الأشهاد الفاحشة
 العظمى وكان أبوه من أعيان البلد فجعل يستغيث ويصيح ، فأمر القائد المذكور
 غلامه قبضوا عليه وصرعوه وما زال يضربه بالسياط الى أن مات في موضعه
 ذلك ، وحلوه ميتاً ودفنوه ، ولم يستطع أحد رفع شكايه لعدهم المنع من الوصول
 وعدم قبولها إن وصلوا

وكان الامير عثمان لم يدخل يدماً في الصلح في أكثر الاوقات
 مع أجناس النصرى ، وكان مفتوحاً على يديه وأبلى في جميع أجناس
 النصرى بلاه لم يهدوه من مثله ، وأخذ أساطيل غز وهم المعدة له ، وسند كر

ذلك عند ما يناسبه من أبيات القصيدة ان شاء الله تعالى

وكان إذا غنم غنيمة وبها بضائع رعى تلك البضائع على التجار بأغلى ثمن بل
ولحق التجار والفقراء وغيرهم من أهل الصنائع حتى أن ما قيمته أربعون باعه من
أخذه بناتية عشر ، وكل من أتته غنيمة بها بضائع فعل بها ذلك ، وعم حتى
لحق ذلك الخطايين والبقالين والحجامين والنساجين وغيرهم ، ولحق بعض أئمة
المساجد ، وكان بعد فعله بأهل البلاد ذلك أراد نهب أملاكهم فصار إذا سمع بملك
يبيع بعث إليه وأخذه ، حتى إذا دفع إليه وضع - بعد أن يشهد العدول بالقبض -
عليه ^(١) من يأخذ منه الثمن

ولم تكن أملاك أهل تلك المدينة تؤدي خرجاً إلا زكاة ما عر من السواني ^(٢)
فان عليه نصف العشر ، وأكثر أهل البلد لا يؤدي شيئاً ، وربما لم يأخذ محمد
باشا ممن له نحو الفقير عشرا

ولما رأى محمد باشا تكاسل أهل المدينة على تعمير أرضهم أحصى سوانهم
وترك العشر وفرض على كل سانية أربعة ريالات وربما كانت كبيرة أو صغيرة
فليم على ذلك فأجاب : فقلت ذلك يشتمل الناس بخدمة سوانهم فيحصل النفع
لأن أكثرهم يترك سانيته من ذير عمارة كسلا فيضرب بنفسه ، وإذا كان عليها
شيء للمخزن لا يربها دامرة بل يعمرها ويفتتح وتكثر العمارة والغلة

وقد أحصى محمد باشا النخيل وفرض على كل نخلة عشرين عثمانيا في العام
وفرض على أجنة العنب شيئا خفيفا . فلما تولى عثمان أعداد الزمام في الحميم فزاد
شيئا كثيرا في النخيل والآبار والاجنة ، ولم يترك لاحد شيئا ، وكذلك أجنة
العنب حتى ربع الجابية ^(٣) في سانية أو غيرها كتبه . وجعل الاجنة صنفين سمي
صنفاً مرصدا وهو القوي الشجر ، وسمي الضعيف غير مرصدا ، ووظف على

١١ - عثمان باشا (١) - من

١٣١ - عثمان باشا (٢) - من لاس .

ذلك ، فصار لصاحب العشرة ثمانية بعد المقاصة في الريالين وجعله السهم ريالاً
فأخذ البعض وأبى البعض ، فأخبر بذلك فبعث للكاتب من أخذ فداك ومن أبى
فأنتني بسهمه وليمدد بسبب إلى السماء ، وما عساه أن يفعل ؟ فلامه بعض الحاشية
على صنيعه ذلك وعلى ذلك بأنك أوغرت صدور الجنود عليك فأبى ، وراجعه
رجب بك فأبى ، فكان من جوابه لهم : وما عساهم يفعلون

فلما كانت العشي من ذلك اليوم وهو يوم السبت التاسع والعشرين من
رجب سنة ثلاث وثمانين وألف ملاً أحدهم بندقته وأطلقها بقم القهوة بسوق
الترك وهي ملائي بالخلق ، فراجعه عثمان وكيل خروجه وأخبره بما شاهد ، وأنه
تفرس فيهم أنهم خالعون بيضته وأنهم مشيرون فتنة بهذه الليلة وان أثاروها عسر
ردها ، فلما تحقق ذلك أمره بالمسير إلى الفندق المعروف بسكنى عزاب الجنود وأن
يأتيه بمائة منه يبيتون معه ، فأتاهم وكلمهم في ذلك فلم يجبه الا نحو النمانية ، فرجع
إليه وأخبره فأمره بالرحوع إليهم وبعدمه بالعطاء فلم يجبه أحد وكان ذلك قبل
الزوال ، فعلق باب الحصار واختفى عثمان الوكيل في الفندق ، وبذلك كانت سلامته
وسلامة - ياله وأخوته من المصائب النازلة بالأمير عثمان

ولما مضى طرف من ليلة الثالث من الشهر المذكور خرج مصطفى بهوان
جليبي في سبعة نفر ولبسوا آلة حربهم وطافوا على محل سكنى عزاب الجنود من
العنادق وتبعهم من أجايمهم إلى أن انتهى بهم الأمر إلى الفندق المعروف بفندق
الباشا ، فاجتمع به نحو الأربعين وانفقوا على خلع بيعته وخرجوا وأطلقوا بنادقهم
تجاه الحصار ليظهروا له ما عزموا عليه ، وخرجوا من الفندق وأتوا دار على قبطان
فأخرجوه ، وذهب جميعهم إلى دار عثمان ورئيس المرسى فأخرجوه ، وجعلوا
يطوفون على بيوت الاكابر والرؤساء من الجنود المتأهلين ، وأخرجوا القاضي
وقرعوا باب سيدي أحمد بن مقبل لتولية الفتيا يومئذ فأخفى عنهم بحيلة ، فلما
استتموا أمرهم أتوا إلى السوق وأمروا بإيقاد الشمع والمقنساتيل وفتحوا الخانات

الذي بإزاء فندق الباشا وأجلسوا للقبطان ورئيس المرسى بها وجعل الجنود وأهل البلاد كلهم يأتون لتلك الامر ، فلما أحس عثمان بذلك وتحقق خلعتهم له خرج الى الرحبة خارج باب القلعة ومعه كاهيته وجماعة ، وأمر الكاهية بالمضي الى رجب بك اذ هو بيته الذي هو برأس شارع البلدية الكبير بإزاء المدرسة العثمانية فنهبوا ، فلما حاذوا حوانيت الطباخين وسمعوا كلام القوم وكثرتهم رجعوا للامير ودخلوا الحصار وأغلقوا الأبواب

ولما أصبح جعل يرمي على البلد الكور والرصاص من الابراج والحرائق ، فهذه غرفة عثمان رئيس المرسى ، واستعد القاتلون للرمي على القلعة فرتبوا بالبرج المعروف ببرج التراب مدافع ورئيساً ، وجعوا من البارود ما يكفيهم ، وكذلك كل برج ، وجعلوا يرمونه ، فلما رأى ذلك أمسك عن الرمي ، ولما أمسك أرسلوا عثمان رئيس المرسى المذكور الى رجب يطلبون منه أن ينزل على الامان ووعده القبطان أن يلى الامر ، فلم يتركه على الجري ينزل اليهم وتخاطبهم : لا ترفعوا صواتكم فقد أرحبتم الباي بملوصوكم ، فرجعوا من عنده وأوعده شراً ، فلما أصبح قعلقت المساكر بجدران بيته وصعدوا فوق أسطحة الدور التي تقرب دار رجب وجعلوا يرمون دار رجب بالرصاص ، فمات من حاشيته نحو الخمسة ومات من الجنود رجل ، ثم مضوا فرتبوا مدافع بجوار الباي من ناحية الكنيسة وضربوها ، فنفق بمصب وقتل رجل بالقرب منها ، وانهد ركن كتك رجب ، ثم رتبوا مدافع أخرى من ناحية طرفود فله يمكنهم ذلك ، فانهى بعض الاسارى من الافرنج وحفر لغا حتى قرب من الدار فاحس به على الجري فحفر حتى لاقاه فهرب الافرنجي وبطل صديقه ، ولما ضاق به الحال راسلهم يطلب الامان فأتاه بعض الفقهاء وغيرهم فأنزلهم على الامان ، وهم رجب وحرب الزباني و ابراهيم چايي و أحمد السعد وعلي الجري فقتلوا عن آخرهم ، وجعوا كل اثنين بسلسلة وتركوا جثثهم تأكلها الكلاب ، وأخرجوا محلة القساء محلة فيه منها محلة الجنود . فلما عين عثمان ذلك شرب مما فمات تاسع شعبان سنة ثلاث وثمانين و ألف . قال البهلول : ولو استقصيت ظلمه لبعثت من ذات شبعاً كثيراً . انتهى باختصار .

ولاية عثمان رئيس الشوهلي

ولما مات عثمان خرج من القلعة حسين رئيس وأخبر الجماعة بموته، فلما أصبح قاموا ذاهبين الى القلعة وقدموا عثمان رئيس أميراً، وجملوا على قبطان كاهية وأجلسوا عثمان رئيس على تخت الملك وبايعه الحاضرون. وكان ابراهيم بن المصري المسمى مصري اوغلي في المحلة يقاتل، فلما دخل بمن معه من الجنند لم يرض ببيعة عثمان وقال إنما قاتلنا لنزع الملك من أيدي الروم وتمكين الترك منه، فتابعه على ذلك كور محمد وأجمعوا على بالي شاوش والياً وپهلوان مصطفى كاهية، وكان ذلك امشرمضت من شعبان سنة ثلاث وثمانين وألف، ففضى كور محمد ومعه طائفة من الترك وأخرج عثمان وقتله وأجلس بالي موضه، وعثمان هذا شوهلي نسبة لشوهلة جزيرة منقطة في البحر تجاه خانبة، ثم قتلوا عثمان هذا ونفوا كاهيته على قبطان الملقب قر ياقوا في سفينة كانوا أعدوها لاستبدال من بدرنة^(١) من اجند عند الحاج محمد باي، ثم بدا لهم فبعثوا له رسولا فقتله بالجزيرة التي بالمرسي

ولاية بالي شاوش

ولد استقر بالي على تخت الملك وقعت بينه وبين سيدي عبيد الخفيظ بن سيدي محمد الصيد وحشة كان سببها كثرة توجه الشيخ اليه في الشفاعة فيمن يريد البعش بهم فانهمه، ونحرج الشيخ من محله في حربة. ولما تم له الأمر جهر أسطولا نحو خمس سفن إلى الجهد وكان قائده مصطفى الكبير الاستنكولي نسبة الى

(١) - راجع تاريخ مصر من سنة ١٠٠٠ هـ، وهو في حدود الشرق من تعاري على مسافة ٣٣٣ ميل، ارضها البحر الأحمر وحوافها برودة من حينها واصواحيها غاية في الحصوبة، وبها عين ماء عذبة حار من سنة ١٠٠٠ هـ والريف والحد اجوده وتدم الاميرال انقريسي مشوم من حينها وقتها من ارض ارضه من على مسافة من البحر، وقد احتلتها الممالك المتحدة بمصر في القرن من حينها من الاحياء لرداءه، حياها اهل المدي

استنكوي-وابراهيم مصري أوغلي وعمر قاز داغلي ، وأحمد رئيس حوغلتي فأخذت سفنهم سفينة حرب لبعض أجناس النصارى على جزيرة كاربه - وهي جزيرة بين رودس و^(١) ورجعوا قافلين ، وكان ذلك سنة ست وثمانين وألف فلما دخلوا مرسى قصر أحمد من مصراته ^(٢) أخبروا أن هالي شاموش توفي مريضاً وكانت وقاته ليلة الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة ست وثمانين وألف

ولاية مصطفى بهلوانه

وتولى موضعه مصطفى بهلوان وجعل كاهيته سليمان توكتميلي - نسبة لتوكة بلد كبير من عمل قار دنقز تحت ولاية صاحب القسطنطينية به من أنواع الخيرات والشجر والحيوانات ما لا يحصى ، جمع من أنواع بني آدم أصنافاً مختلفه الأديان وشيئاً لا يحصى كثر من كل ، ومنه يجلب الساج والخيرات الى القسطنطينية . ومنها يتفرق الى سائر البلاد - فلما جمعوا بذلك أضرر الرؤساء عدم بيعته ، وكان قد مضى لبيعته قبل دخول السفن عليه خمسة عشر يوماً وقيل أربعة عشر يوماً ، فلما دخلوا أظهروا خلع بيعته في ليلتهم

ولاية ابراهيم مصري أوغلي

بايعوا ابراهيم مصري أوغلي على تولى أمر المسلمين والخزانة وتفريق ر . . .

(١) - في الأصل: رودس
 (٢) - في الأصل: مصر
 مشدود، قبل هذا هو: مشدود
 مشدود، قبل هذا هو: مشدود
 مشدود، قبل هذا هو: مشدود
 مشدود، قبل هذا هو: مشدود
 مشدود، قبل هذا هو: مشدود

الجنّد ، وجعلوا كاهيته عبد الفتاح الرميلى . وكان بينه وبين هالي شاوش قرابة . وكان هالي في حياته نقض ما كان من صلح بين الانكليز والامير عثمان . ولما تولى ابراهيم المذكور الامر استمر على ذلك الفساد ، وجهد من أسطوله ست سفن وتوجهت نحو الاسكندرية فأصابوا ثلاث سفن للانكليز موسوقة ببضاعة ثمينة . فدخلوا الاسكندرية وباهوا غنائمهم وأظهروا ما للسلطان على حدة ، وكان ابراهيم مصر في أوغلي ألزم الصكر أموراً شرعية ضيق بها عليهم ، منها عدم حلق ذقونهم تشبهاً بالمجوس ، ومنها عدم لبسهم الحرير والذهب ، ومنعهم من المجاهرة بالزنا والخر ، فاضطفتوا ذلك عليه فظن بهم شراً ، فأرسل معهم طليعة يأتيه بخبرهم وهو أذن حسن شاوش الرميلى

ولما قتلوا من ذلك وأجمعوا على خلع بيعة ابراهيم مصر في أوغلي وباعوا مصطفى الكبير الاستكويلى - نسبة لاستكوي - جزيرة بها عدة قرى تجاه كارباخ لار ومعناه بالتركية البساتين السود - سميت بذلك لكثرة ما بها من العنب والاشجار ، وهي على ساحل الاناضول ، ومعناه بر الاسلام ، كما أن الروميلى أرض الروم ، وكتب الطليعة كتاباً لابراهيم المذكور يخبره بما فعل الجنّد من خلع بيعته وأرسل به رسولا في البر ، فقدم عليه في مدة قليلة فقرأه وعزم على الخروج من البلد ، وكان له ابن ولاء أمر المرسي فاستشار كاهيته في أمر الخروج فأشار به ، فهدر لذلك حيلة . فأظهر ابراهيم أن ابنه فسق وارتكب ما لا يليق من الزنا والظلم مما نهى عنه غيره وأظهر للجنّد أنه يريد نفيه ، فاجتمعوا بحمل الندوة - وهو بيت معد لسكنى الجنّد تجاه الداخل من باب هوارة يعني قفاه (١) ومفتحه تجاه القلعة لاجية الشرق بسوق الخضرة ، وقد بنى الآن جامعاً على يدي أحمد

(١) يريد خلف الباب ، ويقضى وصقة أنه يقع على شمال الداخل

باشا قرمللي ويسميه الجند : الاوض لار ، ومعناه بالتركية جمع الديار ، فراسلوه يشفون عنده في عدم نفيه فأبى ، فأجابه الجند لتلك وأرسلوا من أخفه وبلغته لسفينة بالمرسى لعمر المرتشو المصراني كانت بالمرسى متوجهة الى الاسكندرية . وأخذ في بحث أثمانه من داخل القلعة ، وبمخرج الصناديق مملوءة مالا والقتال شبه العوين^(١) وهي مملوءة نقداً حتى أفرغ الخزانة وأوصل ذلك للسفينة والناس في غفلة من هذا ، وكان يومئذ مشتغلاً ببناء البرج الشرقي الذي بساحل البحر المعروف ببرج الشماب اليوم وبيناء المرسى ، فلما قضى وطره من الخزانة أظهر أنه يريد النظر في بناء البرج ، فأعد خيله وأسرجها وخرج براً وأمر الكاهية ان يركب شينياً ويأتيه في البحر ففعل ، فلما اجتمعوا بالبرج لانه الحاشية على ما فعل بابنه فأبى عليهم ، ثم ركب الشيني ومعه خاصته ، فلما دخل السفينة أمرها بالاقلاع فأقلعت وأخبر نوتية الشيني بما فعل الجند من خلعهم بيعته بالاسكندرية ومبايعة مصطفى الاستكرويل وكان ذلك ضحوة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقين من المحرم سنة سبع وعمانين وألف ، فرجع الشيني وأخبر بذلك ففاظ ذلك أهل البلد والجند وتكدر عيشهم

ولاية ابراهيم شلبي انبلي

ثم أجمع الجند على بيعه ابراهيم شلبي أنبلي - نسبة لأنبل مدينة بأرض المورة كثيرة الخير واسعة الخصب - وجعل كاهيته أحمد باي أندرلي - نسبة لبني أندر قرية من عمل أزمير - فامضت على بيعتهم الا خمسة أيام حتى فدمت السفن ، وكانت تلك السفن جمعت جل العسكر فراسلهم الجند الذين بها بأن ابراهيم مصلى

(١) أو نسبة إلى مآجيد من النوبة . لا علاقة له بالبر . ومعناه حرس القلعة معرباً إلى زائد البحر وهي مملوءة ذهباً ونقداً

أوغلى هرب وفعل ما فعل فكذبهم أهل السفن وأرسلوا رسلا من جهتهم ليعاينوا الامر ، فلما عاينوا صدق الخبر نزل العسكر على عين النضة^(١) ، فقال مصطفي البلديها وال غيري بايمه أهلها وأنا لا أريد شغل الناس ، فأجيره الجند الذين معه على ذلك ، فاشترط عليهم شروطاً إن التزموا بها أسعفهم وإلا فلا ، منها تنقيص رزق الجند الثلث وكان رزق الجندي في كل يوم نصف ريال فنقص له ثلث ذلك ونصف سدسه وهو قرميلان ونصف القرميل ، والتزموا بذلك ، فصار رزق أعلى الجند أربعة قراميل في اليوم لا يزداد عليها وإن علا ، وكل قرميل عشرون عثمانياً فلو سأ صفارا من نحاس إلا رئيس كبيرة السفن المسمى قبطاناً فإن له ريالاً وربعاً في اليوم رزقا ولمن تحته المسمى بتروثة ريالاً كاملاً ولمن تحته ريالاً إلا ربعاً ، وهذا بشرط أن تكون سفنهم أسطولا لاشواني ، فواقوه على ذلك ودخلوا البلد وأخرجوا الأنبيى والاندولى من التخت وأبقوهم في مناصبهم لكبر سنهم واستقر عليه مصطفي سبع بقين من نحره سنة سبع وثمانين ولف

ولاية مصطفي الكبير الاستكويلى

ولما استولى على البلد والخزانة روفواله بما شرط وكان من شرطه عليهم أن يتصرف في مفسد الجند من غير قرة ولا مشورة في شأنه فتصرف في الكثير منهم بالقتل ، ولم تكن له عشيرة يأوى إليها ، وعظمت هيئته على الجند حتى إنه يبعث للعصابة من الجند رجلاً من طرفه وهم بأسلحتهم فيأخذهم وينفيهم حتى عى منهم في يوم واحد ثلاثمائة . وكان مصطفي هذا رموا بالرعية عباً لاهل البلد لا يحب من يسعى إليه بشري الخلق . أسقط عن الرعية بعض الوظيف

(١) انظر هامش صفحة ٧

الخزني المرتب من عشور وغيرها

ولما عاد ابراهيم المصري أو قلى الى البلد من القسطنطينية صحبة محمد بن مراد الخفصي والياً على البلد من قبل السلطان محمد وصحبته ثلاثة مدافع نحاس ، خرج الرعية وأهل البلد لرسول السلطان وكادوا يمزقونه عجة فيه ، وأخذوا المدافع وتركوه رجع مع الخفصي لتونس . وكانت ولاية مصطفى عاماً كاملاً وثمانية أيام وكانت وفاته غرة صفر سنة ثمان وثمانين وألف مريضاً بالطاعون

ولاية عثمان وكيل الخرج

ولما مات بايع الجند رجلاً كبير السن يقال له عثمان حلجاً لبعض الجند الجزائرى كان بيده تفريق عيش الجند المفروض لهم ، وبينه وبين الاسطى مصطفى الملح قرابة ، واستقر أمره بالبلد عاماً ثم مرض فمات في ربيع الاول سنة تسع وثمانين وألف

ولاية آق محمد الحداد الاناضولى

وبايع الجند آق محمد الحداد الاناضولى في الشهر المذكور . وآق لقب بالتركية معناه الابيض ، واستقر على تخت الملك سنة وستة أشهر ، وكان سمي الملق رديشاً ، راجباً هواه جباراً ، وفي أيامه كان بالبلد باشا من قبل السلطان يقال له خليل أرتوود نسبة لقبيل المشهور بأرض الروم ، وهم عرب في الاصل من غسان نروموا بالمجودة وسبب تقاتهم من أرضهم على ما ذكر غير واحد أن ملكهم جبلة بن الابه وقد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خمس مائة فارس من قومه بالخليل المسماة والعدد الثمينة والسلاح العظيم وأسلم عن معه ، ربه عمر رضي الله عنه سروراً

كثيراً ، وافترق مع ذلك أن خرج أمير المؤمنين للحج بفرج معه جبلة بن معه
وقدموا على مكة وتعلم المتناسك فطاف فزاحه رجل فزاري فيه ، فوطئ الفزاري
برده فلعطه جبلة بكف ، فرغم الفزاري به الشكاية الى أمير المؤمنين ، فأحضره
وأخبره بما قال الفزاري فأقر به وطلب أن يرضى بما أحب ، فأبى عليه الفزاري
إلا التخاص ، فقال : أفستوى يا عمر ؟ فقال الاسلام سوي بينكما فطلب الامهال
فأمهاله عمر برضاء خصمه ففر بمن معه من ليثته ولحق بقيصر وتنصر وأقطعته وقومه
أرضهم المعروفة بهم الآن بالروميلي ، وأقام قيصر جبلة بالتسطنطينية ، وأجرى
عليه جرايات واسعة وأخذته بتحف لم يُر مثلها ، ولم يزل بها الى أن قدم رسول
عمر يدعو قيصر الى الاسلام ، فأدخله قيصر عليه فرأى ملكا عظيما ، وسأله جبلة
عن عمر وحسان بن ثابت ومن له به معرفة من الصحابة ، فلامه الرسول على ما فعل
فأظهر له الندم عليه وأنشده لنفسه :

تنصرت الاشراف من عار لعلمه	وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
يعنفني فيها لججاج ونخوة	وامت بها العين الصحيحة بالعمور
فياليت أُمي لم تلدني وايتني	رجعت لي القول تلدي قته عمر
وياليت لي بالشام أدنى معيشة	أجالس قومي فاقد السموم والبصر
وياليتني أرضي الخصاص بفقرة	و كنت أسيراً في ربيعة أو مضر
أدين بما دانوا به من شريعة	وقد يصبر العود الكبير على الدبر

فقال له الرسول هلم ترجع ، فقال بشرط أن يزوجني عمر ابنته وأن يكتب
لي العهد من بعده ، فرجع الرسول وأخبر عمر بذلك فالتزم عمر بالشرط فلما صدق
مات يوم دخوله مدينة قيصر وبقي قومه بارضهم . ومنهم اليوم مؤمن وكافر
وقد طالت أيام خليل في البلد وليس له تصرف بسبب حجر ولاية العسكر
على والها من قبل السلطان ، فتأقت نفسه الى القيام ليستقل بالتصرف ، وكانت بينه

وبين ازن احمد كاهية آق محمد الملقب الدباغ و على قبطان منيكشالي - نسبة لنيكشة
 بالتصغير قرية صغيرة على شاطئ البحر من أرض المورة قد أحاطت بالبحر بها من
 ثلاث جهات ويدخل لها على قناطر ، وأهلها يشربون من ماء السماء ولا الآبار بها
 وانضم اليهما محمود خازن دار كان علجاً بلقيان أسلم و حسن اسلامه ، دلت على
 ذلك آثاره ، بنى من المساجد نحو الخمسة بداخل المدينة وخارجها منها المسجد الذي
 بقصر أحمد بالشرق منها وهو مسجد حسن متقن الصنعة ، ومنها المسجد الذي غربي
 الزنادقة الكبرى بمقربة منها بمحومة أولاد نويز ، وسليمان داي المعروف
 بصفر داي ومصلى العيد الذي بازائه وغيرها ، ودبروا حيلة جمعوا بها الناس
 عليهم ، فجمع كل منهما من يأري اليه من أولاد البلاد ، فاتفق معهم جماعة منهم
 ومعهم ولد الفقيه الصالح سيدي احمد بن عيسى و تعاقدوا على ليلة يكون بها قيامهم
 ووافقهم الجند على ذلك ، فاتفق رأيهم على عقد مجلس بمحل ندوتهم الاوض لار
 وأن يبعثوا لآق محمد ليحضر عندهم ويعقبه خليل على القلعة ، فلما خرج ليحضر
 صاح به أحد الناس إن خليلاً سيعقبك على تختك ، فرجع بمن معه وضرب بعض
 الجند خليلاً بمحجر كاد أن يرميه من على فرسه ، فرجع خليل واتصل آق محمد
 بالقلعة واجتمع اليه أكثر الجند ، وفضى أمر قيامهم بالبلد ، ووشى بمن فيها من
 أولاد البلد لآق محمد فبعث في طلبهم ابنه في جماعة و أقول ما بدأ به أن هجم على
 بيت الفقيه سيدي احمد بن عيسى بطالب ابنه وكان ذلك بعد أذان الفجر ،
 فوجدوا الفقيه أخذ الأبريق يتوضأ ، فنزلوا من سطح البيت وبعثوا على الولد
 فلم يجدوه ، فأخذوا الفقيه حتى أحضروه بين يدي آق محمد فربغوه ، أراد البطش
 به ثم حماه الله فأمر بربطه فربط .

وكان محمد بن عيسى الخلق قبيح المنطق ، وظفر نحو الثانية من أضاء البلد
 من ، ثم هجم اليه فقتلهم من خلاف ، الا اثنين احمد الحامدي و محمد المرابط

المنهوري المسلماني فإنه قطع أيديهم وأرجلهم

وكان مصطفى بهوان چلبى لما نفي لجرية خريج المحاميد وخلصوا بيعة آق محمد
 وظهر خلافهم ، وكان قائد جيشه حسن عبازة وفي نفسه منه شيء ، وكان بعث
 آق محمد بقتل مراد المالطي وكان اذذاك قائداً بغريان ، فلما جاءهم الرسول بذلك
 أخذهم آفة الجنيد الذين بالسكروور بطله يرجو قتله بالليل ، فاحتال حسن لما سمع بيئته اليه
 في استخلامه ليستمين به عليه ، فأشار عليه بعدم قتله فقال أخشى أن يكون فات
 قال ابث رسولا وأكده عليه في المسير فان أدركه استعنا به والا عوضنا الله
 فيه خيراً ، فبعثوا الشاويش أبا العيد المسلماني بعدم قتله ، وكانت الاعراب
 تشوفت الى الخلاف ، فاحتال حتى بلغ اليهم في مدة قليلة وكان الاكثر من أهل غريان
 أظهر الخلاف ، وسبب ذلك اتهام مراد حتى بعث على قتله فلما بلغ الرسول
 للقصر وجدهم أحضروا له آلة الخلق فناولهم كتاب الدعوة وأن يحضروا محبته
 المدينة ، وان جعل كاهية لقائد الجيش حسن عبازة فأخبروا مراراً بذلك فخشي
 ان خرجوا بيانا وتوجهوا الى المدينة تبعهم من خائف من أهل غريان وظفر بهم
 قتلهم فدبر لهم حيلة في خروجهم بأن يسخلوا عليه آلة الخلق قبالة من واقفهم
 من أهل غريان فلما فعلوا ذلك رقى بعض أهل غريان ممن معهم في القصر وصاح
 بأهل غريان المظهرين الخلاف بأن مراداً قد قتل ، فلما سمع بذلك مراد بعث
 لآفة القصر يقسم على من هنده من أهل غريان أن لا يمكثوا معه بالقصر فلما
 خرجوا أعدوا خيلهم وساروا حتى صبحوا المدينة ومكروا بآق محمد ومن معه

ولاية عسمة عبازة

وباليموا حسناً موضعهم وكان ذلك لثلاث بقين من شعبان سنة تسعين وألف
 وجعل مراد باي قائد الجيش وأقام حسن عبازة يدير أمر الناس والخزانة وتفريق
 للرزق ثلاث سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً ، وكانت بيئته سنة تسعين
 وألف وكان في تلك المدة الغالب على دولته مراد باي ، وعظمت شوكته وتوجه

في سنة ثلاث وتسعين والـ الف الى فزان

وموجب ذلك أن صاحبه النعيب بن محمد بن جويم امتنع من أداء الخراج زاعماً أنه أداء وناكره فيه متولي الخزانة وزور عليه بقاءه فراجع في ذلك فلم يجب اليه فتوجه اليه مراد وأظهر أنه يريد الجبل الاخضر حتى نزل بالجديد من أرض سرت - قصر الحصون مستقرون به وحوله بساتين يضمون به أمانهم وما لا يمكنهم الظعن به - ولم يظهر ذلك لأحد من خواصه حتى بلغ المحل المذكور فأخبرهم ، وجردت خيله فصبحت سوكنة وودان بعد ثلاثة أيام وودان هذه على خمس مراحل من مدينة سرت بلجة الجنوب ، وكان بها قصران بينهما رمية سهم ، فالذي يلي الساحل خلاء ، والذي يلي البرية عامر ، ولها آبار كثيرة يزرعون بها القدره وقربها غابات نخل ، وحولها من شعر التوت وشجر التين والنخل كثير ، وتمر غابتها كثير لين حل ، وهي وإن كانت أوجلة أكثر منها نخلا فتمرها أطيب طعماً ، كذا ذكره صاحب نزهة المشتاق . وأما الآن فلقصر الاعلى منها عامر كثير العمارة يسكنه قوم من الاشراف وطائفة من البربر كالخدم لهم ، والجذات من نخيل وعنب وتين ، وليس بها من التوت شيء ، وماؤها خبيث الطعم مسهل وبينها وبين قرية سوكنة نصف يوم أو أريد من ذلك ، وهي قرية قريبة من جبل طنطه ماؤها عذب فرات طيبة الهواء ، بها من للنخل والتين والعنب شيء كثير ، يسكنها أخلاط من البربر والعرب ، يمر اليها من ودان ما بين الجنوب والغرب ، وبينهما قرية أخرى يقال لها هون متوسطة نخلا أجود من نخل البلدين وأقوى ، وهي في الكبر دون سوكنة وفوق ودان ، وماؤها خبيث مثل ماء ودان سواء - وخرج من أرض ودان طابلا ولم يعلم أحد خبره حتى أتى سببة وأحاط بها فلا يقات منها الا فارس واحد فر منها لجة مرزك . فلما أحس بذلك ارتحل من وقته ولم يبت بها ليدخل مرزكا على حين غفلة من أهلها فسمعه

الفاوس إليها فأخبر أهل مرزك بدخوله صبة فخرج النجيب بما تيسر له من الجند فالتقى الفريقان بدليم - قرية صغيرة بينها وبين مرزك نحو ست ساعات أو خمس - واقتتلوا قتالاً شديداً فكانت الهزيمة لمراد عليهم وقتل النجيب واستأمن إخوته ، وقاتل ابن أخيه على عند أبيه لما أنخنته الجراح وكسرحق مائتا ، وجرح محمد الناصر وأنخنته الجراح . وكان مراد أو صام عند اللقاء ألا يضروه ، وتوعد من يضره بالقتل ، فلما أنخن مسكوه ورفقوا به ، وقدموا مرزكاً واستولى على خزانتها فألقى فيها من المال كثيراً ، وطبب الناصر وأظهر الأسف عليه ، وبعد سبع من دخوله ولاية البلد وأقام بها واحداً وعشرين يوماً ولم يغير على التجار والرعايا شيئاً لامتلاء يده بالخزانة ، ثم ارتحل عنها ، وأسقط من الناصر خراج ثلاث سنين إلى أن يستقر حال البلد

ولما وفد على طرابلس من سفرته تلك وعظم أمره وكان في نفسه من حسن شيء ، تأقت نفسه بخلع بيعته وكان يسكن بالمشية خارج المدينة ، فرأسل العسكر للذين بداخلها بخلع بيعة حسن فأجابوه لذلك ، ورأسلوا حسناً بذلك وهو بالقلعة وألقى السلاح ، وكان منتصف جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وألف ، زعموا إلى هرة

ولاية يلك محمود

ويأبوا ورجلا منهم يقال له يلك محمود يومين ، ويملك بالمشاة النعتية

مسمومة بعدها لام مضمومة وكاف بالتركية بحرى الماء

ولاية علي الجزائرى

ويأبوا علياً الجزائري - نسبة لمدينة الجزائر بأرض المغرب لثريته يجندها وهو روميلى الأسل - ثلاث عشرة بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، فكث لتدبير الأمر سنة وثمانية عشر يوماً ، والغالب على الأمر ما د باي وأحكامه نافذة في البر والبحر ، وله أعوان من الجنود ورؤساء وغيرهم ، فمن الرؤساء حسين قبطان الملقب كلايحيى - نسبة لصنعتيه وهي تلبس النحاس القصدير - وكلاي بكاف مفتوحة بعدها لام بعدها ألف لينة وياء تحية آخر الحروف بالتركية القصدير ، ومراد الغوشلي - نسبة لغوشة قرية بالأناضول ، بلد فلاحية ، وبها أجنة كثيرة الخصب بينها وبين أزمير نحو العشرين ميلاً ، وبها بئر ماؤها يشبه الثلج في كل الفصول بخلاف غيره من آبارها ، ويسميه أهل البلد بماء الثلج فيقولون : كرتل سُي ، وكرتل بكاف مفتوحة بعدها راء ساكنة ومنتاة فوقية مفتوحة بعدها لام ، بالتركية الثلج ، وسُي بسين معسومة وهمزة مكسورة ، بالتركية الماء ، إلا أن لغتهم تقدم المضاف اليه على المضاف ، وماؤها عذب ، فطرط المذوبة - فلما تم عامه أراد مرد وأعوانه خلع بيعته واجتمعوا ليلاً على خلعهم ولم يكن له علم ، وأهلوا أهل الديوان بذلك ، فلما أصبح وحس للحكومة جاء مراد ، أصحابه والديوان ومعهم عبد الله الازميرلي - نسبة لازمير مدينة عظيمة بالأناضول كثيرة الخصب والتجارة برأ ، بمرأ ، ويجتمع فيها خير البرين لاناضولى والروميلى ، وتجلب اليها خيرات من كل الاراضي للضمان الفينة والجوهرة ، منها تجلب الى القسطنطينية ، مصر ، افريقية ، وطر ناس وغير ذلك من بلاد الروم - فأخذوه وهو على كاهن الحكومات ونفوه الى بلاد الأتراك وكان ذلك يوم الاثنين لحس حمان ، من سنة خمس وتسعين وألف

ولادة الحاج عبد الله الازميرلي

وأجلسوا الحاج عبد الله مكانه وبايعوه في ذلك اليوم وتولى الخزانة وتفريق رزق الجند ، ونصرف في الولاية والعزل بمشورة مراد عامين وتسعة أشهر الا إحدى عشر يوماً ، وفي أيامه سنة ست وتسعين وألف وأخر جمادى الآخرة أتى الافرنج^(١) بالبونية لأخذ البلد ورموها بالدافع وكان عبد الله هذا ضعيف النكاية أصغر الفؤاد والغالب على تدبير أمر المدينة وعبد الله ومراد بنو فشلوم يزليتين : عمر ومحمود ، فحضر عندهم أعيان البلدة: عبد الله الرجبي وبنو المكتبي وغيرهم من الاعيان ، وانفق أمرهم على أن يعطوا مالا للافرنج ويكفوا عن الرمي فردوا الامر على عبد الله فوافقهم ، وكانوا أتوا البلد على حين غفلة من أهلها ، ثم رزقوا الامر على مر ادقابي عليهم فراجعوه فراعهم رأيا هو أنك تترك كون البلد وأنا ابني لكم مدينة بالهاني^(٢) عظيمة القدر أحسن منها لا يلحقها أذى الافرنج ، وأستعمل لغزوم أسطولا ويكون بناؤها من مالهم ، وفعلتها^(٣) ، فأبوا عليه وألحوا فوافقهم على ذلك وقدروا ما أعطوه على دور البلد

ولقد أخطأوا ، ومنشأ خطاهم استبداهم الحياة الدنيا بالآخرة فأهانوا البلد بتلك الفعلة ، فمن يومئذ تقوى أمر الافرنج في البلد وعلا شأنهم ، واشترطوا في صلحهم ذلك أمورا لا يلتزمها مؤمن يوقن بقاء الله ووعدده ، منها دخول طابعيتهم كائناً ما كان بنعله على ملكها يطأ بها بساط ملك خليفة الله ورسوله في الارض ومشى كبيرهم شاهر سلاحه ، بين يدي الملك ، وأن لا يحاكموا مسلماً في خصومة

(١) حكمة انا

(٢) موضع بعد عن مدينة درابلس الى الجنوب الغربي بنحو ساعة

(٣) هذه الكلمة عبر معروفة وبمدها يابى يتبع لملكه

الى الشريعة المطهرة وإما تكون الحكومة بدار كبيرهم . أيقظ الله لهم ملك الاسلام وأعانه حتى يردم الى الصغار . وكل هذا ومراد خارج المدينة وكان مراد يستريح فعل الاثراك وتجيرهم وأذيتهم ويكره محاديي الاعراب فلذلك كان لا يستقر بالمدينة الا قليلا ، أذهب شوكة بني محمود بن طوق بن بقية (١) ، واستعان عليهم بمنصور بن خليفة الترهوني وفرقهم في البلاد شغرا ينير حتى راودوه على الاتاوة فلم يرض واستعان على طغاة الاثراك بمراد الفوشلي صهره وحسين قبطان كلايبي حتى ردم رجعا أهمهم ، ثم أراد المكرهما فاحتال على مراد الفوشلي وكان بترهونه ، واستعان على ذلك بحسين كلايبي وعبد الله داي وبني فشوم وراسلهم ببعثه اليه فوجهه اليه مع رسل منه ، فلما خرجوا به وأبعدوا قتلوه قبل وصوله اليه وكان اذ ذلك نازلا بعين تسمى عين الوزغة بأرض ترهونه ينزلها جاني عشورهم ، ماؤها عذب على مرحلة ونصف من المدينة ، ولما بلغه الرسل قتلهم مراد وراسل بني فشوم وعبد الله في بعث حسين كلايبي ، فاحتلوا عليه حتى حضر عندهم فمكتوه من رسله بكرة وخرجوا به ، فلما مر بالمقبرة التي هي خارج باب المدينة تجاعة ، المعروفة بالشيخ محمود وجد بعض الجنديها ، على عادة أهل البلد في خبر وجوه ضحوة لذلك ، لمحل يستروحون ويشترون ما يحتاجون اليه من حطب ، تبن وغنم ، فصاح بهم الكلايبي مستغيثا فافتكوه من أيديهم بالحجارة وأدخلوه المدينة وغلقوا بابها ، كان ذلك خمس عشرة يقين من ربيع الثاني سنة سبع وتسعين وألف وواقعه الجندي وخلصوا بيعة عبد الله وقتل ابني فشوم ، صهر ، محمود ، وأمر بوضع رأسيهما على حبل يقين ، حج باب المدينة ليراهم نصر اؤم خارج السور فيكفوا عن نصرانه . اد ، ، حبس حمد الله داي وكان ذلك است يقين من ربيع الاول ، سنة ثمان ، قسطنطين ، وأب

ولاية ابراهيم التريزي

وفي ذلك اليوم بايع التريزي ابراهيم وتبعه الناس على ذلك ، وراسل المحاميد الموقورين من مراد فأصبحوا عنده يطلبون فأرهم ، وأخرج الجند لقتال مراد خارج المدينة وجعل قائد الخيل ورئيسهم محمد الملقب سيكال دلسي - وصكال بصاد مهملة بعدها كاف مفتوحة وألف لينة بعدها لام معناه بالتركية شعر اللحية ودلسي بدال مهملة مفتوحة ولام وسين مهملة مكسورتين معناه بالتركية قلة العقل - والتقى الفريقان بعرقوب تاجوراء ، وهوتل ينبت اللدس والمرعى كثيراً به مزارع لأهل المدينة وتاجوراء . فكانت الواقعة على مراد لمحمد الخذلان من مع مراد من الأعراب له ، شبليتين وغيرهم ، واستولوا عليه وقتلوه وأكل بعض الجند من لحمه ، وبقي ابراهيم التريزي متولياً أمر الخزانة - والغالب على الدولة حسين كلايجي - سبعة أشهر فماتت له تلك المدة خلع حسين بيعته وتابعه الجند وكان ذلك أواخر ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وألف

ولاية محمد باي الامام

وفي ذلك اليوم قدموا محمد الامام نسايموه وهو قاز داغلي النسبة ، وتولى الخزينة وتفريق رزق الجند والفسالب على الأمر حسين ، بحيث لا يُصدر تصرفاً ظاهراً أو باطناً إلا عن رأيه ، وأقام على ذلك سنتين ، فلما تمت سنة مائة وألف تجهز حسين للسفر مجاهداً في خمس سفن كبيرة يفضل بعضها بعضاً وكان ذلك في عشرين من جمادى الآخرة سنة واحد ومائة وألف ، فما مضت لهم مدة حتى التفتوا بسفينة لعهده موسوقة ملجأ فأخذوها وقتلوا راجسين ، فلما كشفوا بر

« يزليتين » أرسلوا طريدة (١) كبير لبأخذ لهم علم ما حدث بعدهم ، فأخبروا أن محمداً الامام استعمل كبير الخليل المسمى بيا احمد الفرطاس الافاضولي ، فوقع في نفس حسين شيء ، من اقدامه على ذلك من غير مشورة

وسبب اقدام محمد الامام على ذلك أنه عرضت له حاجة عند حسين قبل سفره فبعث اليه فيها فأبى عليه ، ثم راجعه فيها بنفسه فقضاها حين حياها ، وطلب منه محمد كتاباً بذلك فاستعجل عن أمر الكاتب به فدفع انغم لمحمد الامام وأمره ان يكتب بنفسه نخم الكاغد ومضى ، وكان حسين قبل أن يسافر فرق رزق الجنود عليهم وأعطاهم خمسة ريالاً لكل ، فطلبوا الاتمام فأبى عليهم ؛ وتعلل لهم بضيق ذات يده ، ووعدهم باعطاء ذلك ان قدم . فلما سافر كتب محمد الامام على لسان حسين فيما تخم من كاهن خطاباً لمحمد الامام أن يجعل رزق أهلي الجنود اثني عشر ريالاً ، فأوغر بذلك صدور الجنود عليه حتى وافقوه على قتله ان قدم ، وفعل ما فعل من التولية من غير اذنه ، فلما رثيت السفن بعث الى أهلها محمد الامام يطلب حسيناً كلابجي ومن واقفه من الرؤساء الذين معه ، فان سلموا له ما أراد والا ذهبوا أين أحبوا وكان من طلب معه مصطفى شرك - بضاد مهمل مكسورة وراء مفتوحة وكاف - لقب مصطفى معناه بالتركية شجر السر ولقب بذلك لطوله في استقامة ، وإبراهيم صنجكلي - نسبة لصفجك بضاد معجمة مكسورة وغين مفتوحة وجيم مكسورة وكاف ساكنة - قرية على ساحل البحر ، بقربة من قرهاغ لا . فاتفق الجنود الذين بالسفن على تسليمهم ، وأعلموا بذلك محمد باشا الامام ، فأرسل من تولى قتلهم فكنوهم من ذلك وقتلوا بالجزيرة التي بالمرسی (٢) وأحدهم رؤسوم ، دخلوا بها المدينة ، وأمر محمد بوضعها بأراء رأس ابن كنبانة ، قال قد قبل يومئذ ، وكان وضعها على أعلى البرج المخاذي لباب هوارة على يمين الدامل من

(١) أي طريدة

(٢) وقد دخلت بعد اللاحق في كتابي في سنة ١٩٠٠ م

جبهة الغرب ، فلما ظفر بهم استقل محمد الامام بالملك ، وعزل احمد الفرطاس عن رئاسة جند الخليل وولاهما الحاج عثمان الاناضولي مدة ، ثم عزله عنها وولاهما كنعان ، وكان كنعان هذا علجاً يجيد العربية لانه ربي بأرض المشرق وأقام بها مدة وبقرية من استقلال محمد الامام بالملك حركت مصطفي شرباني همة ظلم بيعة الامام محمد وواقفه على ذلك بعض الجند ، فلما أحس بهم خليل قاز داغلي تسليح ودخل عليهم وقتل مصطفي وبعض من واقفه ، ولم يكن لمحمد الامام علم بذلك ، فلما أخبر بذلك سرّاً بذلك وقرب خليلاً ، وأركبه أسطولا للجهاد ، وأخذ يفزو فأصاب غنائم ، وعقد له محمد الامام على ابنته زينوبة ، وقبل دخوله بها حركت محمد الامام همة لنقض الصلح الذي كان فعله عبد الله وأصحابه بنو فسلوم مع الافرنج فنقضه ، فامسا ببلغ ذلك ملك الافرنج وجه الى البلد أسطولا نحو الخمس عشرة سفينة كبيرة ومعهم البونية ، فأتوا البلد ليلة بقيت من رمضان سنة اثنتين ومائة وألف واشتغلوا بالرعي على البلد ، واستعد الناس لهم ، وظهرت شجاعة محمد الامام وحزمه حتى كان يطوف على الابراج بنفسه ، ولم يعتمد على أحد ويعد الرماة بالعتاء الكثير فرمى بعضهم هوان البونية بكرة فتفرق الهوان فقتل ممن حواه من انتصارى نحو الخمسة عشر وتأخروا فلم يفد رميهم فيها شيئاً ورجعوا خائبين فلما رجعوا ذكروهم وأخبروه بعدم إفادة رميهم لها جهز أسطولا كبيراً لأخذ سمن الجهات بالمدينة المذكورة ، فاتفق أن التقى أسطوله بسفينتين من سفن الجهاد بالمدينة المذكورة رئيس إحداهما خليل المذكور فجاهدتا جهاداً كبيراً لم يهد منه حتى لم يبق لها من الذخيرة شيء فأمروا من وجدوا بهما حياً ، وكان فيمن رحن حياً خليل مجروحاً شماله معدومة . وأقلعوا نحو بلدهم ، وراسلوا محمداً الامام بالصديق فكان أخذ خديراً سبب صلحهم ، ذاقه الصلح بينهم وبين محمد باشا على أن

جعلوا فداء كل من المسلمين والنصارى مائة وخمسين ريالاً ، ويقابل الرجل بالآخر
فمن زاد عنده أسير أعطي ذلك ولم ينقضوا من صلحهم الا اول شيئاً . فكانوا
يدخلون عليه كما كانوا يفعلون من قبله ، غير أنه لقوة إيمانه لم يدخلهم محلاً به
فراش يطوونه بأقدامهم المنطة قط

وطالت أيامه وطلبه على أمره قواده والترك ، فكان القواد يفرونه منصور
ابن خليفة لما كان منه من إغاثة مراد ، فكان يقض من حقه ، فتوحش منصور
من ذلك وامتنع من المتول بين يدي محمد الامام ، وبلغته منه أشياء استغلظها
وكرها ، فجمع أمره واستشار أرباب دولته في تجهيز جند إليه فلبوا أمره ، فشرع
في تجهيز الجند ، فبعث إليه جيشاً كبيراً فيه عامة قواده ورؤساء أخبية عسكرة ،
وكان قائده يومئذ يوسف بك وانضم إليهم أكثر العربان لعلو نفس منصور
عليهم . فلما بلغ منصوراً الخبر فرأى أمامهم متوجهاً لأرض برقة فلقق بنجع صرت
واغرايها بتاورغاه وتوجه معهم ، فلما نزل محلاً يقال له أم اللجن^(١) بين تاورغاه
والهيشة على مسافة ساعات من كل لناعية الجنوب من تاورغاه ولناعية الغرب
من الهيشة . وهما بلدان لناعية الجنوب من مصراتة وبين تاورغاه ومصراتة أقل
من نصف مرحلة ، وهو بلد متسع الساحة ليس به نبات ولا شجر إلا النخل وبه
منه ما لا يحصى كثرة وهو أنواع مختلفة ، وبه عين ماء عذب لا نظير له في
القوة ومنه تنفجر أنهار تاورغاه . والهيشة بلد صغير بين القبلة والجنوب من
تاورغاه وكل منهما في أرض سبخة لا تنبت سوى النخل ، ويسقى نخلهما من
العيون ، غير أن عيون الهيشة صغيرة قليلة النعم عكس تاورغاه

ولما التقي الفريقان بذلك المحل كانت الواقعة لمنصور عليهم وقتل من رؤساء

(١) بين شعاب إذا منه المنبر يصعد ما عدا من ريبا زعموا

الجنند والقواد كثير، وفي تلك الواقعة مات رجب قصعة ، ولما وقع رجب عن فرسه أحضر بين يدي منصور ابن خليفة مكشوف العورة فاستفك به فلم يفقه وبأشرفه بنفسه ، وهذه الفعلة منه دلت عن صغر نفس . وكان إيقاعه بهم سنة ثمان ومائة وألف بأواخر رجب أو في شعبان

ولما بلغ محمد باشا الخبر اغتم لذلك غمًا شديدًا وهزل يوسف عن قيادة الجنند وولاهها خليلًا يوم الجمعة لست بتين من ذي القعدة من السنة المذكورة ، وبني بزنبوبة ، وطنى منصور وتجبر ، وأكل مواشي الرعايا وأفسد زروعهم وتوجه الى أرض برقة ، وأرسل الأمير محمد باشا الى عامله على الجبل الأخضر محمد بن محمود ليأخذه ، فجمع من جنده من أهل البلدين : درنه وبنغازي ممن ولد بهما من مصراتة ويزليتين وبني الجنند المسمون القول أو عليه ، وأضاف إليهم أعرابا أطاعته من أهل الجبل الأخضر : جبارته ، وبراضيت ، وأولاد برهوص ، وأولاد على . فاجتمع عنده اثنتا عشرة مائة فارس وتوجه إليه ، وبعث الأعراب المذكورين طليعة ، فالتقى الفريقان ببرقة فهزمهم منصور حتى بلغت هزيمتهم أخبية محمد باي ومن معه من جنند البلدين ، فردوا عليه وهزموه هزيمة منكرة حتى أفاتوه أهلهم واستولوا على حريمه ولم ينج منه إلا ذود ابل ، فرجع الى وطنه واجتمع اليه من اخوانه وأصحابه ورجع لما كان عليه . وثار ت بينه وبين عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي حروب أدت الى موته وذهاب شوكة أهوانه ، ومات سنة تسع ومائة وألف على يد عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي ومن انضم اليه من أولاد عبد الرحمن الجبالي وأولاد زيان وأولاد سلطان التاورغيين ، وبني معدان وأولاد الجنند من أهل مصراتة في أرض تسمى « قرارة ابن جدي » بالتصغير محل حرث لأولاد على العائم بين يزليتين ومصراتة ، مساحتها من كل نحو ثلاث ساعات ، ومن مصراتة بين الجنوب والغرب

وفي أيامه سنة احدى ومائة وألف امتنع الناصر صاحب قرآن من اعطاء الخراج وأعجب بكثرة ياديه وحاضره ، فوجه إليه جنداً كبيره يوسف بيك ومشي على جهة تاورغاء حتى نزل على مرزك ، فخرج له الناصر واقتلوا قتالا شديداً خارج البلد ، وكانت الوقعة ليوسف على الناصر ، وكانت في اليوم الثاني للناصر على يوسف ، وفي الثالث تكافأ

وكان بالحلّة أولاد المكنى : على ومحمد الغزِيل وهم المفلون بالناصر محمد الامام والمحسنون له الخروج إليه ، فلما فهم يوسف ذلك توعددهم بالشر ، فراسلوا خفية اخوة الناصر وأبناء اخوته وأكابر جندهم ووعدوا كلا بالملك بحيث لم يدرك كل بما رسل به الآخر ، فأصبحوا بالحلّة من غير علم من أحد بالآخر . فسقط في يدي الناصر ، وعلم ان ملكه هدت أركانه ، فراسلهم بطلب الأمان له ولوزيره السعودي ولمن معه من حاشيته يادٍ وحاضر . فراسل يوسف قاضي الناصر حمد بن عمران وأعطاه الأمان على يديه فخرج من قصره حتى أتاهم ، فلما أتاهم دخلوا البلد وتولى يوسف خزانته ثم لم يوف للناصر وللناس بالعهد ، فعذب الناصر والقاضي وابنه والتجار ، ونهب أموال الناس وهتك حرهم واستولى على كل من ظن به المال ليعذبه وكان من جعلهم تاجر من برنو

وكل بتعذيب الناس مصطنى البسكري الملقب بأبي خشيم ، وكان شديد العداوة للمسلمين ، فلما رأى ذلك التاجر ما حل بالناس من العذاب بالنار سأل رجلا بازائه مكتوباً من أقرب القاضي المذكور يلقب « البجباح » ببناء موحدة وحاء مهملة ثم باه موحدة بعدها ألف لينة بعدها حاء مهملة : هؤلاء اغتلق نرام يفعلون هذا أم من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة ؟ فزجره عن ذلك خشية أن يسمح منه ذلك من يفهم فيزيدون في العذاب . فلما سمعهم الموكل بالعذاب يتكلمون سأل البجباح عما قال فأبى أن يخبره فتوعدده ان لم يخبره فأخبره انه

سأله عن القيامة ، وقال اني لم اسمع بهذا العذاب إلا في زبانية جهنم ، أهؤلاء
الزبانية ونحن متغا ونشرنا ؟ ام الزبانية تأتي المخلوق قبل موتهم ؟ فلما اخبره بذلك
رفع عنهم العذاب وراجع يوسف برقمه و كانت تلك الكلمة سبب النجاة
وهذه مثل كلة بعض أصحاب ابن الاشمث لما ظفر بهم الحجاج بن يوسف
اللقفي وجعل يقتلهم عامة النهار ، ولما كان العصر أخرج بعضهم لقتل فقال : ان
أسأنا يا حجاج في الذنب فما أحسنت في العفو . فعفا عنهم الحجاج وقال : أف لهذه
الجيف ، اما فيهم من قل كهذا ؟ ولكن اين المقام من المقام ؟ ذلك رجل عربي
فهم فذاق فعل

ولما أراد يوسف النقلة عنها أراد أن يستخلف عليها محمد الملقب بالعزيز
- بالتصغير - فأخرجاه لكتاب الأمير محمد الامام بتولية محمد العزيز أرض
فزان فانكف عما أراد ، ورحل عنها واستصحب معه الناصر ووزيره السعدي
فلما بلغ المدينة سجنها وأجرى عليها من الرزق ما يكفيها ، ومكثا
بالسجن خمسة عشر شهرا ، منها خمسة [كان] محمد المسكني مقبلا بفزان واليا ، فلما
تمت الحسة المشهور قلم عليه أهل البلد بعد أن أخرج منها من سلم من أولاد جهم
وحاصروه بقلعتها ثلاثة أيام ثم جرح وهو بها وأفذت مقاتله ، فلما علم أصحابه ذلك
طلبوا الامان لانفسهم فامنوا وفتحوا القلعة ودخلها أهل البلد ووجدوا بمحمد
رمق الحياة فربطوا برجله حبلا وجذبوه الى خارج القلعة ، وكان وقت ولايته
قطع يد رجل من أهل البلد فأحضره وأمره بقطع يده فقطعها ومثلوا به
وراسلوا تمام بن محمد ومحمد بن جهم بأرض السودان فقدا عليهم وبايعوا تماما
وراسلوا محمد باشا بأنهم التزموا بالخراج فغنه أولاد المسكني على الأخذ بتأزم ،
ودبروا معه رأيا وهو ان يرسل النوبة ويجعل واليها عليا المسكني ، ويعين
جماعة من الجند شبه تجار حتى يقدموها ويخضع من بها من أولاد محمد وأعوانهم

واستعان بأهل ابن وليد^(١) من اورفلة وأتباعهم ، فلما قربوا من البلد لم تخف حيلتهم على محمد بن جهيم ومن معه من كبراء جنده ، فخرجوا وراودوا تماما على الخروج معهم فأبى عليهم اصحاباً على مراسلة علي وأخيه المصري له باتهم أئمه بانطلع والتجديد من حضرة الامير محمد باشا وبشوا له بلقائهم بمن معه من كبراء جنده وأولاد الملوك ، وأمر أصحابه بالتأهب لهم ان قدموا ، فلما منه أن ما احتال به خاف عليهم فخرج للقائه تمام وحده ، فلما رأى ذلك سقط في يده فدخل على وأخوه البلد واقاموا بها تماما سنة ويده مرفوعة عن التصرف

ولما بلغ محمد بن جهيم وادي الخرمان بايحه من معه على قتالهم ، وكان على خرج في غازية في أئرم وليس عنده خبر وصولهم الوادي . فلما نزل بازاء قلعة بالوادي هجم محمد وأصحابه عليهم وأخذوا أسلحتهم ومتاعهم وقتلوا بعضهم ولم يفلت علي الا في نفر قليل ، وخرجوا في أئرم حتى أدخلوم مرزكا ، فدخلها محمد بن جهيم وأصحابه ليلا ، وأخرجوا تماما وأحاطوا ببيت علي . فلما أصبح طلب الامان فأعطيه على شرط أن يرد ما أخذ من خزانة الناصر ، فرد ذلك وراسل أخاه يوسف بالقدوم عليه بعد أن أخرجوه منها وأخوته الى القصر الاحمر بسببه . وكان قتل محمد المصري من البوادي أيامه وولوا رئيساً عليهم جبرا للقلناط السلياني فحاصروه بالقصر الى أن أدركهم يوسف في خمسمائة فارس من الجند صرف عليهم من نفسه

(١) ابن وليد له بقع في جنوبي مدينة طراباس على مسافة ١٨٠ ميلا وهو بلد بيونه مبنية بالحجر والطين وتقع على حافى بحرى ماء يسمى وادي ابن وليد وتسمى قبائل ارفلة ، ولشكل قبيلة فيه قصر يتكون فيه ما نقله حله حين استباحهم لطلب الكلا وهو قصر واهله قليل وامهله يشربون من آبار لا يقل عمق الواحد منها عن ٥٠ باعا . ولم يكن به من الصخر الا الزيتون ، ويسقى ما يحرى في هذا الوادي من ماء المطر عند نزوله وتحيط به صحراء قاحلة من جهاته الاربع على مسافة يوم تقريبا وبه قتل رمضان سنة السويحل يوم عيد الاضحى سنة ١٣٣٨

فما قدم بهم طرابلس استخرجوا الناصر من الحبس وكساه محمد الامام
 ووجه اليها واليا ، وولى محمد الامام قيادة جيشه خليلا قازداو غلى ، وكان ذلك
 يوم الجمعة لست بقين من ذى القعدة سنة ثمان ومائة و ألف ، وعزل عنها يوسف
 وعقدله على ابنته زينوبة

ولما تولى ذلك كان عبد الله بن عبد النبي تقوت شوكته وحارب بعد أن كان
 متورعا على طريقة آباءه ، وانتمى اليه أولاد سلطان التاورغيون وكل مفسد مثلهم
 من الاحراب ، وأغروه بخراب البلدان ونهب أموال الناس ، فحاصر تاورغاه
 ولم يكن من أهلها بها إلا أولاد محرزو بعض أولاد قاضي ققاتلو قتالا شديداً
 نحو الستة الأيام ، وكان مع أولاد محرز بعض من بنى الجند من أهل مصراته ،
 وكثر عليهم الناس ممن أعانوا عبد الله بن عبد النبي على الفساد وأحدقوا بهم ،
 قاتلوا قتالا شديداً وقتل منهم كثير ، وكانت الوقعة لعبد الله عليهم ، فخرّب
 تاورغاه ونهب حريمها ، وتوجه منها الى مصراته فقادعه صاحب أمرها يومئذ
 احمد بن ضيف الله وأظهر له الصداقة وهاداه [وكان] في خلال ذلك يرأسل
 خليلا ، وكان عبد الله قبل ذلك نهب بعض بيوت يزليطن وأخرّب بلد الفواتير
 ولم ينج الا القليل

ولما نزل بمصراته ورحل عنها خرج له خليل في شردمة من الجند حتى
 نزل عليه بوادي حسان - وهو محل حرث أهل تاورغاه على مرحلة منها الى
 جهة الغرب والشمال - فالتقى فكانت الوقعة لخليل على عبد الله ، واستولى على
 أكثر نعله وحريمه ، وخرج فاراً بنفسه ومن سلم من خيله . وكان ذلك سنة إحدى
 عشرة ومائة و ألف

ولما استولى عليه عظمت شوكته وهابه أهل النواجم (١) من سكان البوادي وازدادت هيئته في أعين الجند ، ولما دخلت سنة اثنى عشرة ومائة وألف توجه خليل في محلة جمعت راكب الجند وراجلهم الا قليلا لحراسة الجهة الغربية لما أحس من أهلها من التشوف للخلاف ، وسار حتى بلغ شكشوكاً - قرية صغيرة بسفح جبل نقوسه (٢) بها قوم مرابطون وأولاد محمود [أولاد] جارية (٣) قليلة الشجر بها من النخل قليل ثم رجع حتى نزل بمحل يقال له « غدير عائشة » فأحس من المسكر القيام عليه فظفر بهم في ذلك المحل وقتل أكثر رؤسائهم ، وقتل منه حتى نزل - جبالة - على مسيرة ساعة ونصف من زانزورقيات هنالك ووجه أكثر الجند للمدينة فلما دخلوها قاموا من ليالتهم تلك بمخلة بيعة محمد الامام وراسلوا من بالقلعة من الجند بمسك محمد باشا ان لم يجيبهم الى الطاعة . فلما علم بذلك أجابهم وفتح لهم باب القلعة ، وكان ذلك ليلة الاربعاء لاحدى عشرة خلون من ذي الحجة سنة اثنى عشرة ومائة وألف

ولاية عثمان القهوجي الدرغوتلي

وفي تلك الليلة بايعوا عثمان القهوجي الدرغوتلي - كان يطبخ القهوة بسوق

(١) النواجم بلدة الطرابلسين جمع نجح ، والتجمع طائفة من بيوت الشمر متجاورة في سكان . وفي اداس البلاغ : النواجم : القوم للنتجمون .

(٢) نقوسه بلدة التون وضم الفاء اسم لقبيلة بربرية كانت تسكن هذا الجبل تسمى بها . وهو يقع جنوبي طرابلس على مسافة ثلاثة ايام ويمتد من الشرق الى الغرب على مسافة ستة ايام وعرضه نحو ثلاثة اميال ، وكان فيه مدينتان عظيمتان : احداهما « شروس » وهي تقع غرب فساطو ، وهي غير موجودة اليوم ، والثانية جادو ، وتسمى اليوم « فساطو » وهي من اكبر قرى الجبل ولحسنها عمراناً وقد اخربتها قبيلة الزنجان في حروبهم مع الاباضية سنة ١٠٣٣٩ . قال في معجم البلدان : وجميع اهل هذا الجبل شرارة رهبة واباضية . وقد افتتح عمرو بن العاص نقوسة ورجع عمرو بن العاص بكتابات ورد عليه من عمرو بن الخطاب رضي الله عنه . انظر الكلام على شروس صفحة ١٥ هامش ٣

(٣) انظر الكلام على اولاد جارية واولاد محمود في صفحتي ٦٢ و ٦٤

الترك ، فنفى محمد الامام وأهله وأولاده لبلاد الترك ، وتولى عمان الخزانة وتفريق رزق الجند ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوماً . وكان فظاً غليظاً ، وفر خليل لتونس ولحق بصاحبها يومئذ مراد بن محمد بن مراد الجبار ، واقام بها مدة ثم انتقل منها الى بلاد الترك واجتمع فيها بصهره محمد باثاء ، وتحرر شينيا من نفسه وعن فرسه ، وكان من له به صداقة من الاعراب يكاتبونه وهو بتونس . وكان ممن كاتبه عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن حمود الجبالي الملقب بأبي طرطور ، فخرج بشينيه عليه

رواية الحاج مصطفى غليبولي

وقد بايع الناس بعد أربعة أشهر من بيعة عمان الحاج مصطفى غليبولي أول يوم من ربيع الاول سنة ثلاث عشرة ومائة ألف نسمة لغلبول مدينة على ساحل البحر الأسود من أرض الرميلى ، بلد فلاحية وبها أودية ماء يسقون منها زرعهم ان احتاج ، وبذلك اخصبت جوائنها . واستقر على تخت الملك أول يوم من ربيع الاول من سنة ثلاث عشرة ومائة وألف . وأقام في تدبير أمر الناس وتفريق رزق الجند أحد عشر شهراً ، وفي مدته مع أشهر عمان اتصل خليل بتونس وبلاد الترك كما ذكرنا وكان نادى بمجمل الريال عشرين قرميلا ليرضي الجند بذلك ، فحصل لرعية ضرر كبير وزاد عليهم في الخراج الثلث وزيادة . اذ قد كان الريال ثلاثة عشر قرميلا ، واشتد على الناس الامر . فلما بلغهم أن خليلاً نزل بالزعفران وراسل أبا طرطور وبايعه تشوف الناس للخلاف . وهذا المحل الذى نزل به ، به أحساء ماء عذب لا نظير لها في العنوبة يقوم للحيوان مقام الحلف . واذا خرجت الديدان بأذنان الابل [من] لسم الذباب لها أوردوه

ماده ، فاذا شربته تساقط ما بها من حود ، وهو مشهور بذلك . [وهو] على مسافة أربعة أيام من مصراته يقصده آتية منها بين الجنوب والشرق ولما استقر خليل عند عبد الله راسل الرعية وأخمدانه من العرب والجنود فلم يختلف عليه اثنان الا ما كان من الجنود الذين كانوا مع مصطفى وسعيد بن المنتصر المرموري في شرفة قليلة كان استعان بهم غلبولي على غريان لما خرجت عن بيعته . وكانت خرجت عن بيعته بعد خمسة أشهر منها . فلما أحس سعيد ببيعة الناس خليلا واقبال الرعية عليه واعراضهم عن مصطفى اتخذ بدأ مع خليل وأظهر لصاحبه الاعانة ، فلما سمع مصطفى بزحف خليل اليه جند الجنود وفرق فيهم عشرة ريات لكل ، وأبقى في البلد خليفة كاهيته مصطفى شارة ، وكانت عنده مودة لخليل يخفيها ، وظهر ليلقاه بنفسه وراسل خدنه سعيد المذكور ، وخرج الى ناحية غريان يظن أنه يأتيها لما بينه وبينهم حتى نزل « وادي الصمارة » (١)

فلما نزل الوادي المذكور بلغه أن خليلا سابقه على البلد من جهة الساحل ، وكان قد وضع بعض الجنود من أعوانه بتاجوراه ، فسبقه خليل عليهم قتل منهم من استعق القتل ودخل المدينة بواسطة كاهية البلد وأهلها ، وكان خليل قد وعد الجنود باعطاء كل عشرين رياتا جنوبا وزيادة « تركة » ، والتركة عندهم زيادة ربع قرميل كل يوم في الجنود فخذلوا مصطفى ومسكوه وأعلموا خليلا بذلك فبعث به الى تاورغاء فقتلها بعد الاهانة على يد محمد بن هلاق التاورغي

ولاية خليل باشا

واستقر خليل على الملك يوم الجمعة في ربيع الثاني سنة أربع عشرة ومائة وألف

(١) ياض بالاصل يسع سفرا . اصفا

ولما تمت له الامور بحث لصبره وعياله سفينة أتت بهم من بلاد الترك فوافق دخولهم عليه صبيحة أول ليلة من المحرم سنة خمس عشرة ومائة وألف وكان صهره محمد باشا حلياً لين الجانب حسن السيرة لم يتخذ أهواناً لخاصته غير عبد زنجي كان له قبل أن يلي الملك ، لم ير مستعملاً لحرير ولا ذهب ولا مرتكباً لمحرّم في غير القانون المحزني ، وأما هو فقد غلبه فيه المال والجند حتى أنهم يظلمونه في أحداث الخوارق وهو لا يريد لها ، وربما صرح بذلك وتظلم ، وكان ملازماً للخمس في الجماعة يؤم الناس ان غاب من عينه للإمامة بالقلمة كثير التوقير للعلماء يقف لأدنام منزلة ويتنحى لكبرائهم عن سرير ملكه ، سهل التناول ، يطرق بيته جليل الناس وحقيرهم ، ويخرج اليهم بنفسه ويسمع الشكاية من الكل ، فاذا أتاه الشاكي وقت أكله أخرجه اليه وأكل معه جبراً لخطره ، لم يتأنق في مأكل ولا فرش ولا بناء سوى مسجده الذي بناه بسوق الترك المعروف به ، فإنه بذل فيه وسعه ، وبناه من مفروضه في الغنائم ، وكان بناؤه على يد تفتة مصطفى قارباق التونسي سنة عشرة ومائة وألف . وقد أشار اليه ابن سيدي أحمد الفقيه في أبيات فقال :

جامع أنس قد بناه هـ ذو العطا وحبسا
محمد الباشا كفا هـ الله شر من أسا
وكان للناظم صو نا ولمن قد هندسا
ان قيل ما تاريخه قلت : بتقوى أسا

وهو كما أشار ، انتفع الناس به انتفاعاً كبيراً جعله الله له جنة من النار وفي سنة احدى عشرة ومائة وألف جدد بناء السوقين المحدثين بمسجده من جهتي الغرب والشمال بناء لم ير مثله في سعة الساحة وحسن الشكل . وكان في مدة ولايته وقع بينه وبين محمد باي صاحب تونس وحشة أدت الى أن محمداً الامام

راسل صاحب الجزائر شعبان خوجة ليساعده على تونس
وسببها أن محمد بك بن مراد جند نحواً من أربعين الفاً مرتزقة من الترك ومن
أبناء الترك سوى مرتزقة العرب ، فبعث الى محمد الامام يطلب منه من بطاعته
من أهل الخراج ممن هو من أهالي تونس : كأهل جربة وصفاقس وسوسة وقابس
وغيرهم ولو رفضوا سكنى تونس ، فأجابه لذلك مسالمة الى أن يستعد ، وراسل
شعبان صاحب الجزائر يطلب منه الاعانة فأمره بالتأهب اليه ، واتفق معه على
اللقاء بمتابة - بلد من عمل الجزائر به من أنواع الخيرات كثير - فراسل محمد
الامام أسطوله ، وجهز فيه من جنده مرتزقة ألفاً ومائتين وخمسين غير النوتية .
وكان ذلك في ربيع الاول سنة ست ومائة وألف .

ولما بلغوا عنابة والتقى الجندان وانضما لبعضهما كانت الرقعة للجندين :
الطرابلسي والجزائري عليه وفر أمامهم ودخل تونس ، وقفوا أثره حتى نزولوا به
وحاصروه حصاراً شديداً . وفي مدة حصارهم له أرسلوا طائفة من الجنود لمدينة
غار الملح فحاصروها وأخذوها وتم خليل المذكور ومن معه بحصار البلد حصاراً
عظيماً ووقعت بينهم أمور كثيرة يطول شرحها ، وقاتلهم قتالاً شديداً لم يهد مثله
لامثالهم ، وظهر من شجاعة خليل باي المذكور وقوته مالا يوصف الى أن
افتتحها قهراً

ثم أن أهل الجزائر دخلوا مدينة تونس وجعلوا بها أموراً شليعة من القتل
والنهب والفسق وغيره . ثم أن خليل المذكور قدم تونس بمن معه وأتى بما كان من
مراكب بغار الملح كالقبطانة وغيرها فأعطاه شعبان خوجة تلك السفن فشتمه لكونه لم
يسمه مما أخذ من تونس . فاحتال شعبان في قتله وأرسل يطلبه ، فلم يه خليل
واقطع من حينه فرموه بالمداغ من حلق الوادي فلم يقد وقدم الى طرابلس مسروراً
ولما استقر خليل في الملك وقدم عليه صهره وعياله من بلاد الترك وسلم لمحمد

في الأمر ولزم شأنه تشوف أهل غريان للخلاف وخلصوا بيعته فخرج اليهم ، وحشر الأعراب ، وبنى الجند الساكنين خارج المدينة في سائر المملكة وحاصر غريان وقطع شجرها ، وكان ذلك سنة خمس عشرة ومائة وألف ودخلها من وادي الأرباع ونهب أكثر بلادها وقتل منهم كثيراً

ولما دخلت سنة ست عشرة ومائة وألف قدم عليه الشريف صاحب تونس ليفتك البلد من يده واستصحب معه عثمان القهوجي وشعيان بن قاريوسف آغا الكرسي كانا نفيًا عنده فلما منه أن أهل طرابلس يوافقونه إذا رأوها معه ، وقدم في جند كبير نحو الثانية عشر ألفاً ونزل برملة المنشية من جهة طرّة وخرج خليل لقائمه . فلما التقيا أخبر خليل بخلاف الجند الذين بالمدينة عليه ، وأن بعضهم أدخل يدام الشريف ، فكر راجعاً إلى المدينة وترك أثاث المحلة ودخلها وغلق الأبواب ، ودخل الشريف المنشية وأفسد جنده بها وحاصر البلد . وكان نزوله بالرملة لخمس عشرة بقين من شعبان سنة الثاربخ وقطع نخيل الأجنة والسواني^(١) التي بالقرب من المدينة وجمه أبراجاً ليحاصر المدينة بذلك ويرمي عليها الكور وكان من السواني المشهورة التي أخربت إذ ذاك سانية الققيه العالم الصالح سيدي عبد الله بن أحمد بن غلبون التي كانت تسمى « ادم ذات العاد » لحسنها وما حولها من الأجنة . وراسل أهل الطاعة وأقام على الفساد ومحاصرة البلد نحواً من أربعين يوماً . وقرب من المدينة بأبراجه ، واشتغل بحفر سرب^(٢) من تحت الأرض ليضع فيه باروداً لكي يتخرب المدينة . فلما أحسّ به أهل البلد فتحوا باب البحر وخرجوا اليهم بكره وحملوا عليهم حملة منكورة فلم يفلت من جنده المحتمي بأبراجه الا قليل ، وصاحوا بهم فوقعت الهزيمة عليهم وقتل منهم كثير فتم الأمر لخليل وعظم في أعين الرعية والجند ، وازدادت هيئته فكان إذا أرسل للتربة القليلة

(١) السانية في اللغة اسم للبحر الذي يسمى عليه ، والطارلسيون يطلقونها على البستان

(٢) السرب فتحنين النفق

من جنده واتباعه فرت الأهراب أمامها .

وهو أول من اتخذ الحجاب من ملوك طرابلس ، وأول من لبس الحرير
والذهب وأكثر الممالك من الروم ، وتأتق في الأكل والملبس ، ولم يكن لملوك
طرابلس الذين قبله اعتناء بمثل هذا ، ونحنا في ذلك نحو ملوك تونس
وسبب الوحشة بينه وبين إبراهيم الشريف أن خليلاً كان بينه وبين مراد
صاحب تونس صداقة ولما حل بجوارده فارا من طرابلس أحسن إليه ، وكان إبراهيم فرر
به فبقي في نفس خليل من ذلك شيء فرت به خيل لإبراهيم في الركب فأخذها
ممن هي بيده بصورة بيع أكرهه عليه ، فبلغ ذلك إبراهيم فيحث إليه يهدده أن لم يردّها
فأغفل له خليل في الجواب . وكان خليل جباراً ذا نخوة لم يؤثر عنه شرب مسكر
مذوّبي وفي العهد لم تغلت عنه فلتة بخيانة قط ، قوي العزم عبداً لاحق من أهل
العلم ، يكرمهم ويعظمهم ، كثير التعلق بالأسئلة فإذا أتاه آت ينسب إلى العلم ألقى
عليه مسألة يمسر فهمها على مثله فإن أجاب زاد في تعظيمه واحترامه والا غص
عنه : وإذا كتب توقيعاً في شيء لا يمكن الرجوع فيه ، يتحاشى قواده حامل
كتابه ويخشون سطوته . كان أول أمره أرسل كتاباً لعامله أحمد بن أحمد وعمل
بمخلافه ، فبعث بصلبه بقم داره وجعل الكتاب على جيبته فصلب كذلك . وكان
وفي العهد لا ينقض ما أرم ولو عليه فيه مضرة . وكان يقول : ألقى الله بكل
ذنب ولا القاه منشوراً لي لواء الغدر . يتحامل على أهل البدع حتى قلت البدع
في أيامه ، وأذل رئيسها علي الفرجاني وسامه خسفاً ، ولم يدخل أرض طرابلس
الا بعد موته : بنى مسجداً حسناً بالظهرة ، غير أنه كان مروانياً في ارتقاء عنان
عبده وظلم حاشيته : ولم يرل كذلك إلى أن دخلت سنة ١٠٤٥ ، عشرين ومائة
هـ ألف فخرج كبير أسطول السفن لجهادياً من قبله غازياً به خرج معه الهرنجي (١)

في سفينة صغيرة ، فأعلم الأفرنج الدين بالبلد صاحب مالطة عنهما ، وأخبروه بما فيها من العدة والعدد ، فجهز اليهما شوانيه وأسطوله فطاردهم علي وقتلهم قتالا شديداً وكل ذلك من البعد : فإذا هم بأن يحطه على إحدى السفن ليربطه بها ربت^(١) منه حتى اعدسوا السفينة عن بعد ؟ فلما علم أنه لا نجاة له منهم أحرق السفينة ونزل من كان حياً في البحر فأخذهم وكان ذلك في ربيع الثاني من السنة المذكورة وفيها خلع عبد الله بن عبد النبي بيعته وأظهر ذلك وأخذ الركب الفزاني الآتي بالخراج منها

ولما بلغ خليلاً ذلك أواسط شعبان من السنة المذكورة خرج له في طرف من حاشيته وهبيده من غير اهبة : فلما نزل مزدة - وهي قصران حصينان من بناء الاول ، الشرقي منهما يحيى الشارف يسكنه أولاد مرعي الغيبان ، والغربي لقوم يسمون قنطرار لكنهم الآن يسكنون القصرين وهم كانوا لأولاد مرعي الغيبان . وحواليها من جهة الجنوب أجنة قليلة بالقرب من القصرين بحيث تصيب الرمية من القصرين من أي تلك الأجنة . وأهلها مشهورون بالرمي وحسن الصناعة في البارود بحيث يضرب المثل به . يقصدها الآتي من وادي ابن وليد بين الجنوب والشرق^(٢) وهي منه على مسير ثلاث [مراحل] أو أقل بيسير ، وبأجنحتها نخل قليل^(٣) - لحقه الخبر أن ابراهيم ألبيل خلع بيعته وواقفه الجند وأهل البلد على ذلك . و ابراهيم هذا ألبيل للنسبة ، وألبيل على ساحل البحر بالاناضول ، وهي بهمزة مفتوحة ولام كذلك ومثناة تحتية بضمها لام مكسورة ، وحاصر حسيناً المشهور بمخلووزه نائب خليل بالقلمة خمسة عشر يوماً ،

(١) منه العبارة غير مستقيمة وهي في الاصل هكذا

(٢) كانت بالاصل بين الجنوب والشرق وهو خطأ (٣) بها زاوية السنوسية اشتهرت بزاوية

السنى لان الصحيح عبد الله السنى هو الذي يتولى النظر عليها بنيت سنة ١٢٦١

ورجع خليل حتى نزل بطرة المشية بمن معه وخرج لقتاله أهل البلد والجند وفتح باب زناته ولم يفتحها أحد ثم أفلق بعد انقضاء القتال وأقام خليل سبعة أيام ثم توجه لعبد الله بن عبد النبي الجبالي وانضم اليه بمن معه فجعل ابراهيم قار محمد قائد جيش الخليل وأخرجه لقتاله فالتقوا بمحل يقال له الشرب فكانت الوقعة لمحدي خليل ، وفر خليل بمن معه لارض سرت ، وسار محمد في أثره الى أن نزل بين تاورغاء ، فراسل عبد الله بن عبد النبي فوجد عليه فأغراه بقتله فريوي الجبالي قتلته ومن معه الا ابنته عليا مسكة ليا تي بما أخذ من خراج فزان ورجع محمد ، وأقام خليل بسرت قليلا ثم توجه منها لودان ولحق بالناصر صاحب فزان وتفرق عبيده واتباعه شعر بفر ولم يبق معه الا قليل فأخذته رحومة ابن جويلى السراتي كبير ركب تجارة مصر لارض فزان معه حتى أدخله مصر فآكرمه ابراهيم لييك وأهلها اكراما زائدا ، وخرج منها الى القسطنطينية شاكيا لحضرة السلطان ، وما دري أن الله يميل للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته

ولاية ابراهيم الاركلي

واستقل ابراهيم بالملك عاما كاملا ، وفي خلال امام شرد بشيعة خليل قتلا ونفيا وكانت شيعة أكثر جند البلد فضعف بذلك أمر الترك ووهت شوكتهم ووقع في نفسه من محمد قار الأنضلي شيء كرهه قزاله عن موضعه وجعل قائد خيله تركيا يقال له محمد حسين شاوش . وكان ذلك في ربيع الاول لحس خلون منه ، فبقي على ذلك أربعة أشهر وتسعة عشر يوما ، ثم عزلها عنها لست يقين من رجب سنة اثنتين وعشرين ومائة و الف . وكانت ولاية قار محمد آغا الخليل ستة أشهر وثمانية عشر يوما ، وقلدها محمد باي الملقب ابن الجن الكول اخلي كان رئيس شوتى مشتغلا بفرو العدو ونشر يدهم ، غزوته وقلده كثير من مومم ونخر به ق اهم مشبه ، له قبة بها

لاحتاجت لديوان مستقل

ولما نفي ابراهيم محمد الأنضولى لناحية المغرب خرج الى الأعراب حتى أتوا به غريان فدخلها ووافقها أهلها فخلع بيعة ابراهيم . وخرج بمن وافقه على الفساد راجعاً الى المدينة حتى أتوا تاجوراء فالتقى قومه مع محمد باي الجن واقتتلوا ، فما مضت برهة من الزمن حتى هزم قار محمد ومن معه وأخذتهم السيوف ومات منهم نحو الثلاثمائة ورجع محمد باي منصوراً مظفراً . وكانت الوقعة أو اخر رجب سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف ، وسلم محمد قار وفرعين معه من وافقه الى ناحية الجبل

وكان الله سبحانه أراد انقراض الدولة التركية واقامة الدولة القبول أوغلية فأيد محمد الجن وسلط الترك على بعضهم حتى قتلوا وضيع أمرهم . فتأقت نفسه رحمه الله تعالى فخلع بيعة ابراهيم وجمع كهراء البلدين : الساحل والمنشية وشاورم في ذلك فأشاروا عليه بخلع بيعة لخمس عشرة خلون من رمضان وقيل لأربع عشرة مضين من رمضان من السنة المذكورة ، وحاصره بالمدينة ستة عشر يوماً ، ثم وافق أهل المدينة محمد باي المذكور وخلصوا بيعته ليلة عيد الفطر ليلة الأحد وأوقفوه ثم نفوه الى الاسكندرية

ولاية اسماعيل خوجة

وأقاموا مكانه اسماعيل خوجة . كان اماماً بجامع الخروبة ، وجلس للحكومة وتفريق رزق الجنند في يوم العيد ، وكانت اقامة أهل البلد له برأي من محمد باي ولم يختلف على بيعة محمد اثنتان من أهل البلد وبأديها ، واشتغل أول أمره بنفي طفاة الترك وقتلهم حتى أبادهم جميعاً الا القليل منهم من لم يكن له تعلق في مدتهم وزال الملك من أيديهم ، وتولى ولاية الملك القبول أغلية

ولاية الحاج رجب

ولما استتم أمره عزل اسمعيل المذكور عن موضعه وكان ذلك ليلة بقيت من ذي القعدة من السنة المذكورة . وولاه رجلاً آخر يقال له الحاج رجب . وفي أيامه أتى قار محمد لأهل تاجوراه وطرده ورجع لغريان . ولما مهد البلاد ودخل القلعة أحسن منه محمود الملقب بأبى اميس . كان كاتباً بالديوان - شرا بدهواه فقدر به وقتله وتولى موضعه . وكان قتله اياه يوم السبت في العشر الاخير من جمادى الاولى من سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

ولاية محمود أبى اميس

وبايعه الناس على ضغينة من فعلته فأقام خمسة وعشرين يوماً وأرسل مولانا أحمد ابن يوسف قرمنلى الى غريان ليخدر به هنالك لما توسم فيه من النباهة والصلاحية لذلك دونه ، فاتفق أهل البلد على صلاحيته ، فرجع قبل وصوله الى غريان لما توسم من كبره اياه ، فلما قدم البلد بايعه أهل البلدين الساحل والمنشية ولم يتخلف عن بيعته أحد لما جيل عليه من الرقة والاعطف ، وهو الذى أسس قوانين الدولة وأحيا رسوما دائرة من قواعدها

ولاية احمد بابا قرمنلى

وكانت بيعته ضحوة الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ، وقيل حادي عشر الشهر المذكور . فلما أحسن بذلك محمود أقام

يومه ذلك متهيّئاً للحرب ، ثم في ليلة الأربعاء قام الشريف حسونة عليه من داخل المدينة وقبض عليه ، ودخل القلعة صبيحة الخميس الثالث أو الخامس عشر من الشهر المذكور ، فظن أنه يستقل بالأمر وفتحت أبواب المدينة ، فقبض على الشريف المذكور وقت العصر من ذلك اليوم ودخل أمير المؤمنين القلعة في ذلك اليوم . ولما مرت له أيام جعل يوسف قائد خيل محمد الامام سابقاً دأباً بالقلعة ، وكان ذلك لتسع بقين من الشهر المذكور من السنة المذكورة

وفي ذلك اليوم من الشهر المذكور قدم خليل باشا بأسطول من حضرة السلطان وسيأتي خبر ذلك مستوفى عند ذكر شمائل أمير المؤمنين (١) عند ما يناسبه من أبيات القصيدة

قال الناظم :

﴿ اذا أمها من قد فآته بلاده وأوحشه ذو أمرها من حاتمها ﴾
 ﴿ تطلأمن من نفس ومال وعشرة ويضحي بعز ما توى بجهاتها ﴾
 ﴿ فكم من ذيور^(٢) أخربت وكنائس وكم من حصون حوصرت بسراتها ﴾
 ﴿ وكم من بلاد للصليبي مركز أحاطوا بها ليلاً وأفتوا طفاتها ﴾
 ﴿ وكم من جوار^(٣) للكوافر ضيقت على سفن الاسلام من لفحاتها ﴾
 ﴿ قد أضحت يرساها أسيرة فلكتها وعسكرها في جبرها من حفاتها^(٤) ﴾
 ﴿ وكم من أويسي بها ذي معارف وكم من جنيدي على شرفاتها ﴾

(١) يقصد المؤلف بامير المؤمنين « احمد القرمانلي » ، وقد خصه بهذا اللقب چون من تقدمه من الولاة ان المؤلف كان مقرراً لديه وله عنده النكابة الاولى . قاله يظن ان المؤلف اضطرته ظروف هذا القربى . محصه بهذا اللقب

(٢) يمي بالذيور جمع دير ، وهو صومعة الرامب

(٣) الحواري السفن

(٤) مكنا بالامل

﴿ بها فضلاء ما الفضيلُ يفوقهم ﴿
 ﴿ قد اختارها الزروق داراً وموطناً ﴿
 ﴿ تواترت الاقطابُ تبرى بأرضها ﴿
 ﴿ بها علساء طامون بملهم ﴿
 ﴿ ولم ترغشاً قط من جمع أهلها ﴿
 ﴿ اذا حان وقت للصلاة رأيتهم ﴿
 فوارس أنجادٍ وهم من حياتها ﴿
 كذا ابن سعيد مقتد بهداتها ﴿
 وكم سيدٌ رام المقام بدياتها ﴿
 خول عن الاظهار في خلواتها ﴿
 ولا قسماً في بيعهم من جفاتها ﴿
 سراعا وخلوا للريح في عرصاتها ﴿

اذا أمها : قصدها . من قد نأته بلاده : أبعدته ، من نأى اذا بعد . وعدها
 بنفسه لتضمنه معنى بعد بالتضعيف ^(١) . وأوحشته بلاده : البلد مسكة شرفها
 الله تعالى ، وكل قطعة من الأرض مستبحرة غامرة كانت أو طامرة ، وهي
 المراد هنا ، وأوحشته أخافه . وذو بمعنى صاحب والامر ضد النهي . واولو
 الامر الرؤساء والعلماء . والحماة جمع حام ، وهو من يمنع جواره أن يضام ، أو
 من يطمئن قاصده عن نفسه وماله ان دخل .

و جوار أهلها مشهور ، قصدها زيادة الله بن الأغلب ^(٢) لما اخذت الشيعي
 بلاده فحتمه ولم يصل اليه مكروه حتى انتقل منها ، وحثت باقوتاً المعروف بالانتخار ^(٣)

(١) لاجحة الى هذا التصيين ويريدنى نفسه مول ناه والى
 الاساس بهذا البيت .

ك امامه الاسؤالا والا حيا ليوافى حالا

(٢) هو اومصر زينة الله بن ابي العباس عبد الله بن ابراهيم الاعلى ، احر امره لدواء الام ، تونس
 واهريقية ، ولد ولشاً في تونس ، وولاه ابو امارة صقلية ممكف على لثاته ممرلاً ما وسج
 من قتله ومودم ، لبراً على امريقية فتولاها سنة ٢٩٠ وباد الى لوه واهمى بشور الال
 الثالث اى عدائه الشيعي وفر زيادة الله ناهله وماله من امريقية مصر سنة ٢٩٦
 المقدس ومات الرملة سنة ٣٠٤ وانه انقرت دروا الاعلى ، في امريقية وكانت عدتها ١١٢
 و ١٤ وما اهمى الاسلام لمر طى وفي اثناء ده لى معر مر الالاس
 (٣) انظر صفحة ٦٣

نائب قراقش لما طلبه يحيى بن اسحاق الميورقي ولم يسلموه حتى قهروا وأخذت
 أموالهم . وحابتها لمن أمها قديما وحديثا شهيرة ، أشهر من أن تذكر ، وسيأتي ذكر
 نبذة منها عند التعرض لذكر شمائل أمير المؤمنين أحمد بن يوسف ان شاء الله تعالى
 وأما أضرارها الديور والكنائس فان عنى الديور اللغوية والكنائس فلم أف
 على أضرارهم شيئا الا ما فعل مصطفى العليج الرئيس ببعض كنائس لهم أو آخر
 سنة تسع ثلاثين ومائة وألف أو أوائل الأربعين ، فانه أضرها وأخذ ما فيها ،
 وآتى بيد منها معقمة عندهم يزعمون أنها تميد ، وبعثوا على ذلك ودفنوا أموالا
 عظيمة لحاشية السلطان حتى كاتب أمير المؤمنين أحمد بن يوسف فردها اليهم .
 والا ما فعلته سفن عثمان باشا بكنيسة جرجرا العيين التي اتناها بجزيرة لم يسبق
 بتدميرها ، وابتنى حولها أبراجاً وفندقاً ومجلا لسكناء وجبوسا لسكنى أسارى
 المسلمين . واتخذ ثلاث سفن ضيق بها على المسلمين أشد الضيق ، فأخرج اليه
 عثمان سفنه لناحية القسطنطينية فالتفت معه وقتلوه واستولوا على سفنه وأخربوا
 كنيسة وما عمر . وكان ذلك في ربيع الثاني سنة تسع وسبعين وألف . وان
 أراد بالكنائس والديور محالها من القرى فذلك شيء لا يحصى كثرة

حدثني من أتق به قال : خرجت في شيني رئيسه قر لونة العليج فقال لنا الآن
 أغزو بكم بلدنا ، قال فأتيناها ليلا وأحطنا بها ، فاستولينا على همه وبنيه وقتلنا
 من وجدناه فيها من طغاة الكفرة وأخر بنا ديارهم . قال : وفعلنا مثل هذا في
 عدة قرورات ، ومثل هذا فعل ابن الجن وحده الله تعالى كثيرا

وأما أخذ فلكتها أساطيل غزو النصرارى فاصحمت من سفن جرجرا العيين التي
 ضيقت على كافة بلاد الاسلام أشد الضيق ، وسفينة لطاغية الافرنج كانوا أرسلوها
 مشحونة جنداً ومالا وخيلا مسدداً لجزيرة الاكريقية المعروفة عند المغاربة
 بكندية ، وغير ذلك كثير ، وأمرها في العدو ونكابتها له شهيرة . هذا من سفن

النصارى الممعدة للغزو على الاسلام . وأما سفن تجارتهم فحدث عن البحر ولا حرج وقد أخبرني بعض الثقات من تجار البلد قال : دخلت مدينة بلنسية وأتيت سوقها ، فسألني بعض التجار بها لما رأى الهيئة مغربية : من أي بلاد المغرب أنت فأخبرته عن وطني ، فسألني : أيننون بيوت طرابلس بلنسين الذهب والفضة ؟ أم هي كسائر الدنيا ؟ فقال فظننت انه يسخرني حتى أقسم لي بمعبودهم . قال وداربي على السوق ، وجمع ما هو مكتوب على أفواه حوانيتهم مما ضاع لسكل ، فخرج شيء لا يحصى كثرة . فقال هذا ما ضاع لأهل بلادهم فكيف يفقدونها من بلاد النصارى قال وهم يكتبون ما يأخذونه لهم كل فريق من المسلمين

وأما أهل الاحوال فهي مشهورة بإقامة أهل الصدق في الاحوال بها قديماً وحديثاً ولم تزل على ذلك

وأما موافقتهم أرباباً القرني رضي الله عنه في الوصف ، فهم في التشرف والزهدة والقناعة بالرتبة الاويسية ، وان كانت اختصه الله تعالى بزيادة « يجتهدون برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

وأما موافقة أهلها الامام أبا القاسم الجنيد بن محمد القواريري سيد طائفة أهل عصره وامام من يمدحهم الى الله تعالى ، على أصول السكتاب والسنة ، فقد كان منهم شريعة على ذلك قديماً وحديثاً :

﴿ الاستاذ أبو الحسن ابن النمر ﴾

فمن القدماء الفقيه العارف بالله أبو الحسن ابن النمر كان مولده بطرابلس سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة أخذ عن أحمد بن زريق البغدادي بمكة ، وروى عن ابن القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري ثم عاد الى طرابلس ، ودعا الى الله سبحانه وتعالى ، وقرر الشريعة أصولاً وفروعاً ، وأظهر السنة بها لما عم الرفض

ومات أئمة أهل السنة . وهو أول من نطق الاذان بمحي على خير العمل وأول من أقام صلاة التقيام بطرابلس لما يحي أثرها من أرض افريقية ، وأحي طريقة الجنيد ، وكان قد جمع الفقه والادب مع الله ، وهو أول من صلى نافذة الضحى جهاراً ، ولم يكن أحد في مدة بنى عبيد يصلها الا استخفاء . وله تأليف كثيرة في الحساب والازمنة وغير ذلك . وله السكافي في الفرائض . وأقام بطرابلس الى سنة ثلاثين وأربعمائة فخرج من الحنة جرت له ، وأقام بفضية قرية من قرى مسلاته ، فأقام بها عامين ثم مات ودفن هناك على الطريق

﴿ الشيخ عبد الله الشعاب ﴾

ومن كان على سنة الجنيد رضي الله عنه وهو بطرابلس الغرب العارف بالله تعالى عبد الله الشعاب ، كان نجاراً بالمدينة المذكورة ، وكان بعض الناس ابتداء المسجد الذي هو به الآن الذي نسب اليه وعجز عن إتمامه ، فحركته همة لإتمامه ، فأتى القاضي وطلب منه احضار رب المسجد ، فلما حضر أمره القاضي بالإتمام فأقر بالمعجز فأذن للشعاب في إتمامه فأتمه ولزم السكبي به ، ودعا الى الله على نهج الكتاب والسنة وكان يجتمع بالخضر عليه السلام في مسجده ، وكان بحجاب الدعوة لوقته : سمع يوماً بكاء امرأة بباب المسجد ، فخرج وسألها عن الحال ، فأخبرته بأن لها ابناً أسره العدو وسألته الدعاء بخلاصه ، فدعا وأمنت المرأة على دعائه ثم انصرفت الى بيتها فاذا ولدها أصبح في السكة يسأل عن دارها فعرف بها ، فخرجت فسألته عن الحال فأخبرها عن فراره في البحر وسلامته ووصوله عن قرب عهد فتوجهت المرأة الى الشيخ تشكره وتعرفه بوصوله وأن ذلك ببركة دعائه ، فنهاها بسلامته قبل خبرها وقال : انما انجاه الله ببركة دعائك لما علم من اضطراك . وتوفي رضي الله عنه ونقنا به سنة ثلاث وأربعين ومائتين

﴿ أبو نزار الشيخ خطاب البرقي ﴾

ومن الاويسيين بها أبو نزار الشيخ خطاب البرقي كان صالحاً ديناً ذا كرامات خصوصاً في باب الرؤى ؛ وكان زاهداً ملازماً لسكنى مسجد خارج المدينة . وكان يخاطب في النوم بما يكون في اليقظة قبل كونه
حكى عنه أبو عبد الله الخياري قال : قال لي مرة : خرجت الى الحج منفرداً
فبينما أنا في البرية اذ مرّ بي رجل توهمت فيه الخير ووقع في قلبي أنه الخضر ،
فبادرته وأقسمت عليه بالله تعالى أأنت الخضر ، فقال : لقد بقيت فيكم من
الخير بقية ، ولم يزدني على هدائيم غاب عنى
ونقل عن الخياري أيضاً قال : قال لي الشيخ خطاب : بينما أنا في البرية اذ أنا
بسيم قد عارضني ، فقلت له : يا أبا الحارث ان كنت قد أمرت فينا بشيء
فدونك ، والا فالطريق . قال : فقرب مني ووقف هنيئاً ثم انصرف
وحكى عنه انه قال : بينما أنا في البرية اذ رأيت شخصاً فاستغربت وجوده
هناك فقصدته فوجدته مفرح بن بياضة ، فقلت له : أبا عبد السلام الى هنا ؟
فقال نعم يا أبا نزار فاستغربت معرفته لي مع كونه مكفوف البصر

﴿ الشيخ أبو عثمان الحساني ﴾

ومن الاويسيين بالبلد المذكورة الشيخ أبو عثمان الحساني . وهو سعيد بن
خلفون الحساني المعروف بالمستجاب . أصله من أهل قرية حسان احدي قصور
قرى طاعة طرابلس ، كان استحدث بناء هذه القرية حسان بن النعمان [الفساني]
كان وجهه هيد الملك بن مروان لقتال عسكر كاهنة افريقية المعروفة بكاهنة
لواته في عسكر حرمرم ، وكانت هذه السكاهنة تسكن الحصن المعروف

بلجم^(١) وهو أعظم حصن بأفريقية . وكان توجهه لها بعد انتفاض أفريقية - وموت زهير بن قيس البلوي بها^(٢) . ولما بلغ عبد الملك ذلك استشار في من يوجهه عرضاً منه فأشاروا عليه بحسان هذا فوجهه بمحيش لم يدخلها للمسلمين جيش أضخم منه فحاصر قرطاجنة وافتتحها وأخرها وتوجه إلى هذه الكاهنة فهزمته وأسرت كثيراً من فرسانه ، واتبعته حتى أخرجه من قابس فكتب بالهزيمة إلى عبد الملك وسار متوجهاً إلى دمشق وريداً طمعاً أن يلحق به من يفلت من أسارى المسلمين ، فعاد إليه جواب عبد الملك يأمره أن يقيم حيث وافاه كتابه وألا يبرح منه فوافاه الكتاب ببرقة فأقام هناك^(٣) وابتنى بها القصور والمعروفة به إلى الآن ، وهي على ثلاث مراحل من مصراته إلى الجنوب ، وأقام هناك إلى أن وصل إليه المدد من قبل عبد الملك فعاد إلى أفريقية ، وكانت الكاهنة أخذت في قطع الشجر وقطير المياه لتزهدهم في أفريقية . ولم يزل حتى نازها والتقى الجنندان حتى ظن أنه الفناء الأكبر ، فكانت لحسان عليها وتبعها حتى قتلها عند البئر المعروفة المسوبة إليها وعقد لابنتها على البربر .

وكان الشيخ أبو عثمان هذا زاهداً فاضلاً منقطعاً إلى الله تعالى وظهرت بركاته حتى عرف بالاستجاب . وكان له بالمسجد الذي كان به خارج المدينة قضية مشهورة : وذلك أنه كان ذات يوم جالساً في المسجد على عادته ، فسمع نخته دويماً عظيماً اهتز له المسجد ، فخرج بعض من كان معه لاستخبار ذلك ، فوجد شخصاً يقطع الحجارة من كهف تحت المسجد فتناه عن ذلك فلم يفتنه ، فرجع إلى الشيخ

(١) قال في المعجم : لجم بالتحريك قلعة بأفريقية قرية من المدينة حصينة جداً

(٢) قال في المعجم قتل بدرنة هو وجماعة من المسلمين سنة ٧٦ وقيورم . مروفة أهولانزال تعرف بقيور الصحابة وتقع في جنوبي البلد داخل السور بمحطة بونصور . وقال في الأصلية : زهير بن قيس البلوي ، قال ابن يونس : يقال إن له صحبة شهد فتح مصر وقتله الروم ببرقة سنة ٧٦ له

(٣) وكانت ثلثه خمس سنين . أما هذه القصور فلم يبق منها إلا انتقاضها تحت التراب ، ويسمى هذا المكان اليوم « محمد حسان »

فأخبره ، فترى الشيخ اليه وقال له : اتق الله فان فعلك زلزل المسجد ، فأجابته : ارجع أيها الشيخ الى مسجدك فان الوالي أمرني بهذا ، فقال الشيخ لو أمرك الوالي بهدم المسجد أكنت تهدمه ؟ فقال نعم ، لو أمرني لفعلت . فرجع الشيخ الى المسجد وقال : اللهم احصد عمره ، فمجرد استقرار الشيخ في المسجد سقط جزء من ذلك الكهف على الرجل فقتله .

وقال الشيخ أبو الخشاب القناضي رحمه الله تعالى : خرجت مع الفقيه أبي الحسن بن النضر من طرابلس لزيارة الفقيه أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى والسماع عليه ، فبينما نحن عنده يوماً اذ تحدث أبو الحسن فقال : أراد الشيخ أبو همام مرة الحج ، فاتفق مع جماعة من اخوانه أهل الدين والفضل وكنيت معهم ، فخرجنا مع الوحدة وقطعنا صدرأ من الطريق وأقمنا ثلاثاً لم نطعم ، فأنى الشيخ أبو عثمان الى ربوة فسح وجهها بيده وجعل يأخذ ترابها ويضعه في اناء كان في يده ثم تراه بشيء من ماء كان معه وقرأ عليه أو سمى ، وقال لنا : معوا الله واكلوا ، قال فجعلنا نأكل وتطعمنا منه طعم السويق . قال فأطرق الشيخ أبو محمد بن أبي زيد ساعة ثم رفع رأسه وقال : هذا داخل في الامكان سيما وقد ذكرتم انكم أقمتم ثلاثاً لم تطعموا ، وقرأ قوله تعالى « آمن يجب المضطر اذا دنا » .

ولما رجع المؤدب محرز بن خلف من الحج الى تونس سأله أهلها : من رأيت في طريقك من الصالحين ؟ فقال : رأيت بطرابلس رجلاً وامرأة . أما الرجل فأبو عثمان الحسائي ، وأما المرأة فهـ « ممدونة » و « ممدونة » هذه كانت من أفضل نساء العالمين وأكثرن صلاحاً ، وكانت تسكن مسجد الشيخ الشعاب . وكان أبو نزار البرقي يعتقد بركتها ويكثر من زيارتها .

﴿ الاستاذ أبو الحسن علي بن احمد الخطيب ﴾

ومن الجنيديين بها أبو الحسن علي بن احمد بن الخطيب الطرابلسي كان يسكن بمسجد المجاز لزم سكنه أربعين سنة : كان فقيهاً صالحاً عالماً في الفقه والفرائض والشروط^(١) . وكان زاهداً يدعو الى الله تعالى ، أقم أربعين سنة لم يضحك ، ونحواً من خمسين سنة لم يحلف يمينا ، وقال له ابن أخيه عند ما أملى وصيته : أنسيت الكفارة ؟ فقال : لو لا أنني في الموت ما أخبرتك ، ما حلفت يمينا الا بالله منذ كذا وكذا محققا ولا مبطلا ، وما علمت أن علي يمينا أ كفرها . وقد مثل سحنون بن سعيد لما رجع لأفريقية عن الصالحين ، فقال رأيت بطوا ابا سرجالا ما الفضيل بن عياض أفضل منهم^(٢) ، والفضيل بن عياض هذا خراساني من ناحية مرو . قيل انه ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد ومات بمكة سنة سبع وثمانين ومائة

﴿ الاستاذ العلامة الشيخ احمد زروق ﴾

وأما اختيار الزروق لها فقامته بها الى أن توفي ، واتخاذها إياها وطناً أقوى دليل على ذلك .

وهو الفقيه العلامة العارف بالله تعالى الامام الاوحد الحبر الفهامة الجامع بين الشريعة والحقيقة ، صاحب التصانيف المفيدة ، أبو العباس احمد بن احمد ابن محمد بن عيسى البرنومسي الفاسي عرف بزروق ، لقب معناه غير قائم به ، وإنما هو لقب لجده فاستمر الوصف لعقبه كما هو شأن انتقال الألقاب من الاصول الى

(١) ما يتعلق بكتابة الوثائق . ويقال له : آتونيقات الشرعية

(٢) قال في تهذيب التهذيب : فضيل بن عياض بن مسعود بن شر التميمي البربري ابو علي الخراساني ولد بخراسان بكنورة ابيورد ، وتقدم السكونة وهو كبير ، فسمع الحديث وانتقل الى مكة فنزلها الى أن مات بها أول سنة ١٨٧ . وكان ثقة فاسلاً عادداً ورطاً . قال هارون الرشيد : مارا بيت من العلماء احبب من مالك ولا أروع من الفضيل . ١٨١

الفروع . و برنوس بموحدة مفتوحة ثم راء مهمله ثم فون مضمومة بعدها واو
وسين مهمله ، قبيلة من العرب تسكن أرض المغرب بجهات فاس ، وزرُوق
بزاي معجمة مفتوحة ثم راء مشددة مضمومة بعدها واو وقاف آخر الحروف .
وقد ذكر سيدي زرُوق في رحلته أن نسبه يتصل بالمصطفى ﷺ من جهة أم
جده . قل ولكن لم أحقق ذلك لموت أبي في مبدأ نشأتي . وشرف المرء انما
هو في سلامة دينه ، ولا شرف أكرم من تقوى الله . ان أكرمكم عند الله
أتقاكم . اهـ

ولدرضي الله عنه ثامن عشر المحرم سنة ست وأربعين وثمانمائة عند
طلوع الشمس . توفيت أمه ثالث ولادته ، وأبوه خامسها ، وعمه يقربه . فسا
استتم سبعا وله غير الله مستنداً ، فكانت مدة عمره أربعاً وخمسين عاماً شغلها
بالتعلم والتعليم . تفقه بالمغرب ثم نالته محنة فارتحل عنه الى مصر ولقي بها الشيخ
أبا العباس الحضرمي اليمني ، وعنه ورث السر ، وألف توالييف عديدة مفيدة
في الفقه وطريق القوم : ألف على الحكم لابن عطاء الله ستة عشر شرحاً وفتت
على السادس عشر بخطه ، وقال في آخره هذا تمام الستة عشر شرحاً . وشرح
رسالة ابن أبي زيد في الفقه شرحاً حافلاً مفيداً محرراً النقل قرأت أكثره بخط
يده . وشرح منظومة الوغليسي والارشاد في الفقه ، ومنظومة ابن البناء ،
وابتداً شرحاً على سفينة النجاة وظيفته ، وله كتاب الحوادث والبدع ، وهو
كتاب أجاد فيه ونقل أقوال العلماء في البدع وحكم مرتكبها ، وله القواعد في
أصول الطريقة ، والسكناس والرحلة ، وكتب كثيرة ، رضي الله عنه ونفعنا به
كان زاهداً فاضلاً منقطعاً الى الله سبحانه وته الى عارفاه دالاً عليه . له همة عالية
تخرج عليه جماعة وانتفع به الناس شرقاً وغرباً . وله بركات ظاهرة وكرامات
باهرة في الحياة وبعد المات

حدثني المار ف بالله تعالى المحقق العلامة شيخنا سيدي محمد العياشي قال :
حدثنا المار ف بالله سيدي محمد النبي ، قال : لما توجهنا الى أرض المغرب ونزلنا
برقة سألنا الله تعالى ببركته أن يجعلنا في جواره ، لما تقرر عندنا أن زروقا له
البيد العليا في أرض المغرب بعد موته ، قال فلم نزل في أمن وسعة الى أن حللنا
مدينة فاس وتوجهنا الى أرض السودان ، فلما توغلنا فيه أصابنا حر شديد ولم
يكن معنا من الماء شيء فسالنا الله تعالى ببركته ، فبينما نحن في كرب واذا بداب^(١)
عليه قرب ماء ومعه سائق حتى دنا منا وقال خذوا لستم يجواردي من برقة
وعندل هذا حدثني عبد الله بن أبي بكر المصراي البلالي ، قال : خرجنا
من أرض فزان ومعنا رفقة وأدخلت نفسي في جوار الشيخ ، فبينما نحن ذات ليلة
اذ حدثني نفسي باعتزال الرفقة والمبيت عنها في جهة ففعلت فما فجأني آخر الليل
الاقطاع الطريق يوقعون برفقتي شرأ ، قال : ففررت بلا زاد ولا ماء ولا خبيرة
لى بالطريق ، وكانت تلك الارض قفرة لا يهتدي لطرقتها الا خبير ماهر ، وقال
وبقيت ليلي وأنا أصمم قنلا يقول عن يمينك فاذا أوغلت في الين قال عن شمالك
حتى أصبحت ، فرأيت رجلا قصيراً يعضى أمامي فاذا هممت أن أدنو منه بعد
عني ، فاذا أخذت لنير القصد صاح بي الى جهة القصد الى أن أدخلني ودان يوم
ثالث الوقعة ولم أحس بألم تصب ولا عطش . وكان زمان فيظ . وبالجملة فكراماته
بعد موته أكثر من أن نحصى ، ولو تتبعنا ذلك لجمعنا فيه بحلباً ضخماً ، وفيما
ذكرناه كفاية . توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وثمانمائة ، ودفن في
دهراته ، وكان استوطنها وانخرط في سلك أهلها ، وكان استقراره بجهة تكيران
منها ، وتزوج من أهلها من أولاد الشيخ : الجعافرة ، وولد له منها وبقوا بعد
موته ثم لحقوا به عن قرب ، وليس له بها نسل ، ومقامه مشهور . وتولى خدمته

(١) يطلق الداب في لغة النراميين على الحمار ، والدابة على الا تان

وأوقفه قوم من أهل سمرت كانوا في سالف الزمن لهم تشبه بالصلحين ، ونشأ من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة وانبعوا الشهوات . وكان محل الشيخ معلوماً لقراءة القرآن العظيم يأوى اليه المتعلمون ، فلما غلب أولئك الخلف على الاوقف والفتوحات (١) ونجاذبوا ما بينهم انقطع منه الطالب والمطلوب ، الى أن وفق الله سبحانه وتعالى أمير المؤمنين احمد بن يوسف لرد النظر اليه فرفع أيدي مقتسمي الوقف عنه ، وولاه الفقيه الخير الصالح سيدي احمد بن عمر وأخاه سيدي دخيلا سنة أربع وأربعين ومائة وألف ، فماد المحل لشبه حاله الاولى ، وورد محصول الوقف لبيته ، وتتابع الطلاب والواردون . وفق الله الامير لثقل هذا (٢)

وأما كون علماءها عاملين بملهم فأمر خير خفي على من وقف على تاريخهم ، أو شهد حالهم ، فقد كان بها الفقيه أبو الحسن بن النمر وأبو الحسن علي بن احمد ابن الخطيب ، وشيخنا المعارف بالله تعالى سيدي احمد زروق ، وقد تقدم ذكرهم

﴿ الامام الحافظ الشيخ ابراهيم بن اسماعيل الاجداني ﴾

وكان بها الامام الحافظ الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن احمد بن عبد الله الاجداني الاواني الطرابلسي ، كان من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم : كلاماً ، وفقهاً ، ونحواً ، ولغة ، وحروفاً ، نظماً ونثراً ، وله تأليف جليلة وأسئلة مفيدة في الفقه وغيره : فمن تواليفه كتاب كفاية المتحفظ ، وكتابات في العروض صغير وكبير وكتاب الرد على أبي حفص في تثقيف اللسان ، وشرح ما آخره ياء من الاسماء وبيان اعتلال هذه الياء . استوفى فيه جميع أحكامها على اختلاف أحوالها من تصغير وتكبير وغير ذلك

(١) بين الفتوحات المذكور وما يتصدق به على روح الميت أو يوضع على قبره من الزارين

(٢) بيضاء الاصل يسع اربعة سطور

ولما استوفى فيه ذلك استيفاءً جليلاً تعرض فيه لشرح مقاطع الياء الواقعة في
سورة مريم لاشتغالها على كثير من تلك الأحكام ، فجاء هذا التأليف في غاية
الافادة والتحقيق . وله كتاب مختصر في علم الانساب ، وآخر مختصر في الانواء
على مذهب العرب ، ورسالة الحول لعرب عن آداب وحفظ عزيز

وكان سبب تأليفها أنه حضر يوماً عند قاضي البلد أبي محمد عبد الله بن ابراهيم
ابن هانئ الطرابلسي فحكّم بحكمٍ أخطأ فيه ، فرد عليه الفقيه فزجره وقال اسكت
يا حول ، فما استدعيت ولا استنيت ، فألف تلك الرسالة . واختصر كتاب نسب
قريش لابن عبد الله الزبير بن أبي بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن
عبد الله بن الزبير بن العوام رحمه الله تعالى

قال التيجاني : وحسبك بهذا التأليف علماً وفائدة . وقد مدح هذا الكتاب
الشيخ أبو الحسن بن مغيث بقوله : هو كتاب عجب لا كتاب نسب ، وقد
أدخل أبو اسحاق فيه من حفظه زوائد نشتغل على فوائده عليه . ولم تكن له
رحلة عن طرابلس الى غيرها ، وقد سئل : أي لك هذا العلم ولم تره ؟ فقال
اكتسبته من بابي هوارة وزناتة ، وهما بابان من أبواب البلد : الاول من شريقها ،
والثاني من قريبتها ، نسبا الى من نزل بهما في سالف الزمن [من قبيلتي زناتة
وهوارة] . وهذا منه اشارة الى أن ما استفادته من العلوم إنما كان بلقاء الوافد
عليها من الغرب أو الشرق

وكان له رضى الله تعالى عنه اعتناء بقاء الوفود وكرامتهم ، ولم أقف على
تاريخ وفاته

✽ الامام الحافظ الشيخ عبد العزيز أبو فارس ✽

ومن كان بها من العلماء الحفاظ الامام أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم

ابن عبد السلام بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيدة . كان فقيها حافظا ، حاز من العلوم الاصولية والفروعية الغاية واقتنها وهو سبأى النسب ومولده بطرابلس سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، وتفته بالتماضي أبى موسى ابن عمران الطرابلسي وارتحل الى الحج سنة ثلاث وسبعمائة

﴿الاستاذ أبو موسى بن عمران الهوارى﴾

وكان شيخه أبو موسى الهوارى المتقدم الذكر فقيها عالماً تولى القضاء بطرابلس نيافا وثلاثين سنة واستن فيه بسنة أهل الفضل والعدل وكان رضي الله عنه ذا أخلاق جميلة وسيرة حميدة مشتهرا بالعدل ، وبذلك أرسل له الخليفة الحفصى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فوصله بتونس فولاه القضاء بها وأقام نيافا وعشرين شهراً ثم توفى رحمه الله تعالى سنة ستين وسبعمائة

﴿الاستاذ الشيخ أبو محمد بن أبى الدنيا﴾

ومن أشياخه أبو محمد بن أبى الدنيا المتقدم الذكر ، كانت له رحمة من طرابلس الى المشرق في طلب العلم فقضى فريضة الحج وادرك الريفي والصفراوي وأخذ عنهما ، وارتحل الى تونس في مدة الامير أبى زكريا ابن أبى حفص فاقام بها زمنا ثم عاد الى بلده طرابلس ، واستدعاه الامير كما ذكرنا فولاه قضاء الجماعة والانكحة والخطابة بالجامع الاعظم . وله تصانيف كثيرة منها العقيدة الديلية وشرحها وجلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس ، وكتاب مذكر الفؤاد في الحفص على الجهاد

وكان رحمه الله تعالى أديباً شاعراً ، ومن شعره قوله :

طرق السلامة والفلاح قناعة
يكفيه أنساً أن يكون أنيسه
وإذا دأت عيناه انسانا آنى
وقلما يتفك صاحب مقول
تصوى وتكتب والجهول مغفل
وأظهر له الخليفة المستنصر الخفصى
يستطفه بهذه الايات :

أمولاي لا زلم تيلون عبدكم
ولم يبق الا العفو وهو أجل ما
فما العيش في الدنيا بغير رضاكم
وقد كدر الاعراض صفو . ميشقي
ولى أمل يقضى بففران ذاتي
بقيت تزيد الملك عزا ورقعة
فلا يخطئني منك هفو ورحمة
وصلى اله العرش بدأ وهودة
وتوفي بتونس رحمه الله تعالى يوم الجمعة امان بقين من ربيع الاول من
سنه أربع وثمانين وستمائة .

﴿ الشيخ أبو الحسن الهوارى ﴾

ومن كان بها من العلماء الفقيه أبو الحسن بن موسى بن عمران الهوارى (١)

(١) ذكره ابن خلبون هنا باسم أبو الحسن بن موسى بن عمران الهوارى . وقد كتبناه ، عمران ، بدل معمر بناء على ما ذكره في صفحة ١٧٥ في ترجمة ابن فارس فقال : وثقه بالقاضي أبي موسى بن عمران الطرابلسى . وأبو موسى هذا هو أخو المترجم له كما ذكره المؤلف . وقد ذكره الثائب في تاريخه بقوله : أبو موسى بن عمران الهوارى

الطرابلسي أحد أرباب الرتب الجامعين بين رياسة الفقه والأدب ، ولد بطرابلس سنة ست وسائة وقرأ بها يسيراً ثم توجه مع أخيه القاضي أبي موسى المتقدم المذكور الى المهديّة للقراءة على أبي موسى زكرياء البوني فلزمه مدة ثم عاد أبو موسى الى طرابلس ولزم البوني أبو الحسن وتفقّه عليه واختص به اختصاصاً كبيراً ، فلما كانت فتنة أبي حمراء بالمهديّة وبعث الشيخ أبو علي ابن أبي موسى بن أبي حفص والى المدينة اذ ذاك بالتحديد من أبي زكريا البوني وأبي حمراء وتوجه الامر من الخليفة له بقتل أبي حمراء وازعاج البوني الى الحضرة وقتل أبا حمراء وحمل البوني على حمار ومعه خواص أصحابه ، فذكر من رأى ذلك : ان البوني تمثل عند اشرافه على الحضرة بقوله :

هكذا في البر يفعل بي كيف لو زلت بي القدم

وكان ممن وصل معه أبو الحسن بن عمران الطرابلسي ثم أدركت الامير شفقة على البوني فأعاده الى وطنه وأقام ابن عمران بالحضرة . وكان فقيهاً مفوهاً لسناً خطيباً غير أنه كان في لسانه فضول كثير ، كثير امتحانه به والتعرض له بسببه . وتوفي في دولة الخليفة المستنصر رحمه الله تعالى . وكان أديباً هاقلاً وله شعر كثير حدث عنه أبو يعقوب يوسف بن أبي موسى ابن أخيه ، قال : كنا جلوساً بين يديه فأشده بعض من حضر بيتين لابن الوليد سليمان بن خلف الباجي وهما :

مضى زمن المكارم والكرام سقاها الله من صوب الغمام

وكان البر فعلا دون قول نصار البر نطقاً بالكلام

قال فأشدهنا رحمه الله تعالى لنفسه منمماً عليهما بقوله :

وزال النطق حتى لست تلقي فنى يسخر بمرجوع السلام

وزال الامر حتى ليس الا سخي بالاذى أو باللام

وكان الخليفة تغير عليه مرة ، فثقفه بدار الاشراف . وكان ممن ثقف
 معه أبو عبد الله محمد بن يحيى الفضيلي فحصل بينهما اتصال وود ، فاتفق أن سرح
 ابن همران قبل الفضيلي فهناه الفضيلي بذلك وأنشأ مرتجلا :

لئن سرفني فك الاسارى من الحبس فقد ساءني قدي لما فيه من أنسى
 ولو انني خيَّرت فيما أريده لا كُثرت قدي سراحكهن نفسي
 وفي مدة لزومه بيته للحفوة التي كانت له من الخليفة قدم صديق له من السفر
 ممن تلزمه زيارته فكتب اليه :

كتبتُ ولو لا الحكم كنت اليكم من الشوق في متن الرياح أطير
 واني أسير أن أسير مسلماً عليكم على وجهي وذلك يسير
 وما في صحيح العتب من خالص الوفا قسيان فيه غيبة وحضور
 وله رحمه الله تعالى في معافاة الخليفة من مرض كان به :

الله أنعم بعد البؤس بالفرج يأزمة الدهر عند الشدة انفرجي ()

وله رحمه الله تعالى في مداعبة أبي المجد الصوفي لواو حه بنكاح العجائز :
 أبا المجد كم تقوى بحب العجائز وذلك في شرع النهى غير جزر
 كلفت بأطلال عا الدهرُ رعبها فأصبحت كبنى الفوز بين المفاوز
 وله أيضاً رحمه الله تعالى :

آها نردد لو تشفى لنا كُربا وبالتعلات تحي لو قضت اربا
 وبالأماني ينال القلبُ بفيته وقد تحقق من معتادها كذبا
 يرتاح ان لاح برق من جهامتها وما تراءى له الا وقد ذهبها

يسرُّ إن مدَّ يوماً ما حبل منيته
 أن عز ما يبتغيه فهو في دهش
 وارحنه لقلب كم اجشمه
 وم يعاني ملأت بأيسرها
 وم يلجج في أفكاره لججاً
 وم تهب صوم من تنفه
 استغفر الله لا أشكو الزمان ولا
 ولا أمن لحظ منه أهورني
 وما تطاول الا جذت واقضيا
 ويختشي الفقر ان ما يبتغي قربا
 أمراً يذيب من الاصلاد ماصليا
 يهون الامر من دنياه ماصعبا
 سودا توجع في أحشائها لها
 لو استمرت لما هبت نسيم صبا
 أيدى اذا طرقت احداثه رهيا
 ولا أمر اذا ما المني انسكبا^(١)

هو الشيخ عبد الوهاب القيسي

ومن الاويسيين بالدينة المذكورة الشيخ عبد الوهاب القيسي رأى النبي
 ﷺ نحواً من أربعائة مرة ، وكان يشاور النبي ﷺ في أكثر أموره ،
 وقبره الآن بها مشهور ولم يعلم قبر أحد ممن ذكرنا ، ولم يبق موضع سواه
 هو والشيخ الشاب . وموجب ذلك اسئلاه العد وعليها وطول اقامته بها

هو الاستاذ أبو عبد الله محمد بن احمد بن الامام

ومن استوطنها من العلماء الاغراب بعد فتحها الاخير الامام العاد أبو حيد
 الله محمد بن أحمد بن الامام ، استوطنها وقال بها خيراً الى أن توفي سنة (٢)
 كان رحمه الله قتيماً حافظاً منقطعاً الى الله سبحانه وتعالى ، ولم يشتم عليه
 من الدنيا بشيء ، ولم يتخذ ولداً ولا أهلاً . وكان رحمه الله أكثر ثقة المطامع

(١) - من هنا ت حده ان لدم وده

(٢) - لا - ح - ١٩

والذكر . وشرح الشيخ خليل شرحاً حافلاً وقفتُ على قطعة منه أجاد فيها .
وذكر لي الأخ سيدي محمد بن مصطفى الماهزي أنه لم يكمله

﴿ الشيخ أبو العباس أحمد بن ثابت ﴾

والفقيه الصالح الزاهد العالم أبو العباس أحمد بن ثابت ، تولى بها مسجداً ما
بين البئر الشامية والحمام الاكبر ، وبه كان يقرأ الدرس ، وتفقه به جماعة من
أهل البلد ، منهم الفقيه المفتي أبو عبد الله محمد بن محمد بن مقبل . وله رحلة من
بلده الى الازهر ثم الى الحج ، ثم آب منه واستوطن طرابلس ، ولم يزل بها الى
تاريخ هذا . وقد طعن في السن وانقطع عن التدريس

﴿ الشيخ أبو العباس أحمد النصرى ﴾

ومن استوطنها من الافاضل أبو العباس أحمد النصرى ، كان فقيهاً فاضلاً
خيراً تصدى للتدريس الى أن توفى بها سنة تسع وتسعين و الف

﴿ الشيخ أبو العباس أحمد القروى ﴾

والفقيه أبو العباس أحمد القروى ، كان فقيهاً عالماً أديباً توفى سنة ثلاث
عشرة ومائة و الف

﴿ الاستاذ أبو محمد عبد الله بن يحيى السوسى ﴾

والفقيه العالم العلامة الدرّك الفهامة ، الجامع بين المنقول والمقول ، شيخنا
أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد العزيز السوسى الجلىحى الصقالى الادريسي ،
نشأ بها وبالصقل منها ، وارتحل عنها لمرأ كش ، وحضر بها مجلس الفقيه أحمد
المطار فى الفقه ومجلس الفقيه أحمد بن ابراهيم السوسى ، وقرأ فى أحكام القرآن

وبعض رواياته على الاستاذ سيدي أحمد أكرز : بهمة بعد ما كلف وزاي
مضمومة مشددة - نسبة لقبيلة من قبائل حاحا ، وانتقل منها الى السوس ولقي
بها الأفاضل ، وانتقل منها لدرعة واجتمع بالشيخ العارف بالله تعالى العالم
الرباني سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي والفقير العالم سيدي أحمد الهشتوكي
والعالم العارف سيدي عبد الكريم التدفي - نسبة الى تدفة إحدى قبائل السوس -
وعدة أفاضل وأخذ عنهم ، وانتقل منها لتفلات ولقي بها الفقير العارف بالله
حزة بن عبد الله بن سالم العياشي صاحب الرحلة ، وأخذ عنه النحو والتصريف
وسمع منه صحيح البخاري ، وانتقل منها الى تلمسان ولقي بها المشايخ وأخذ عنهم
الفتحة : رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، وعقائد العارف بالله تعالى سيدي محمد
السنوسي ، وانتقل منها الى الجامع الأزهر سنة ست ومائة والف . ولقي به الشيخ
الناضل العالم أبا عبد الله محمد النشري ، والشيخ أحمد ابن الفقير الشافعي ، وشيخنا
الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي الشافعي ، والشيخ أحمد البقري ، والشيخ المختار
التلمساني ، والشيخ الألفيحي ، والشيخ حسن الشرابي الحنفي ، وتفقه بهم في
النحو والتصريف وأخذ عنهم الفقه والتفسير والكتب الستة وتفقه به جماعة
ولم يزل الى تاريخ هذا متصدرا للاقراء ، أخذت عنه قطعة من البيضاوي ،
ومسائل من المضد على مختصر ابن الحاجب أبقاه الله تعالى للنفع آمين

﴿الاستاذ الشيخ أحمد المكني﴾

ومر تفقه بها وله بها الشيخ الفقيه الصالح سيدي أحمد المكني . كان رحمه
الله تعالى صالحا محاب الدعوة محترما موقرا مهابا ، تولى الافتاء بها وسلك فيه سنن
أهل العدل ، كان متجافيا عن الظلمة وأعوانهم ، لا تأخذه في الحق لومة لائم
ولا يبالي اذا رأى عظيم منكر بتغييره ، ولا يتوقف فيه على مراجعة اولي الامر
وإذا بلغهم ذلك لم يسهم الا مساعفة الشيخ ولد رحمه الله تعالى سنة اثنين وأربعين
والف وتوفي رحمه الله تعالى سنة احدى ومائة والف

﴿ الاستاذ الشيخ محمد بن مقبل ﴾

ومن تفقه بها وولد بها الشيخ العالم الصالح سيدي محمد بن مقبل الكبير تفقه
بسيدي أحمد المكي وغيره من الوفود القادمين على البلد ، وتولى الافتاء بها
عند كبر سن الشيخ سيدي أحمد المكي وصاهره الشيخ بابنته . ولد رحمه الله سنة
أربع وخمسين و الف . وتوفي ليلة الأحد لتسع خلون من جمادى الأولى سنة
احدى ومائة و الف . كان رحمه الله تعالى فقيها دينا شاعراً مجيداً فيه ، ومن شعره
يخاطب سيدي محمد بن الامام رحمه الله تعالى لما وفد الى طرابلس قوله :

اند لاح في أفق الذكاء ذكاه	به آجباب عن وجه العريص غطاء
وما هو الا الواحد الجيهن الذي	عليه بمضمار الفحول لسؤاه
إمام همام قد علا منبر العلا	فأنجم من تبيانه البلغاء
رئيس له سلطان كل رياسة	اذا ما تراهى قمر العلماء
هو البارح البحر العباب محمد	مام له باين الامام جلاء
اليه مقاليد البراعة سلمت	فحق لها فخر به وعلاء
لعلائفه جات فكم من أفاضل	أمائل أعيان لها خطباء
ومنها شهوس كالغزاة مسبل	عليها حجاب العز وهي ضياء
وتؤنس في دار المدجا ورمها	ووصل الملاح الغائيات سواء
اذا لمحت تضى بلدغة لحظها	وفي شهدها للذائنين شفاء
فهذا كتاب كاشف السر كاسف	لتقصيره والمعجز فيه وفاء
فلا زلت يابحر الفوائد لا فظا	تفائس منها تنفق الادياء

﴿ الاستاذ الشيخ أحمد بن عيسى الغرياني ﴾

ومن ولد بها وتفقه العالم الخبير الدين سيدي أحمد بن عيسى الغرياني . وكان

رحمه الله تعالى شديداً في الحق

حكى أنه لما وقف عثمان باشا أملاكه على بنيه أحضر للعلماء وسألهم عن صحة الوقف فافتوه بالصحة ، فأمرهم بالنزول فنزلوا ^(١) فلما حضر الفقيه المذكور أمره بالنزول والمواقفة فأبى عليه ، فسأله عن حكمه فأنتاه بالبطلان ، والحق ما قال فقد صرح شهاب الدين القرافي رحمه الله تعالى في فروقه ببطلان ذلك ، ولحقه الاذى من عدم مخالفته النصوص مراراً وسجن على ذلك ، ولم يتوصلا اليه بشيء ، فجزاه الله عن دينه خيراً . ولد رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وألف وتوفي رحمه الله تعالى ضحوة الاثني عشر خلون من شعبان سنة ثمان ومائة وألف

﴿ الاستاذ الشيخ محمد بن مساهل ﴾

ومن ولد بها وكان من الأخيار وتولى الافتاء وسار فيه رحمه الله تعالى سير العلماء العاملين الفقيه العالم الصالح سيدي محمد بن مساهل توفي ليلة الجمعة فأنحدر رمضان سنة سبع وسبعين وألف . وكان رحمه الله فاضلاً له تعلق زائد بالوفود القادمة على البلد لاقاء أهل الخير ، وانتفع به جماعة ، وتفقه به سيدي أحمد المكتبي وغيره وأخذ عنه سيدي عبد الله بن سالم العياشي صاحب الرحلة ، وكانت له رحلة مع سيدي محمد الصيد

حكى عنه أنه مكث أربعين سنة يصلي الجمعة بمسجده . وله رحمه الله تعالى قدم مدق مع الله سبحانه وتعالى ، وكانت توليته الافتاء أواخر المحرم سنة سبع وثلاثين وألف

﴿ الاستاذ الشيخ عبد الله بن أحمد بن غلبون ﴾

ومن ولد بها في عملها وهو من أهلها الفقيه الصالح الشيخ سيدي عبد الله بن

(١) رول الوقف . هكذا جرى به العرف عما الخطاسين

أحمد بن عبد الرحمن بن غلبون نشأ بعصراته ، وأخذ من سيدي الشيخ أحمد المكفي ، وارتحل لجرية وأخذ من الفقيه الفاضل الشيخ سيدي ابراهيم الجني رحمه الله ، وارتحل عنها الى مصر وأخذ من العارف بالله تعالى أبي عبد الله الشيخ سيدي محمد الخرشبي ، وعن الشيخ العالم الشيخ عبد الباقي الزرقاني رحمه الله تعالى وجماعة . كان رحمه الله تعالى كريماً حلماً يتقي ما يشين عرضه

حكى أنه كان رحمه الله تعالى بدمرة ووجد عليه فقهاؤها من اقبال الامير محمد ابن محمود باي عليه ، فأجمع أمرهم على أن يعضبوه باغرامه شيئاً من الدنيا ، فبدروا لتلك حيلة بأن بعثوا لامرأة من بنات الخطأ^(١) بالبلد وأمروها أن تأتيه وهو بالديوان وتناديه وتدعي عليه بخمسين أصلاً نياً أمانة وضعتها عنده ، ووصفوه لها فضلت ، فلما أتته علم من ذكائه رحمه الله تعالى أنها خديعة قصدوه بها فبادر بالاقرار لها بذلك ، واستلف ذلك ودفعه لها ولم يقضيه ذلك ، وهذا رحمه الله تعالى عن فاعل ذلك عند ارادة الامير محمد باي الانتقام منه . توفي في صفر سنة خمس عشرة ومائة وألف

﴿ الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري ﴾

وعمن كان بها من العلماء من أهلها الشيخ عبد السلام بن عثمان بتاجوراه وفتاه سيدي محمد بن مقبل وغيره من أهل البلد ولم تكن له رحلة عنها . وألف كتاباً في الفتاوي سماه «التذليل» زعم أنه ذيل بالمعيار . وجمع فيه من الفسح والسمن شيئاً لم يسبق به . وكتاباً سماه «فتح العليم» في مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم تعرض فيه لما في البلد من صالحين ، واعتمد في وفاتهم وخصائصهم على أخبار هوام المتفكرة^(٢) ، وله حيل في المعاملات ثمل على عدم اتقائه

(١) من المومسات (٢) م المتسبون الى الطرقي . ويسمون حندا ، بالفتراء

كان يميل الى نصرة الطائفة المتفجرة المبتدعة ، ويحتج لبدعهم بما لا يشك في بطلانه من له أدنى مسكة من عقل . واياه اعتمدت الفرقة المتفجرة ، حتى أنهم ان احتج عليهم بحديث أو آية طرأوا بالشيخ المذكور . وله كتابة على المختصر زعم أنه اختصر بها شرح الشيخ عبد الباقي عليه . توفي عفا الله عنه ليلة الثلاثاء خمس خلون من شوال سنة تسع وثلاثين ومائة و ألف
ونحو نحوه في الانتصار لمتفجرة الوقت تلميذه الشيخ محمد النعاس وشديده على تلك الطريقة ، وحث عوام الناس وضعفاء العقول عليها ، وجعل لهم مرغبات من حكايات الصالحين ، وفي طيها هلاكهم وهلاك الدين
وقد بلغه عني أي أنكر صنيعهم ، وكنت قدمت على حضرة أمير المؤمنين لمصلحة عنيت ، وأقتت بجواره مدة ، وبلغه أقامتي فأثاني بعض أصحابه وأخبرني بدعوة الشيخ لي ، فوعده بالمرور عليه أن أبت الى أهلي ، فأثانا بعد وداع أمير المؤمنين واستحسني في الحضور عند الشيخ ، فهيسأت رواحي وأمرتها بالتقدم أمامي والمرور على الشيخ فإن رأوا منه بشاشة أقاموا الى أن ألحق بهم والاطعنوا فلما قربوا من منزله [رأوا منه عدم ^(١)] البشاشة فظعنوا ، وتخلفت بالمدينة لوداع قريب من الاخوان الى أن بقي للغروب نحو الحسة عشر درجة وسرت ، فالتقينا بأخي سيد عبد الله الشاب الصيدي فدعانا لطعام فلم تسعنا مخالفت ، فتناولنا طعامه وصلينا المغرب وسرنا فمررنا بالمدرسة التاجورية التي بها الطلبة المشتغلون عليه ، فوجدناه خلف لنا صاحبه محمد بن سالم رسول دعوتنا سابقاً ليأتي بنا الى المحل ، فأثيناه وأكرم مثوانا وأحسن نزلنا ، ووافق ذلك ليلة جمعة وبها كان اجتماعهم فأنزلنا بمحلهم الذي يجتمعون ، فلما صلينا العشاء دعانا لبيتنا وقرب اندطاماً ثم خرجنا منده لنعود الى محلنا ، فأمر بسراج لنا في محل آخر ، فدخلنا

(١) سياق "كلام يقضي هذه الزجاجة ، وفي الاصل يابض مكانها يسع ثلث

فوجدناه غير فسيح الساحة ، وغاب هنا الشيخ لترتيب المتفقرة مدة ، فرتبهم
وقدم ، فلما مكث واستقر به المجلس سأل عن الحال وبالغ في التلطف بنا . ثم
استهمني : هل ما بلغنا عنك من التعرض لتفقرتنا حق ؟ فأجبتته : هو كما بلغك
هني . وقلت : انك تعلم محبتي لكم واعتقادي فيكم الكثير . وأنت تعلم أن الدين
النصيحة ، وأنا الأيالة ضيفكم ويجواركم فحق عليكم نصحي بأن تبينوا لي
الامور ومستندكم في ذلك بحجة واضحة وهي قبولها ، أو تقبلوا بياني وحجتي
فتمدروني فيما أتكلم به فكان من جوابه : ان هذه طريقة الشيخ سيدي عبد
السلام ، فأجبتته أن ليس ذلك طريقته ، وحاشاه أن يفعل ذلك ، وعلى تقدير
فعله ذلك لا يقتدى به في ذلك اذ هو رجل مجذوب ذو أحوال لا يتعرض له في
خاصة نفسه ، ولا يسلم فعله لقتده . فأضرب عن ذلك وأخذ في الجدل ، فقال :
وما تنكر منا ؟ قلت : اجتماعكم لذكر ليلة الجمعة والاثنين بخصوصهما ، فقال :
هذه ليال فضلة ورد النص بتفضيلها ، قلت لهم ، وهل ورد نص في تخصيصها
بشيء من العبادات ؟ فقال لم أفق على شيء . قلت : أجمعت الامة على أنه لا يجوز
لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه . فسكت . قلت : أنه يتقدمون أن
صليكم هذا دين ؟ فأجاب : لولا الدين ما فعلناه . قلت : يم يثبت الدين ؟ فقال
بالتواتر : قلت سلمنا أن الشيخ المستندي اليه يسلم له ويقتدى به ، فن أثبت لكم
هذا عنه ؟ ومن روى هذه الطريقة عنه ؟ فلا بد أن تكون رواية الدين بالعدول
فقال : رواها شيخنا الشيخ سيدي علي الفرجاني . فأجبتته : هو أصل هذا الامر
ومؤسس قواعده وداعي الخلق اليه . فامتقع لونه ، فلما رأيت ذلك منه سألته :
هل يقبل قوله فيه أو شهادته ؟ فأجاب : لا يقبل فيه . فانتقل الى الشيخ أبي راوي
فأجبتته وأزمته بمثل الاول ، فأفتى فيه بالاول . ثم اهتدى الى الشيخ عبد السلام
ابن عيان بعد مدة واحتج بروايته : قلت : هو منسوب للعلم ومشتهر بالعدالة .

ففرح بذلك . فسألته : هل يفعل ذلك ؟ فأجاب : لا يفعل ذلك . قلت وهل هو راض به ؟ فأجاب نعم . قلت : ما حكم الله في شهادته فيه ؟ فقال : لا تقبل . قلت : حينئذ يجب عليكم الاقلاع . فاضرب عن كلامنا وأخذ يسأل عن المنكر من طريقهم ، قلت : أخذكم مالا ممن غلب عن جمعكم ليلة الاثنين والجمعة كرهاً ممن انتسب إليكم وتسمونه حقاً ، وأخذكم ممن فعل معصية مالا سوى ما شرع الله فيه . فقال : مستندنا في ذلك جواز التأديب بالمال . قلت : أنتم مالكيو المذهب ، ومذهب مالك خلاف ذلك . فقال نعم ، ولكن له وجه في الجملة . قلت إن جوز ذلك القائلُ به أعما جوز ذلك للإمام بشرط أن يضعه في بيت مال المسلمين إلى أن يتوب فيرجعه إليه . فقال : وأين الإمام ؟ قلت مذهب مالك يقول باطاعته بعد انعقاد البيعة ولو فاسقاً . فسكت . فكل آخرُ كلامه لي : هذه طريقة مشايخي لا يسعني تركها كأنه ما كانت . فن يومئذ زال ما كان عندي من أنصافه واتباعه الحق . هدانا الله وإياه إلى الصراط المستقيم آمين

﴿ الاستاذ الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الصادق ﴾

ومن كان بها من العلماء من عملها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الصادق بن أحمد بن عبد الصادق بن محمد بن عبد الله العبادي نسبة للعبيدة قبيلة من بني سليم . كان أولهم استوطن الحضراء من أرض فزان ، ثم انتقل إلى ساحل طرابلس واستوطنه ونشأ عنه خاق كثير ، وكانت له همة وسلوة ، ولقب بعض أولاده بالجبالية . وسبب ذلك أن عبد الله الجد المنسوب إليه كانت له أخوة ومحبة في الشيخ العارف بالله تعالى سيدي زروق ، فأتاه الشيخ المذكور زائراً ، وكانت له زوجة تعطل فاشتكى إلى الشيخ فكاشفه الشيخ بأنها تلة جبلاء فولدت له بلداً رسماء محمداً ولقب الناس بلقب الشيخ له تركا ويقال لذريته أولاد الجبل

والجبالي . ومنهم اكتسب الوصف أولاد محمد بن حموده لانهم أخوالهم حتى
قلب الوصف الآن عليهم

كان رحمه الله تعالى فقيهاً صالحاً ديناً يكره الابتداع في الدين ، له تواليف
عديدة في علم الكلام والفقه وكلام القوم ، شرح الصفري للشيخ سيدي محمد
السنوسي ، ومنظومة الشيخ عبد الواحد بن عاشر ، واختصر رسالة بن أبي زيد
وشرحه . وله منظومة في عيوب النفس وشرحها شرحين كبيراً وصغيراً . وله
تواليف في أسباب الغنى وشرح منظومة الشيخ عبد الغني بن عبد الرحمن بن
عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن الوليدي الفاسي في ما يجب على المكلف مرة
في العمر عينا ، وفي ما يجب على الكفاية . وألف كتاباً في البدع سماه « نعمة
الاخوان في الرد على فقراء الزمان » . وشرح منظومة الشيخ أبي عبد الله محمد
الصالح الأوجلي في التوحيد ، وله عدة تواليف . ونظم أصول الطريقة المنسوبة
للعارف بالله تعالى الشيخ زروق سماه « هداية المبيد الى الطريق المبتغي الحميد »
وشرحه .

كان رحمه الله تعالى يميل لجمع المسائل دون تحرير ، فكأمنه في ذلك فقال
قصدي حفظ الدين ونزل أقويل العلماء ، قاله تعالى يتقبل عمله ويحسن ثوابه .
توفي رحمه الله تعالى ثمان بقين من ربيع الاول يوم الاثنين بعد الظهر سنة ثمان
وثلاثين ومائه وألف تقمده الله تعالى برحمته آمين

✽ الاستاذ الشيخ احمد بن حسين بن سيد الناس ✽

ومن ولديها وهو من أهلها الشيخ الفقيه العالم العلامة ، التحرير الاديب
النجدي القنوي ، سيدي أحمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن

قائد بن أحمد بن علي بن سيد الناس . كان بيته بيت علم . ارتحل الى مصر ،
 ولقي بها الشيخ أحمد البشبيشي الكبير ، والشيخ سيدي محمد انطوشي والشيخ
 عبد الباقي ، والشيخ حسن الشرنبلالي و عدة أفاضل رحيم الله تعالى ، وتفقه
 بهم في كل العلوم ، وأخذ عنهم الحديث ، والتفسير ، والكلام ، واللغة ،
 والاصول ، والنحو ، والتصريف ، والقراءات ، والحكمة . وله رحمه الله تعالى
 القصائد المشهورة بالبلاغة . منها تجميعه العياضية في مدح خير البرية ، فاق فيه
 الاصل وغيره ، وله الرسائل المشهورة بالبلاغة والآداب السنية ، كالقائمة
 الثورية وغيرها . اختصر رحمه الله العززية نظماً رائقاً سالماً من الحشو ، وله منظومة
 في العقائد سماها « درة العقائد » سبعين بيتاً ، لم ير مثلها في سلاسة النظم
 وعضوبة اللفظ . أعربت عن علم عزيز ، وله منظومة في مذهب أبي حنيفة
 سماها « المعينه » كان رحمه الله تعالى علامة عصره فقيهاً في كل العلوم فني كل
 علم تكلم أجز غوله ، لم يصحبه حظ ، فقدم عليه من هو دونه للفتيا وكان ينشد
 عند رؤيته : يحسبه الجاهل ، البيت (١) وكان محسوداً على فضله . وقد مدحه
 الافاضل من أهل المشرق والمغرب بقرص القصائد . فما مدح به قول القائل :

يا فاضلاً فضله بين الوري ظهرا	وعاقلاً وهو بالسهول قد شهرا
ويا فقيهاً له في الفقه مرتبة	أبدى بها سرماً أخفى من اختصرا
وعلماً بتقارير الشفاء شفى	أمراض قلب الذي في درسه حضرا
وصح لما روى عنه مشافهة	صحيح من البحارى ، وازوى ، درراً
لقد حباك الله العرش جل بما	حباك مما به قد صرت مشتهرا
يا ابن الحسين جزاك الله مكرمة	أبديت في كل علم للوري عبرا
« هزبة الشاذلي » كانت منكرة	فعلتها فعلت قدراً على النظرا

(١) يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيخاً على كرمه معه

وفي المقامد أبديتم لمشتغل
كفالك في مذهب النعمان انظمكم
وكم مسائل قد كانت مشتتة
يا أيها العلم الفرد الذي افتخرت
دامت عليك من المولى نعمائه
ودتم قبلة للقاصدين ولا
بجاء أحد خير العالمين ومن
عليه والآل والأصحاب قاطبة
ولو تتبعنا ما مدحه به الأفاضل من أهل المشرق والمغرب نظماً لجمعنا من
ذلك ديواناً . وفي هذا كفاية . توفي رضي الله عنه ليلة السبت لليلتين خلطنا من شهر
رجب سنة ثلاث عشرة ومائة وألف

وأما كون أهلها يتركون التجارة وقت صلواتهم اشتعالاً بها فأمر أشهر من
أن يذكر ، ولم يزل منادي السلع ينادي عليها الى أن يسمع الأذان فيضرب
أمينهم حلقة الباب فاذا سمعوا ضربها افضوا الى الصلاة وتركوا المتجر
قال الناظم :

﴿ بها ملك اندي من السحب راحة وأرأف بالأغراب من والداتها ﴾

﴿ له همة تدعو لتأييد سنة بحفظ مبانيها وجمع رواياتها ﴾

أقول : الملك الممدوح هو أمير المؤمنين أحمد بن يوسف بن محمود بن
مصطفى القرمني نسبة الى القبيل المشهور بأرض الأناضول بيته بيت عز ومجد
مؤثر ، كان جده مصطفى كبير طائفة من الجنيد ، وقرأ مهابا ، وأبوه يوسف نشأ
عاملاً ، ولم يزل كذلك مهابا موقرا بدار الملك مشهوراً بها الى أن توفاه الله تعالى

وخلف أمير المؤمنين أحمد في رفاهية عيش وعلو همة ، ولاء خليل باشا عمل
 أيه على ساحل المنشية ، وكان يكرمه ويراعيه ، ولم يزل كذلك مهاجراً إلى
 أن أراد الله تعالى نقل الملك من يد إبراهيم ألب إلى محمد باي الملقب بابن الجبل
 فنظر أهل الديوان في البلد مع سابق الإرادة الأزلية ، فكان لاربعم عشرة خلون
 من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف . فزاد أمره وعلا شأنه .
 ولما قتل محمود أبو أميس ابن الجني غسدا وتولى موضعه وبايعه من بايعه على
 ضغينة توهم في أمير المؤمنين أحمد صلاحية الملك دونه ، فراد الفلك به ،
 فأرسله إلى غريان لبيطش به من فيها من الجند ، فراسله أهل الديوان من رؤساء
 العسكر وعامة الجند وأهل البلد بالقدوم عليهم ليبايعوه ، فقدم يوم الثلاثاء
 لاهدى عشرة خلون من جمادى [الآخرة] ^(١) سنة ثلاث وعشرين ومائة
 وألف ، فدخل السوق وبايعه من به ولم يختلف في بيعته من أهل البلد المنشية
 والساحل وأهل الديوان والمدينة ائمان لعلمهم بصلاحيته لما قلدوه من أمرهم
 دون غيره . وحاصر محمودا في المدينة يوماً ، وراسله أهل المدينة بالبيعة ومسكوا
 محموداً بواسطة حسونة الشريف ، وأدخلوا أمير المؤمنين المدينة وبايعه الناس
 وتمت له البيعة ، وقدمت عليه الوفود من أهل القرى والبوادي يبايعونه وأخذوا
 بنصرة الشريعة وأهلها وعقد مجلساً لحضور العلماء بين يديه لتصل المنصحة ،
 وأمر عماله أن يفعلوا كذلك ، ففعل البعض ، وبالغ في تعظيم العلماء وإكرامهم
 وفرض لهم في العطاء ، وزاد في إكرام أرباب البيوت القديمة وحمد الناس سيرته
 ولما مضت على بيعته عشر ليال خلع على يوسف باي وولاه دايماً ، وأنه
 بالقلعة ، وخرج عن المدينة وسكن بالمنشية . وكان ذلك في أواسط جمادى الأولى
 من السنة المذكورة

(١) بكر في أول رحلته إلى جند الأحرار

[وفي الحادي والعشرين من هذا الشهر ^(١)] قدم خليل باشا في أسطول من قبل السلطان والياً ، وأراد الدخول ، فحضر العلماء والروساء من أهل الوطن بين يدي أمير المؤمنين وأجمعوا على منعه من الدخول ، فأقلم إلى جهة الغرب في ثمانمائة مقاتل ونزل بزواردة قرية من عمل طرابلس يسكنها أخلاط من العرب والبرابر ^(٢) ، وأسكنوه وأنزلوه بها ، وبعث إلى الأعراب قدم عليه ابن فوير ومن تابعه على الفساد ، وتقدمت السفن فقدمت المدينة است خلون من شهر رجب من سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف . وزحف خليل بمن انضم إليه من الأعراب حتى نزل زواغة ، فجنّد له أمير المؤمنين عسكريه ، ووافته خيله المرزقة والمشطوعة والتقى الفريقان بزواغة ، فانكشفت الحرب عن خذلان خليل وقتل بزواغة « وهي مدينة قديمة المسماة بصيرة » ^(٣) يوم السبت لثلاث عشرة خلون من رجب سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ، وانصرفت بعد أن أقامت على المدينة نحو الخمسة عشر يوماً يراجعون الناس في قبول ولاية خليل ، وعامة الناس وخاصتهم يأبون قبولها . وكانت أقامت قبل اقلاصها به لتناحية زواره . ولما عادت بلا من أمت به توهم أمير المؤمنين إيقاع أهلها شراً بينه وبين صاحب القسطنطينية مولانا خليفة الله السلطان أحمد بن مصطفى باخبارهم بخلاف ما عليه الناس ، إذ مساعدته بخليل إنما كانت لما ادعاه خليل من محبة أهل الوطن له ، وأما أخرجه منه قوم بفاة خارجون عن الشرح والنظر الصحيح فوجه وقدماً كبيرهم أحمد بن عثمان وصحبته هدايا جليلة لحضرة مولانا السلطان ولما حضر لمخاطبة الحضرة العلية والرتبة السلطانية والذات المولوية الخاقانية ،

(١) الزيادة من تاريخ النائب ، والشهر جادى الآخرة

(٢) وهي مدينة من مدن طرابلس المشهورة تقع على مرحلتين منها إلى الجهة الغربية وهي من مواطن

البحر المختصة بهم في طرابلس ، وهي على البحر ولها ميناء ذات أهمية

(٣) انظر الكلام على صيرة في صفحة ١٥

و دفع له كتاب الجند وأهل البلاد ، و عرفه ما كان عليه خليل المذكور من الفساد و انه أضر بالرعايا كل الأضرار ، و صام الأكاير و الأضاغر الخسف و الدل و الاحتقار ، و تحقق أن ما ذكره له من موافقة أهل البلاد له و مظاهرهم إياد شيء باطل و أمر لم يحصل منه على طائل . و كانت عادة البلاد قديما يأتيها على رأس كل سنة باشا من قبل السلطان ، فقدم يوم الأحد لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع و عشرين و مائة و ألف محمد رايس الملقب بـ « جاتم خوجه » باشا من قبل السلطان أحمد ، فأكرمه أجلالا هيبية مرسله و وجهه إليه بعد اقتضاء مدته معززا مكرما .

وفي سنة خمس و عشرين و مائة و ألف أواسط شعبان تاق أهل تاجوراء للخلاف و استدعوا له فوخاه من أهل ترهونة و بعض أولاد حميد بن جارية ، و سرى بهم طيف الخيال . فلما بان له منهم ذلك جند مرتزقة و خيم في رياض سكرة^(١) و أظهر أنه يريد غريزان لو مبيض فار خلافا ، و راسل عامل تاجوراء ليبعث إليه مائتي رام من رماثها بسلاحهم فأحضرهم ، و شجخت بذلك نفوسهم و ظنوا عجزه عن إقامة الملك بدونهم ، و واعدتهم وقتا يلاقونه خارج بلدكم ففعلوا فلما التقى بهم أمر بأخذ سلاحهم و إيقافهم ، و فرقهم في خيام الجند و قدم البلد و خيم بقلمتها ، و أفرمهم من المال ما أثقلهم أداؤه و ارتحل عنها ، و ولى تفرغهم ذلك صاحب خيله أخاه لأمه الحاج شعبان بك بن يوسف ، فلما كلف التاسع و العشرون من الشهر المذكور من السنة المذكورة أجمعوا أمرهم و من و انقمهم و هجموا عليه بالقلمة يريدون قتله ، و كان معه طائفة من الجند فامتنع منهم حتى تمكن من القلعة و حاصروها بها و رموه بالحجارة و امتنعوا من الأداة ، و بلغ خبر

(١) موضع بالمنشية جنوبي مدينة طرابلس فيه من أنواع الأشجار ما ينمو وجوده في غير . وفيه نسيب غناء و مناظر تفرح الصدر ، وفيه من جيد أنواع الثمار و الللال الوارفة ما استمتع أن يسرى به . سارة .

فلتهم تلك أمير المؤمنين بعد العشاء فاستنفر المرتزقة وأهل البلدين الساحل والمنشية وصبحهم فلم يقروا على حرب ولا دفاع ، وأباح أموالهم فنهبت ديارهم ومواشيهم ووثق منهم وقتل « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » ، وأغرهم مالا ثقيلا ووالى عليهم المغارم حتى بدد شملهم وتركهم هبرة لمن تافت نفسه لما تافت نفوسهم اليه .

وفي السنة المذكورة في أواخرها خرج على البيعة ابن حسين الكول أوغلي ولحق بقرية مسلاتة ، وبايعه من بها من الرعايا وغيرهم الا آل بيت النبي ﷺ وأعاتهم على فسادهم محمد بن منصور الترهوني الملقب بسوق الذهب^(١) ومن وافقه فاستنفر أمير المؤمنين جنده وتولى حربهم بنفسه ، فبدد شملهم وفرقهم وأحاط بهم ، الا من توغل في الجبال ، وحرق بيوت الرعايا الذين بايعوه ، وأباح نهب أموالهم وأغرهم ثم عفا عنهم وارنحل ، ورجع مظفراً منصوراً . ثم خلع بيعته بأثر ذلك ابن عشرين ، ووافقه على ذلك بعض أهل البيوت القديمة ولم يجعل الله لهم أمراً ، ثم بعد ذلك عفا عفو قادر على أهل البيوت وأقارب القائم ، وأحسن وبالغ في الإحسان لكل جزاء الله تعالى خيرا

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة وألف فخلع فيها علي بن عبد الله بن عبيد النبي الصنهاجي المكنى « أبو قبيلة » بيعة أمير المؤمنين ، وانضم اليه كل منفسد من الجبال وأودية الككوم^(٢) ومن أراد الفساد من أهل السواحل ، وأخذ أموال الرعايا ، ونهب مواشيهم وأكل الزروع ، وأخذ أولاد خليفة وأولاد نصر ، وسبي حريمهم ودخل بيعهم بفنائهم كرها ، وقتل نحو الستة عشر رجلا من بني

(١) سوق الذهب كان رجلا عظيما في تهامة وهو شيخ قبيلة المهادي التي تسكن الآن جهة دلتا وون وسيدي ميمر ، وفي بعض السنين حصلت حروب بينه وبين الشيخ عبد المولى (الجد الأعلى لعائلة المريضي) بتشدده الياء فهجروا له مصر ومنه بعض انصاره واستوطنوا أسبوط ، ولا تزال قبيلة تهامة مسروقة بها الى الآن (٢) اودية الككوم تقع في الجنوب الشرق من مزدة على مسافة يوم تقريبا

خليفة . وكان ذلك قبل سنة سبع وعشرين . واشتد أمره على الرعايا ، وكثر تابعوه حتى ظنّ ضمناً العقول أنه الفاطمي الموعود به . وارتحل بتابعيه الى ناحية الجبل الأخضر فالتقى بخراج أوجه وافدا على حضرة أمير المؤمنين فأخذه ، وأخذ خيل الجند الواقفين به ، فلما بلغ أمير المؤمنين ذلك توجه الى لقائه وكان هو توجه الى الجبل الاخضر وهاداه كبراء أهله وأعطوه مالا وأخذ من لم يعطه ورجع . ولم يكن لأمر المؤمنين علم برجوعه ولا اقامته بالجبل ، فلما نزل الزعفران من أرض سرت خرجت من الجند طائفة تتصيد ، فالتقوا ببعض وراده وبعض قنّاص الصيد منه ، فأخذوهم وأخبروا أمير المؤمنين بدار الاعراب ، فارتحل من ليلته حتى أصبحهم على حين غفلة فاستولى على أموالهم وحرّسهم . وقتل أخاه عبد النبي وفرعلي بنفسه ولم ينج من أهلهم وأموالهم الا ما قل ، ووجد بيته الخراج المأخوذ تاماً ، ورجع منصوراً مظفراً ، وكان ذلك أوائل ربيع الاول سنة ثمان وعشرين ومائة وألف . فلما قدم المدينة أنشد بعضهم بين يديه قصيدة وبذل له فيها كثيراً ، وهي هذه :

هذي جنازهم وذا نحر الوري	بالتصر والفوز المبين مبشرا
قل للجحافل يصبروا أو ينفروا	فليوم يوم دماهم متحسرا
جاء الصلاح الى الفساد فكيف لا	يذر الفساد وأهله تحت الازرى
ان الجحافل حان وقت وفاتهم	فقتلهم لاشك فيه ولا مرا
واقام الدهر القوي ومن سوى الله	هر القوي على العدو بأقدرا
فتزلزلت بلغومهم حافاتها	تركت مقده جمعهم متأخرا
واستسلمت طوعا وكرها نحوهم	لما رأيت ظفرا يقل مظفرا

لم تلق منهم غير من في كفة
حافين حول لو آء من في طية
نسخت شعار صفاته ما كان من
لا تسمع الحديث ليث غيره
أفنى جوعهم وخرّب دورهم
فاستلبوا الأرواح حتف أنوفهم
بالوت أنذرهم وبشر أنه
كأسُ المنون تُديرها أسدُ الشرا
لمع يخيّل عززئل مصورا
كسرى ومن إسكندر أو قيصرا
فالمصيدُ كل الصيد في جوف الفرا
فتواح أهلهم غدا متكررا
وكسى البقاع من الدماء معصفرا
لا زال أحمد منذرا ومبشرا

ثم زين له علي المكني التوجه لفزان وحته على ذلك ، فتوجه إليها حتى نزل
على مرزك وحاصرها أياما نحو العشرة ، ثم قدم عليه خبر أزعه فارتحل عنها
ورجع الى المدينة أو اخر سنة ثمان وعشرين ومائة وألف

ثم راسله صاحب فزان مع خواص بلده وأرباب البيوت منها وتلطف أن
يقبل منه الخراج ، فقبل منه الى أن ظهر منه من قلة الأدب ما يوجب التوجه اليه ،
فتوجه اليه بعد أن اخذ على بن عبد الله بن عبد النبي بعد صوده لمثل ما كان عليه
« بدريدر »^(١) - ماء مورود - وكان أخذه له على يد صاحب خيله أخيه الحاج
شعبان باي ، فوافاه ولم يخرجوا له من السور ، وأقام عليها مدة قليلة ، وأباح نهب
بعض البلاد التي لم تجب دعوته كالقطرون - إقليم تحت ولاية صاحب فزان ،
كثير النخل والزراعة يرده أهل كارار ومن حوله من جفاة السودان ، وأهل
النوبة قليلا - ثم رجع ولم يصب من مرزك - محل كرمي صاحب فزان - في
تلك المرة ، وكان ذلك في المحرم سنة احدى وثلاثين ومائة والالف . وكان
كبير الجند الذين أرسلهم لنهب القطرون وأخذها ابراهيم الملقب الترياقى
الكرول اوغلى ، فأصاب منها مالا كثيرا اختصه لنفسه ولم يعاتبه أمير المؤمنين

(١) هو صدة آبار مقاربة بعضها من بعض ، وتقع شرق مزدة الى الجنوب بمسافة يوم ونصف تقريبا

على ذلك .

فلما كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف خلع البيعة ابراهيم الترياقى وعلى ابن خليل الأدهم و ابراهيم أبليلو وطائفة من جناة الجند .

وكان سبب ذلك أن أمير المؤمنين وجه صاحب الخليل الحاج شعبان واليا على أهل برقة : بنغازى ، ودرنه وبواديهما ، وأرسل القائمين من الجند صحبته ، وصحبهم مفتاح بن عبد الرحمن الأصفر : رجل يزعم علم الغيب ، واعتقده أولاد الترك الذين هم بمصراته . فلما صحب الوالى المذكور اسماء الادب معه ظننا منه ان له فيه العقيدة كما للمذكورين ، فبالغ فى الاغضاء عليه الى أن بطش ببعض أهل درنة وبعض من معه لامر قيل فيهم ، بطش بهم من غير تروء ، فاجتمعوا والترياقى على المجذوب المذكور يستظلمون منه خبر الغيب ثم خلعوا البيعة من هناك ، وبايعوا ابراهيم الترياقى وعلى بن خليل الأدهم ، على أن الاول ملك والناسى وزيره وكاهيته ، ووافقهم من شاكلهم من الجند ، ومن لم يشاكلهم لم يستطع دفعا ، فوافق ظاهرا ، وتوجهوا من برقة كلما مروا بقبيلة دعوها الى البيعة فأجابت طوعا أو كرها ، الى أن قربوا من تاورغاء وبها يومئذ قائد وحسن أغا وكيل على قض الخراج ، فنهض لسكهم على بن خليل و ابراهيم بليبلو ، فدخلوا البلد ، وأظهروا بعض كبرائها على فعلهم ، ومسكوا القائد وأخذوا فرسه وسلاحه ، وتوجهوا الى ابن علاق وحسن نازل عنده ، فلما دخلوا بيته أرادوا اللبش بحسن فخماه منهم ابن علاق وتوجه فارا الى الحضرة ، وفر معه من لم يرض بفعلهم ولا عقابهم . ودخلوا مصراته وعت بها بيعة السكول اوغلية الأمان فرء ، وأرسلوا الى اذملوك الذى كان رتبة أمير المؤمنين ليفوم بوظائف القصر الذى يدرسا قصر أحمد ليحمي من بها من سفن العدو . فأخذوا ما بيده من البارود والرصاص المدخلة به بيضة الاسلام من انتصارى ، وأخذوا سلاحه وفرسه ، وحصر عندهم من المدججلة المدعين على الغيب

خلق لا يحصون كثرة، وتقوى ظنهم في انهم يمتلكون وتوجهوا حتى نزلوا
تاجوراه وفر منهم حسن الصغير في شردمة الى الحضرة وخرجت لهم خيل أمير
المؤمنين فأخذت منهم شيئاً كثيراً، وعفا عن أصابه منهم الا القليل، وتفرقوا
في البوادي بجمون رؤوسهم، فكاتبهم بالامان الا رئيسي الثورة: علي بن خليل
والترياقي، فتوجه علي بن خليل الى مصر، وبقي الترياقى بالاعراب يتقلب في
البراري. فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين - ونحن يومئذ بمصر بالجامع الازهر -
قدم كتاب من الحضرة بتأمين علي ان قسم تائباً، فشكرنا عفوهم وقدمنا على
الحضرة. فلما نزلنا « التميمي » أحساء ماء عذب ببطن وادي بيعد عن درنة مسير
يوم - أخبرنا أن محمداً الملقب « جاثم خوجه » أتى مطروداً من الحضرة السلطانية
الأحمدية ونزل على بنغازي وبايعه كبار الاعراب: عبد الله أبو طرطور
الجبالي، وصلاح بن سليمان، وسليم بن جليد بن موسى وسائر كبار اعراب الجبل
وبرقة وواقمهم أهل البلد. وكان صحبنا في الركب الحاج علي الماعزى وعلي
ابن خليل، فوافينا جماعة من الجند كان أمرهم أمير المؤمنين في بعض السفن
فظفر بهم جاثم خوجه، وكنا أردنا الاقامة بالجبل لزيارة رويغ بن ثابت بن
السكن الانصاري النجزي صاحب رسول الله ﷺ. فلما وجدناه بها عجزنا الى
الحضرة فأخذنا من وجدناه من جندها، ورحلناهم وزودناهم. ومرنا حتى
انتهينا الى « المنعم » - أحساء ماء عذب شرقي مدقع (١) وادي الكبريت، -
فأرانا جند أمير المؤمنين به وكبيره يومئذ ابراهيم تابعه متوجها الى لقاء جاثم
خوجه ومن معه، وناول أمير الحج كتابا من أمير المؤمنين بالتحجير على بيع الخليل
لغير الجند، فناولني أمير الحاج فقرأته وشكرنا الله على العافية. ونادى أمير
الحاج في الناس: من باع فرساً لغير الجند فلا يلومنّ الا نفسه، وكان بيدي
(١) يستعمل أهل السجون ماء مدقع الوادي، ودفعه ومصده في الموضع الذي ينتهي اليه حريته. ويرك فيه

فرس جيد وشي به بعض الناس عنده ، فلما بلغني ذلك أرسلت به واحدا اليه
ففرح بذلك وردھا علي ، وتعلل بأنها لو وافقته لاعطى أضعاف القيمة ، وبالغ في
الاکرم وكان ذلك أواسط شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف

فلما نزلنا مصراته اقمنا بالاهل ويجوار الوالدة ، وكانت صحبتي هدايا
للحضرة فارسلتها اليه ووجهت كتاباً من عندي الى الحضرة اعتذر
عن المثول بين يديه ، فشرفتي بكتاب للعمال يتضمن احترام
رعائتي واعوانى ومن لاذبني من الطلبة . وحدد عن العمال فيمن
قصد محلي من خائف اذا بلغ أرض كذا فلا يقرب ولا يمك جزاء الله عنا خيراً
فأقت شهر رمضان بأهلي وكان عامل البلد سن فيها قتل النخل^(١) وجعل فيها
محلا لبيعته ، فبعثت اليه أن هذا لا يسعكم في دين الله ولا يسع أمير المؤمنين غداً
بين يدي الله ، وقرأت عليه كتاب أمير المؤمنين ، وأفهمته ما تضمنه من تعظيم
المحل وتوقير الطلبة ، وأخبرته أن هذا لا يوافق . فأعرض عن الكتاب ،
فأرسلت الى المحترمين وأعطيتهم من ما اشترى وا به النخل وتركوه ، وقدمت على
الحضرة ، فلما مثلت بين يديه وأخبرته بالواقعة أمر برفع يد العامل وولى غيره
فأقمنا بجواره في كرامة الى أن دخل شهر ذي القعدة ، فاجتمع جماعة منهم احمد
المعروف بابن الرئيس^(٢) وبعض بني عوان على صنع البيعة ، واعدوا على وقت
معلوم فهرب ابن الرئيس^(٢) ومن معه ، ودخلوا على الحاج شعبان ، هو يمدده
فقتلوه ، وفشل مواعدهم بالقتل بأمر المؤمنين ، وشتت الله شملهم وأعاد كيدهم في
نحرهم . فأخذوا وقتلوا ، وفر ابن الرئيس^(٢) الى جبل الحمايسد ، واستقر
أمير المؤمنين بخير ، وبقي ابن الرئيس^(٢) مع أعراب الحمايسد الى ما بعد خمس

(١) قال الجليلي في تاريخه في سنة ثمان مائة وثلاثين في سنة ثمان مائة وثلاثين

في ولاية سوس ، وبنو الحمايسد من بني سوس ، وبنو الحمايسد من بني سوس

(٢) كتاب في الأهل والأرض ، وبنو الحمايسد من بني سوس ، وبنو الحمايسد من بني سوس

وثلاثين ومائة وألف ، فخرجت أعرابهم لارض « سرت » وأخرجوا أهلها
منها كرها ، وأخذوا مواشيهم ، وقد كان جعل صاحب الخليل ابراهيم موضع
أخيه المقتول تداركه الله بالالطف ، فلحق بهم في أرض سرت فأخذهم و فرق جمعهم
وهرب ابن الرئيس فلحقه بعض الاعراب ومسكه وقسم به على الحضرة فقتل
صبراً . كما تدين تدان

وفداه - أكرمه الله و وفقه - وحديث فضله سارت به الركب ان شرقا وغربا
وقصده الشعراء والناس وامتدحوه . وأعطي عطاء يفوق عطاء مثله قصده محمد
جركس ، واحمد بك الاعسر ، واحمد بك الصغير ، وعمر بك لما أخرجوا من
بلادهم فارين برؤسهم فأمنهم وأكرم مشواهم ، وبعث كاهيته حسن الاحمر لقاؤهم
وكان لما نزل الحاج بمصر امة ومعه محمد جركس التقيت به وأكرمت مشواه عملا
يحديث « راعوا عزيزاً قل وغنياً افتقر » . ولما كان له من منة على سيدي علي
للشكري الطرابلسي ومجاوري البلاد بالازهر ، فأمر الى الحديث في شأن أمير
المؤمنين ووفائه بالذمة ، فأخبرته بما صدقه العيان فشكر واطمأنت نفسه . فلما
أصبح لقيه السكاهية بخيرات كثيرة وانعام واسع . ولما قدم على الحضرة هيا له
عرصة أنيقة البناء واسعة الفناء ، وأعد له فيها ما يليق بالهمة من فرس وما كل
ومشرب من العسل والسكر . وبعث اليه وقر أربعة بغال لباساً من ثياب الملك
والفراء الزفينة . وأقام في جواره مدة ، وانتقل الى أرض الجزائر فلم يجد من
صاحبها ما وجدته من حضرة الامير مع ما له عليهم من اليد ، إذ هو جاء في خفارة
ولد صاحبها ، وكان قسم عليه صحبة الحاج حاجا ، ووجده متنهما في بحبوحة الملك
فأنعم عليه وأخذ بيده . ولما انقلب الحاج الى مصر وجد أن الله قد أزال النعمة
عليه ، وفر عنهم الى المغرب متمسكا بأذياله . وكان قدومهم عليه سنة سبع وثلاثين
ومائة وألف ، وأقام أحمد الاعسر ومن معه بجوار ابن أمير المؤمنين محمود بك

صاحب ولاية بنغازي . في كرامة الى أن قدم على الحضرة ، فهبأ له من الاكل والشرب والمركب والملبس ما يليق بفرضه وأعطاهم ما تشتهي أنفسهم زائلاً مما أعد لهم ، وأقلم عليهم خدما وحناء عليهم حنو الوالدة على ولدها بل أبلغ . وهذا شأنه . وقه الله تعالى الى الخير وأعانه عليه . مع كل غريب حل بجواره .

ولما حلت بجواره « خناتة » حريم أمير المؤمنين بأرض المغرب مولانا السيد اسماعيل في شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ، وابن ابنها مولانا أمير المؤمنين بالمغرب السيد عبد الله بن اسماعيل سنة خمس وأربعين ومائة وألف أكرم مشواها وكفاها مدة اقامتها ما تحتاج اليه من مآكل وأسكنها عرصة مسيحة ، وأقام من انخزاة كافة ما يحتاج اليه درايها وخدمها . ولما خلعت من عنده الى الحج أعطاها خمسين بعيراً ، وبعث اعماله في البلدان بالوقوف اليها فيما تحتاج اليه ، فوقف كل على حسب مقامه وجرى بمجهوده ، الى أن خرجت من الطاعة ونعمه شامة لها ، وكذلك فعل بها لما قدمت سنة أربع وأربعين ومائة وألف (١)

وأما دعوة همته لتأييد السنة فأمر أشهر من أن يذكر ، فقد كان الوطن قبل توليه . لشغل أهله بما دهمهم من الظلم وعدم مراعاة أهل الفصل والدين . في خفة عن أمر الدين . ولما أراد الله ولايته ، وراعى جانب الدين في ابتداء أمره . ففر من أهل طاعته خلق كثير لطلب العلم ، ونفروا في البلدان يطلبون العلم ، فتفتحة منهم خلق كثير وآبوا اليه فأكرم مشواهم

(١) كتبه على ما نشره الاصل
وسمها المشارة في معرفة هذا
سكا وسماها الفذية على ما نشره في

﴿ الشيخ أبو عبد الله محمد بن مصطفى الماعزي ﴾

فمن نفر منهم وتفقّه الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن مصطفى الماعزي
 للكل أوغلي، ارتحل إلى مصر ولقي بها الأفاضل وأخذ عنهم العلم، وتفقّه في
 كل العلوم: نحو، وكلام، وحديث، وتفسير، وانتقل إلى مكة، ولقي بها
 الشيخ أكرم الهندي وأخذ عنه، والشيخ أبا الحسن السندي وعدة أفاضل
 وأخذ عنهم، وآب إلى وطنه فأكرمه أمير المؤمنين وأهانه على بناء زاوية
 بالمنشية فبناها وهو في وقتنا يقبم بها لقراءة العلم نفع الله به

﴿ الشيخ محمد بن محمد بن مقبل ﴾

ومن تفقه بها ولم تكن له رحلة عنها أبو عبد الله الشيخ محمد بن محمد بن
 مقبل، تفقه بالشيخ عبد السلام بن عثمان، والشيخ أبي العباس أحمد بن ثابت
 وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن النجار، وجماعة من الواقفين عليها

﴿ الشيخ محمد بن أحمد المكني ﴾

ومن تفقه بها أبو عبد الله محمد بن أحمد المكني نشأ بها وتولى الافتاء بها
 بعد موت الشيخ محمد بن مقبل الأكبر

﴿ الشيخ أحمد بن محمد المكني ﴾

ومن تولى الافتاء بها أيام تأليفنا هذا الكتاب الفقيه أبو العباس أحمد بن
 محمد المكني ولم تكرر له رحلة في طلب العلم ولا كثرة رواية، ونصب لمكان
 البيت^(١) وفقه الله للخير. وروى الفقه عن أبي الحسن علي بن الشهيد المالكي
 نزيل جربة. وأخذ عن الفقيه أبي عبد الله محمد المشهور بأبي حافر وغيرهما

(١) أي تولى الافتاء لآلده ولكن لثرة بيته ومضل لآلده

﴿ الشيخ محمد بن عبد الحفيظ النعاس ﴾

ومن تفقه بها أبو عبد الله محمد بن عبد الحفيظ النعاس التاجوري
تفقه بشيخنا أبي محمد عبد الله محمد بن يحيى ، وبالشيخ عبد السلام بن عثمان
وجامعة ، وأقام بالمدرسة التاجورية الى الآن . وله اعتناء زائد بنصرة المتفجرة
وأهل الطرائق . هداه الله تعالى ووقفه الى الخير
روى الفقه عن أبي الحسن علي بن الشهيد زيل جربة المالكي . وأخذ عن
الفقيه أبي عبد الله محمد المشهور بأبي حافر وغيرهما

﴿ الشيخ سالم بن أحمد بن قنونا ﴾

ومن تفقه في أيامه وارتحل لطلب العلم الى حضرة مصر الشيخ سالم بن أحمد
ابن قنونا ولقي بها الأفاضل ، وأخذ عنهم العلم وآب الى الله فعمل بها مدرسة
بإزاء منزله ، وبالغ أمير المؤمنين في إكرامه ومراعاة حتى انتفع به أناس . وهو
مقيم على السنة لا يترخص.

﴿ لشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد بن غليون ﴾

ومن تفقه بها ولم تكن له رحلة لطلب العلم عنها الفقيه الفهم أبو عبد الله محمد
ابن عبد الله بن أحمد بن غليون تفقه بالوافدين عليها وأخذ عن أخيه أبي عبد الله
محمد بن محمد بن مقبل وأبي عبد الله محمد أبي حافر ، وعن العالم الفقيه لأديب
أبي محمد عبد العزيز بن عبد العزيز بن أحمد مروان ، والفقيه أبي عبد الله محمد بن
مصطفى الماعزي وجماعة ، وكان ذلك في مدينة أمير المؤمنين

﴿ الشيخ أبو عبد الله محمد بن العربي ﴾

ومن تفقه في أيام أمير المؤمنين وارتحل عن الوطن لطلب العلم وخيم له
بأرض مصر وجل فيها والحرمين الشريفين الفقيه الأديب العالم الشريف
أبو عبد الله محمد بن العربي بن محمد بن حمودة بن الصغير الهاشمي . وارتحل إلى
مصر ولقى بها الأفاضل وأخذ عنهم ، واشتغل بالعلوم وتفقه فيها كلها . وله باع
واسع في الأدب ورقة ولطافة زائدة ، وله القصائد المشهورة بالبلاغة . فمن
قصائده لما قدم الوطن ، وقدم دار الملك وخط بعضهم حقه قوله :

ألا هل ترى العين الألى قبل ودعوا	وهل سيل اجفاني التارق والهمع
وهل تبلغنا نفسي الأمانى برمة	وهل يسرج الاحلاك من ليلناشع
أو الموت أدنى من لبانة قاصد	يسامره جنح الدجى الشعر والدمع
بلى ان دهري والعم يتبددي	الى الله أشكومن زمان به ولم
قالي وللأفراح من بعد جيرة	تقضى بهم رشدي وأعوزنى الجمع
لقد سئمت نفسي الحياة وطولها	تساوى لى القبر والسوق والربع
ولا سيما في منبر الجهل هـ—هـ	فكل سليم التوق ضاق به الدرع
فلولا الامير المرتضى لم يكن لها	سجيس الليالي ^(١) في خواطرنا وقع

ولما بلغ أمير المؤمنين تلهفه وضيق ذرعه بما قال أمر باهطائه بيتاً بترية
الامير محمد باشا فاعطيه ونزل به ، وأقام بالمسجد يقريء العلم ، واشتغل عليه
الناس فعم الله به آمين

وأنشأ حفظه الله يدح أمير المؤمنين مطلقاً نفسه فقال :

لك الخير عرج بي على طلل الربع محط المنى معنى الكمي المقنع

(١) أى طولها . كما قول لائيك سجيس الدهر أى طوال الدهر

مقدسة تبلغ منك وترفع
 تامة والمجد منك بسمع
 تنادي هديلا بين أدواح أجرح
 وقد خلفوا جمر الفضا بين أضلعي
 ظمينةً شرك^(١) فرخها وسط بلقع
 وحيك فراشي من سلاقة أدعي
 به الماء منساب الى كل ممرع
 فباه بفضيح في صدور ومشرع
 لمقلق صب مدمن الشهد مصرع
 فديمتها تهمي على كل مربع
 يقسمه ما بين ككل ومرضع
 يمر يداً فوق السحاب المرفع
 سحاب سيب منه ليس بقطع
 تجاورها من كل شهم ممدع
 نجيب حبيب عالي القدر أروع
 أفاد فجاء بالحياء المنوع
 وأبكي جريئاً بالشكامة مولع
 قهقر جيناً من حسام مروء
 وآمالها سفن وجسمي بموضع
 سكوني بها أولى لكم من توجعي

وكن خالفاً نعليك بين مراتب
 هناك المنى والعزم حيث تقطعت
 به صادحات الورق تسجع في الضحى
 يحا كيني اذ شط عني وليهم
 وبت بلبيل نابقي كانني
 وأحزان يعقوب تسربلت درعها
 وزهر دياض مائس بين جدول
 يحاكي جنا ورد ندي بوجنة
 فاذا عليهم لو أباحوا اجتناءه
 وعيناه قد أعماه كثره اليكا
 تحاكي نوالا لاح من كف أحد
 على الغيث شبه من نداء كأنما
 ألا فاعجبوا من أربع وملاعب
 ولم لا يكون الورد موطيء أرجل
 أديب أريب فاضل متعفف
 أقول لأصحابي عليكم بأحمد
 فكم أضحك المحزون من نقش رسمه
 أتيت وجيش المجر خيسه
 اليك أبا الامداد حنت مطيبي
 لها منك حاجات وفيك فطانة

(١) يقال لمرأة ثعينة ، مادامت في المودج شبه بها صفورة وأنت في شرك ، واسلم والمعلقة الارض
 الفعر التي لا تن بها

مضى تعلم الايام والدهر مدحني لكم ترعوي عني وتروني وتخضع
وله غيرها من القصائد زاده الله تعالى ثبابة ونفع به وبأصله ، وأرشد أمير
المؤمنين لمد النظر اليه فانه أولى الناس بنظره وأحقهم به

وتفقه في أيامه خلق كثير ممن لم تكن لهم رحلة ولا كثرة رواية ، واقتصرنا
على ذكر المشاهير منهم ، وكلهم مراعون لديه مكرمون
فان قلت : هذا أبو محمد عبد العزيز بن عبد العزيز مروان من أجل الطلبة
وأعلام سندا في العلم ومنزلة في النسب قد حل به منه ما حل . قلت : هو منه في
سعة على ما ثبت من الطلبة فيه ، فما أخذه الا بما جنته يده بشهادة المدول ،
وهيه أنه لم يكن : كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

ومن مراعاته لجناب العلم الذي به حفظ مباني الشريعة جمعه العلماء بين يديه
لفصل الخصومة ، وتصريحهم لهم بالمجلس : احكوا بحكم الله ولو علي ، وقبول
شفاعتهم فيما شفعا فيه في غالب الامر

فقد وقع لسكاتب هذا معه عدة وقائع شفعه فيها : منها أنه أرسل - اكرمه
الله سنة ست وثلاثين ومائة وألف في الخريف يطالب أرباب البيوت والمحربين
من وظيف الخزن بشيء من القمح على يد العمال ، فأتاه عامل مصراته بعد
ما وظف على كل من أهل البيوت ما يخصه من تلك الطلبة ، وكان ممن كتبه
بطلبة^(١) بعض اقاربي ، فلما ناوئه التوظيف فاذا فيه بتو غليون يكندا ، فأمره
- اكرمه الله - بأعزه - بمحو ذلك . وكان العامل شرس الاخلاق بليد الطبع
فقال : غيرهم من أهل البيوت مثلهم فأمر بتنقيص الطلبة مراعاة لجاني ومكاتبهم
فقال : ان اعتقدتم أن لهم بمحمد قرابة فليس لهم بقراءة ، وانما يجمعهم نسب بعيد ،
فقال : هم قوم حررتهم اكراما فلان وكان له غرض في تفرعهم . فقال ياسيدي ان لم

(١) الطابة بكسر اللام : التمس المطلوب

يعطوا ارتفعت الطلبة عن غيرهم وأتوكم ، فما زال يردد ذلك عليه وهو أكرمه الله - يلين لكثرة المراجعة حتى خفف الطلبة ، ونبه على احترام الكاتب (١) واخوته ، فألقى له العامل ان فلانا يأتي شافعاً ، وما زال يردد ذلك حتى صدر منه أمرانه لا يقبل شفاعتي . ثم قدم العامل البلد . ولما قدم الينا أرسل الي رسولنا يطالب بتلك الطلبة ، فأخبرت الرسول بأني أحضر اليه في غد وأنا أقدم على حضرة أمير المؤمنين ان شاء الله . فلما حضرت عنده وأنا على اهبة السفر خاطبني بأني أرسلت اليك لتحضر لي طلبية أمير المؤمنين في ملا من الناس ، فأخذته لأختلي به فكأني - من شراسة اخلاقه - أرسلت عليه افي ، فأغلظ في القول وقال : انه لا يترك شيئاً ، ولا بد له من ذلك ، وكانت له على ضغينة . وذلك ان اهل الائمة الذين بمصراته ارادوا احداث كنيسة ، فبأنني بعض الطلبة ذلك ، وكان العامل بالبلد يومئذ غيره ، فحضرت عنده وبالغ في التلطف معنا والاحسان جزاء الله خيراً ، واخبرته بما فعل اهل الائمة من احداث كنيسة في بلاد الاسلام فأجاب ان خبرها معه ، فقلت كيف يسعكم في دين الله وأتم نواب أمير المؤمنين ان نحدث كنيسة في ارض اخذها المسلمون عنوة من يد من ليس بها الا من الهو وهو طارئون عليها ، فلا جماع منعقد على عدم احداثها ، بل تهد كنيستهم التي زعموا قدمها ، قل فكنت متوقفاً بحيث اذا سمعوني ذلك أتولى هدها بنفسي ، فهدها وهد الاصلية التي زيدت هذه عليها . فرفع اليهود أمرهم الي أمير المؤمنين وأخبروه أن الموقع بهم هذه ابن غلبون . فسأل أبا محمد عبد العزيز مروان عن حكم الله فيها ومن حضره من العلماء ، فأفتوه بالمنع فأعرض عنهم ، فراسلوا بعض من ينسب الي العلم من أهل تاجوراء فأفتوه بجواز ترسيم ما وهى من كنيسة الصلح ، فاستغاثوا ببعض الحاشية منهم العامل المذكور ،

(١) بنى ناولم نفسه

وراجعوا أمير المؤمنين وأطلعوه على النص وهو غير ظلم بالفروع ، فكتب للعامل بعدم منهم من بشائها ، وأرسل بذلك رسولا وحرصه الشافعون لهم بالوقوف هناك حتى تبني . فلما حضر الكاتب بين يدي العامل وهو « علي » الملقب « ثمار » لم يجهد بدا من موافقة الأمر ، فبنوها . فلما قاربوا الأعمام رجع رسول السلطان الى الحضرة فاتتدب لتخريبها طائفة من أولاد الجند الذين بمصراته ، فأخربوها ليلا وأصبحت رميا . فلما أخبر بذلك أمير المؤمنين سأل عن الحكم فيها فأفتاه أبو عبد الله محمد بن محمد بن مقييل ، وأبو محمد عبد العزيز مروان بالدم ، فوشى الشافعون بي وأن هذا من فلان ، فلم يلتفت . أكرمه الله تعالى . لقوهم فاضططنها العامل علي الى أن جاءت تلك الطلبة فيمن تعلق بي فظن أنه يظفيء بها ما يجهد من حرارة هدم كنيسة أحدثت في دار الاسلام . فخطبني بالغاظة ، فلما رأيت منه ذلك أعرضت عن محاورته وسألته كتاب أمير المؤمنين فاذا هو يتضمن احترامي والنهي عن دنو ساحتي ، فركبت فرسي ونهضت من عنده الى الحضرة للملية . فلما مثلت بين يديه انشدته أبياتا فقلت :

سيدي نصره الضيف وغوث	للتقدير اذا الظلوم قلاه
رحمة يرتجي نوائل فضل	من عينك من أراد خناه
أحد بيتك المكرم عز	كيف يخشى العناء من يفشاه
باطم القول جاركم وعجب	قد أناط ببابكم رجواه
يرتجي نصره وغرفة فضل	من نوال وأن تكفوا عداه
خادم العلم في جناب الامير	منه دوما بدعوة مانسائه
تقتضى رفة وشامخ عز	في هناء وأن ينال مناه
ابن غلبون قد أنى من بعيد	زائراً حسن ظنه قد دعاه

أن يكون شفيع قوم اليه نسبوا دنية ومنهم ولاء
 قد أتاهم حديث عز مرید منهم بعض طلبية ورواه
 قائداً ليته يكون رفيقاً بالفقير وربنا قد هداه
 وقت عدم لما أردتم واتفق نيل جود وفيضكم فرجاه
 فلما أنشدته الأبيات قال : قد شفيعنا كم وأمر بكتاب للعامل برقم يده ان لم
 يأخذ ، وبالرد ان أخذ . فوافاه الكتاب وقد أخذ البعض فرده من بيته . وأمر
 بالاقامة بجواره ، فأقمنا بجواره في كرامة وجيرزائد ، وأمر بحضور المجلس مع
 العلماء لفصل الخصام بمحضرة أيما فلم أجد فيه أنصف منه ، ثم خرج الى التنزه
 في رياض الربيع ، فلما جئته للوداع أشار بالحضور معه ، فبقينا بعده في البلد ثلاث
 ليال ، ثم خرجنا وصحبنا أخونا الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الله
 غلبون ، وأخونا أبو محمد عبد العزيز بن عبد العزيز مروان ، والأديب محمود
 ابن قاسم الحناش ، فوافقنا عشية بوادي الجينين في متنزه أنيق ورياض نضرة
 فلما رأنا ظهر السرور على وجهه وبالغ في السؤال عن الحال ، وأخبرنا أنه رأى
 بضحي ذلك اليوم أن قائلاً قال له : أنت تلام على عدم حضور العلماء معكم وقت
 خروجكم ، وها هو ابن غلبون قدم عليكم ، وخبرنا في النزول ففوضنا الأمر
 اليه ، فاختر لنا فسطاط كاتبه الأديب الأريب البليغ الفاضل صاحب قلبه الكتاب
 « قاسم بن أحمد بن رمزون » وأمر لنا بفرش وغطاء ، وأقمنا بجواره في كرامة
 أربعة عشر يوماً لا يحضره طعام الا أحضرنا وآنسنا عليه ، وبخاطبتنا بما يزيل
 الاحتشام ، ولا يرفع يده الا بعد تحقق كفايتنا وربما عزم على من يراه منا محتشماً
 فجزاه الله خيراً ، ما أرق خلافته وألطف شامته

ثم لما عزم على الرجوع الى دار المملكة أحضرني وقال قد فرضنا لكم في
 الهدية ، ففرض لي ولابن عمي فيه ، تقبل الله عمله ، واحضره له متقبلاً يوم

تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه
أمدا بعيدا ۝

ومن شمائله الكريمة التي بها تأيدت السنة ما فعله معي لما نزلت ببلدنا صحائب
هي فرع صحائب عاد لا أعاد الله مثلها في صفر سنة تسع وثلاثين ومائة وألف أخربت
البيوت ، وأهلكت المواشي ومما هدمته زاويتنا التي بنيناها في أيامه السعيدة لقراءة
العلم ودرس السنة ، ومسجد محمود خازن دار الذي ابتناه بقريننا وجعل نظره
لبني غلبون ، وعظمت على كلفة البناء فتوجهت الى الحضرة العلية وأخبرته بما
فعلت الايام بنا ، فأزال عني جورها وأمدني بما سددت به ما دمر منها ، أعانه
الله على ما أولاه

ومثل هذا ما فعل مع أبي الحسن علي بن عبد الصادق لما هد السيل زاويته
التي بساحل آل حامد . وكم له من مكرمة من هذا القبيل وقفه الله وأعانه
وأما حله فهو أحنف وقته ، لم ينقل عنه عدو ولا صديق أنه أظهر غضبا
قط ولو رأى أو سمع كل المغضبات

وأما حياؤه فحدث عن البحر ولا حرج ، حتى أفضى به الى أفة يرم الأمر
فاذا رأى المبرم عليه استحي ونقض ما أبرم ، فرماه من لم يطلع على أخلاقه
الكريمة بعدم الوفاء بالعهود ، وقطع بأن ذلك سليقة لا لموجب . ولو علم أخلاقه لما
ظن ذلك ولا توهمه

وأما تأييده للاسلام فأمر يشهد به عمله : من ذلك وقفه على سور البلد
أوقافا كثيرة يفوق ريعها في العام على ألف وخمسة أو أقل بقليل . واجراؤه
الماء للمدينة لنفع أهلها على حنايا لم يسبق بها ، وإيقافه عليها ما يقوم بها : ومن
ذلك السوق الجديد الذي بازاء خندق القصبه من جهة الشمال ، وهو سوق فسيح
الفناء أنيق المنظر والمبنى ، وكان بناؤه سنة ست وثلاثين ومائة والف .

و بنى بالقلعة بيوتاً ومقاصير أنيقة وجدد ما وهي منها وقد كانت قبله خراباً .
 وهو الذي جدد الباب للخذق الغربي السكائن بين سوق الخضره والحدادين .
 و بنى المخازن التي على يمين وشمال الداخل منه الى القلعة و بنى الحاجز بين القلعة
 و مجلس قائد الخندق ، حتى منع الداخل فغير حاجة . و بنى «الفنية» لسقي أهل
 السفن على ساحل البحر التي لحق نفعها المسلم وغيره من غير قعب . و بنى
 الحواصل التي على يمين داخل القلعة من الباب الموصوف الملتصقة بسور المدينة تجاه
 القلعة ، و غير ذلك من مهام المسلمين . و كل هذا مع ضيق يده و كثرة شكاة
 الفقراء اليه فتجده في مراعاة الصلاح يشتد في جباية الخراج و ربما استعجله فرماه
 من لم يدر حاله بلجور ، أعانه الله و وفقه

و من شدة حله تجرأ العمال على الرعية فيزيدون شيئاً عليهم لم يدره و تأتيه
 الرعية فيقبل قولهم فيستشفع العمال بمن يليه فيحلم عليهم فيظن غير التخيير بأحواله
 أنه راض . و قد شاهدته مرارا يصرح بأن الرعية ثقل عليها المفرم و انه لم يجد
 سبيلا لرفعهم للحاجة . فقلت ان ذلك من جور العمال و ادراجهم في الضرائب
 مالم يكن لازماً ، فيقول السلطان لا بد له منهم و هم كدعائم البيت جزء منه ،
 و يتعمل بالحياء وهو كما قال ، لما شاهدناه من حياء . و قد كان أرسل كاهيته
 (حسن الاحمر) في شعبان يطلب من العمال شيئاً يستعين به على مصدحته فله
 حل ببلدنا يطلب عاملها في ذلك وهو إذ ذلك (سالم بن خليل الادغر) أقبل
 له بضيق اليد و أنه لم تقم به أجره عمله المفروضة له على الرعية ، و سئله
 في أن يأخذ ذلك من المحررين من الوظيف ففوض له الامر فأول من قصده بالسوء
 جماعتي و أهل حمايتي لمنافاة طبعه طبع بني آدم ، لما عليه أصحابه من مدد و مة
 طلب العا و بنا كان يسمعه مني من النصيحة حين اجتماعي به من جهة الـ و في
 الخراج [فيمخير لمن ذهب تمييزه (١)] ان ذلك مني بفضاً له فكتب على لسان

(١) كانت الأصناف بطون دأبها من الخراج وهو التركيب

الكاهية وأرسل لهم يطلبهم ، وأمر رسوله أن يأتيني ، فوافقني أقرىء الدرس عشية وأنا بالمسجد فدخل يتخلل الطلبة حتى انتهى الي فناولني كتابا فيه خطاب علم ، فقلت له غيري المخاطب ، فقال أمرني سالم أن أدفعه اليكم على أي حالة كنتم ، فلاحظته الي أن توجه وقفوت أثره حتى أتيت الكاهية وقت صلاة المغرب فوجدته بجنبه معد له خارج بيت العامل فحتمته فحيانا كعادته وأحضر طعاما بين يدي الكاهية فدعاني اليه فجلست بإزائه حتى تناول الطعام ثم سألته عن الطلبة أهى من أمير المؤمنين بخصوص هؤلاء القوم ؟ فقال ان أمير المؤمنين لم يعين أحداً وإنما أرسل يطلب العامل بذلك وهو الذي عين ، فاستشفعت عند الكاهية فشفعني ، ودعا بالعامل وقل : انا قد شفعتنا فلانا في من انتهي اليه ، فقال لا بد منه فأجابه الكاهية : انا شفعتنا . فعربرد في كلامه على مقتضى طبعه . فأمرني الكاهية بالمسير الى أهلي وقبل الشفاعة وأصبح عازما على الذهاب الى بادية تاورغاء ليقضي من عمالم مطلوبه فلما مضى وجه الي كتابا آخر على لسان الكاهية ومكنه من رسول لا يفقه قولا ، وتهده ان لم يغلظ لي في القول ، فحضرني وأنا أقرىء درس الفقه بعد أن انتهيت من تفسير آية كنت أقدمها أمام الدرس لتبرك بكتاب الله ، فتخلل الحلقة بنظرة وناولني الكتاب فلما قرأته فإذا هو مزور على الكاهية فعلمت أنها من العامل لشراسة أخلاقه وغلظة طبعه لما يعلم من غيرني على حلق المعلم فيغيظني بذلك ، فأغلظ في القول فتهرت فانتهر ، وركب وركبت متوجهاً لا أمير المؤمنين فررت بالكاهية وأعدت له الخبر ولما رأني متوجها الى الحضرة أخذ بيدي وطب العامل ، وحضر عنده الرسول وعابه وكلمه بلسانهم وأنا لأفهمه وقل له : انه احتقر الترك وخط منهم ، فخدعني بكتاب للقائد أرسله اليه بعدم مطالبته من انتهي الى فلان بشي هو ان فعلت فلان تلومن الا نفسك ، واضعفتها علي حتى قدم على القائد واغتررت بجوابه وملاحظته ، فانفق أن أعلم القائد أمير

المؤمنين بأني ضربت رسوله واهتضمت جنابه بملأ من الرعية لأحققه في أعينهم ويكون السكاهية شاهداً بذلك . فلما بلغ أمير المؤمنين ذلك ظن صدقهم فبعث يطلب من اتقى الي بمبلغ من المال ، ونبه في الكتاب على عدم قرب خدي و إخوتي ومن اختص بنا، فركب وهو مخمر وحضرتي قبل أن أدخل حلقة الدر من فاستوقفني وأخبرني الخبر فسألت : من أمير المؤمنين أم منكم ؟ فقال من أمير المؤمنين ، فأجبت بالسم والطاعة لما أراد بقتل أو غيره ، فقال بمال ، فقلت عامة ما علينا نعمه ناولني الكتاب ، فناوئني ، فلما قرأته فاذا فيه التحريض على عدم قرب ساحتي فشكرت الله وأثمنت على أمير المؤمنين وعلمت أنها خدعة موجها تصديق أمير المؤمنين كاهيته حتى أوقع بحاشيتي ، وخاطبت العامل اللطيف القول . فلما سمع من القول ما نافي طبعه ظن أنني قلت له شراً فاخترط سيفه وضربني فحماني الله من شره ودفعت له الطلبيّة وتوجهت الى الحضرة فلما قدمتها منعت اللخول يوماً وحجبت عنها وعزمت على الانتقال ، ثم أتاني منه جواب لطيف وردّ عليّ ما دفعته عن حاشيتي ، وأمر بدخولي فحضرت بين يديه فلما شاهدته رأيت ماء الحياء يرشح من جبينه وتلطّف واعتذر مما حل بي من الروع فكان من جوابه : فمن يوم أن حلام بجواردي هل رأيت مني ما تكرهون ؟ ألم أزدكم احتراماً على ما لبيتكم من الاحترام قديماً ؟ ألم أفرض لكم من العطاء ؟ ألم أحرم زاويتكم على من يقصدها ؟ ألم أترك لكم وظيف ما تأخذونه من الاملاك الموظفة من أهل الخراج ؟ وردد علي من نعمه مالا أستطيع أن أقابله الا بدعاء الله بمكافأته

فلما اسقمت ذلك أقدرت له اقراراً معترف ، فرأيت منه ... أكرمه الله ... أن نعمادها لاذنة ، وإنما هو لي شكر فيزيد . فمما اعترفت بها زادي الاعمام ، . حد

بالزيادة في العطاء ، وعمل بمقتضى الآيات التي كتبت أنشدتها حين توجهي اليه
وهي هذه :

جئناك للفضل فانسح يا أخاه ولا تدع من الفضل شيئاً للذي جا كما
هذا ابن غلبون من عودته كرماً لدفع حادثة قد جاء يرجا كما
حلت به من عديم الذوق بحسبه من لم يخالفه انسانا ولا ذا كما
خاطبته بكتاب فيه مطلب ما ألفاه عذبة شيمت بمعنا كما
وقلت ان الذي للعلم نسبته ومن يليه فلا قطام خفا كما
تخالف الامر فيه بالاداء له وأنت تعلم من يؤذيه آذا كما
تريد اعزازه وهو يريد له ذلا فينتد في الملك ضاها كما
بل استقل به لو كان شارككم لكان في بعض ما قد قلت راعا كما
ان تكفناه ككفناك الله شر اظى وكان في جنة الفردوس مأوا كما

فلما بلغت الآيات رفع يده عن العمل وأكرم مشوانا . وهذا العامل
واضرا به في الشكل والعقل احدى المعائب التي يعدها العقلاء على أمير المؤمنين
لما يشاهدون من جماله ولطيف قبحائه وسليم طبعه ، وزائد دهائه ، وهم على الضد
من ذلك : من جفاء طبعه ومنكر فعل وعدم تمييز فيما يصدر من لفظه ودراية
بالسياسة كأنهم أصل اللبداوة ومنهم تفرعت ، وما دروا انه لا يقدمهم اختياراً
ولكن لقلبة الحياء عليه وتصلبهم واستشفاعهم بمن لا يسعه رد شفاعته من نديم
أو وزير فيوليهم رعيماً للغير وهو مضطرب ، ولو خلى ونفسه لتنزّه عن النظر اليهم
فضلا عن خطابهم أو يصنى اليهم بإذن أو يلوّن عمله . « والله غالب على أمره
ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

الطيفة (١) حكى أن المأمون خلا بمجلسه يوماً من الشاكين وأرباب الخواج
فدخل من دسكرة كان مختلياً بها فوجد بعض للناس ممن يتصفون بالكتابة فنظر
الى صورة مهولة المنظر فاستنطقه فلحن فأمر بإخراجه ، فتلطف اليه بالشفاعة فيه
فقال : من أدخل هذا دار الملك قصد تكثير معايننا . روح الحياه ان ظهرت
كانت جمالا وان خفيت كانت أدبا ، وهذا لا أدب ولا جمال ، فأخرجوه ولام
مدخله لوماً شديداً

وكم له من فضائل أبقاه الله تعالى موقفاً وأرشده لمعائبه بتداركها
بالحسنات آمين

فن فضائلة الدالة على تأييد السنة ما فعله مع رجل شريف مرهشي منقسيب
للعلم وفد عليه صفر الكف ، فلما حل بجواره كناه مؤتته وأقام في كفاله الى أن
فارق حضرته فوصله بخمسة مماليك ومائة دينار حمراء

وما فعله مع الفقهاء والعلماء : أبو الحسن على المكناسي ، وأبي العباس أحمد
ابن الصغير وأخيه محمد المكناسيين لما قدموا عليه صفر الكف فرض لهم في
العطاء ، وأقام لهم ما يحتاجون اليه من قمح وحم وأدام حتى غدت أيديهم مملأى بالمال
وله السياسة الفائقة على سياسة كسرى فلذلك طالت أيامه وساد ذكره حتى
صار جدياً في الملك

وله أولاد أنجاد ثلاثة : الأمير محمود باي صاحب ولاية برقة والأمير يوسف
باي صاحب الخليل بين يدي أبيه ، والأمير محمد باشا

من تلق منهم نفل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يهدي بها الساري
وقدمهم الله وأرشدهم ، لهم زائد لطف ورقة وشدة تواضع ، لم يؤثر عنهم تخبير

(١) مناسبة ذكر هذه الطيفة ان عادل امدد بابت عبده من سيده لالاقين ودمامة الوجه ما يستوجب
حرده لولا تواضعه مثل ما لرد المأمون ذلك الرجل لداره وده من حلقه

التي هي أول بلاد السودان وهي جبال رمل عظيمة ومتصلة من المغرب الى المشرق وبها يصاد الفئك الجيد . فاذا علمت هذا فاعلم ان طرابلس من افريقية والعيان شاهد لذلك . واشتغال أهلها بالجهاد برأ ويحراً أشهر من أن يذكر ،
فجهادها بجزراً في الروم وفي البر في محاربي الاعراب

وقد نص مالك وغيره من أصحابه الا ابن حبيب على ان جهاد المحارب أفضل من جهاد العدو وان ورد النص بمزية الثاني عن الاول اذ المزية لا تقتضى الافضلية
قال الناظم :

فلا تهج أمماً للثغور حنونة كفاها مديحاً عدم هفواتها

الألف واللام في الثغور للعهد ، والمعهود هنا ثغور المغرب . وامومتها لها من حيث أنها أول ثغور فتح فيه بلاخلاف بين المؤرخين ومنها افتتحت ثغوره في الاصل . وحنانها من حيث جمعها من أمور المعاش مالم يجمعه غيرها : فقد جمعت للثغور والزيتون والتين والكرم والحرب فلا يستولى على أهلها قحط بخلاف غيرها من بلاد المغرب [وما ذكرناه من أنواع الشجر] قائم لا أهلها مقام الثيب من حيث الوثوق بخصبه بل هو أقوى

ويكفي أهلها من الفضل انها رباط لمن قد قام في حجراتها

ثم ساق في فضل الرباط من الاحاديث الشيء الكثير

والى هنا انتهى ما ذكره ابن غلبون بشأن التاريخ ، والله يتولاه برحمته ،

ويجازه عن عمله هذا أحسن الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه قصيدة الأديب الفاضل الشيخ أحمد بن عبد الدائم

الانصاري الطرابلسي

وهي القصيدة التي أنشأها في مدح طرابلس ردا على ما وصفها به المبدري في رحلته من أوصاف لا تتفق مع الحقيقة (١)

وقد شرحها الاستاذ أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون، وهي شرحها التذكار، وهو كتابه هذا. قال الاستاذ أحمد بن عبد الدائم:

أرى زَمِينًا قد جاء يَتَمَنَّى المَمَا	بلا جارح والاسد في فلواتها
رأى الفَيْضَ مَبِيضًا بِمِزَالَةِ الحَى	فقال كَفَانِي إِنْهُ مِنْ صِفَاتِهَا
أنى أهله يَبْهَوِي وبشر أنه	بربقة من غَلِيَانِهَا وَمَهَانِهَا
فألقي قشورًا باليات وقد رمى	بدائه أربابَ الحَجَى مِنْ نُهَانِهَا
كمن رَامَ أَنْ يُهْرِي العليلَ بِحِيَّةِ	وزارع شوك يَرْمِي ثمراتها
الأبها النحريرة عن مَدْمَةٍ	فما في الأواني بان من قَطْرَاتِهَا



طرابلس لا تقبل النَمَّ انها	لها حسنات جلوزت سيئاتها
إذا أميا من قد نأته بلادُه	وأوحشه ذوأمرها من حَمَانِهَا
تطامن عن نفس ومال وعشرة	ويضحى بعز ما توى بجِهَاتِهَا
فكم من دُيُورٍ أُخْرِبت وكُنَاس	وكم من حصون حُوصِرَتْ بِسِرَاتِهَا
وكم من بلاد قَصَلِييٍ مركز	أحاطوا بها ليلاً فأفتوا حَفَاتِهَا
وكم من جوارٍ لِكُوافِرٍ ضيقت	على سُنَّ الإسلام من تَفْحَاتِهَا

(١) انظر صفحة ١

قد أضحت بمرساها أسيرةً فلكنها وعسكرها في جبرها من حفتها

وكم من أوْبسي بها ذي معارف وكم من جنّيديّ على شرفتها

بها فضلاء ما الفضيلُ يفوقهم فوارس أجمادٍ وهم من حُفتها

قد اختارها الزروق داراً وموطناً كذا ابنُ سعيدٍ مُقتد بهداتها

تواترت الاقطابُ تترى بارضها وكم سيد رام المقامَ بذاتها

بها علماء عاملون بعلومهم خول عن الاظهار في خلواتها

ولم تر غشاقط من جمع أهلها ولا قسا في بيعهم من جُفتها

إذا حان وقتُ للصلاة رأيتهم سِراهاً وخلوا الريح في عرّصاتها

رويدا فلا تعجل بتمكّ لتي تباهى بها الاسلام من غزواتها

بها ملك أندى من السحب راحة وأرأف بالأغراب من والدتها

له همةٌ تعلو لتأييد سنةً بحفظ مبادئها وجمع رُواتها

لعمرك تلقى سوء قصدك عاجلاً وتسلم نورَ العلم من بركاتها

فتب وانتصح لله ان كنت طرفاً ودع سوء ما أبديته من صفاتها

فلا تهج أمّا للشغور حنونة كفاها مديحاً عدكم هفواتها

ويكنى أهلها من الفضل انها رباط لمن قد قام في حجراتها

بجاءتك يا شرقيّ نسى فراعها وكن منصفاً ثم آجن من نمراتها

وصلّ وسلم يا الهى على الذي نهى عن حفظها النفس مع شهواتها

انتهى

فهرس التذكار

صفحة		صفحة	
١٧٥	أبو محمد بن أبي الدنيا		أ
١٧٦	أبو الحسن الهواري	١٠	انطابلس
٢١٠	آثار أحمد باشا	٦٦	أبو بكر بن عمر
	ب	٩٣	أول دخول الترك طرابلس
	أبيات القصيدة	٩٤	أصل آل عثمان
١٩٠، ١٦٣، ١٦٢، ١٦٣	التي شرحها المؤلف	١١٣	الأمير عمر المقدسي
٥	البيع	١١٤	الأمير محمد بن جهم
١٣	برقة	١٣٣	أصل الارتود
١٣	بنغازي	١٣٥	أق محمد
١٧	بناء مدينة القاهرة	١٤٤	أسر خليل القازداغلي
١٧	بناء الأزهر الشريف	١٥٦	ارم ذات العباد
٣٣	بجاية	١٦٢	أمير المؤمنين
٣٧	بكر بن كامل الدهماني	١٦٥	أبو الحسن بن التمر
		١٧٥	أبو موسى بن عمران الهواري

صفحة		صفحة	
٢١	دولة بني عبيد	٥٩	بنو ذباب
٢٤	دخول العرب افریقیة	١١٠	استبداد صمان پاشا
٢٤	دؤلول ابنة الرقیم	١١٣	ابن نوح المصرانی
٧٢	دیرن	١٣١	بناء برج الشعب
٩٣	دخول الترك فزان	١٤٠	ابن افشلوم عمر و محمد
١١٣	دخول الترك غات	١٤٨	بیعة أهل فزان تمام بن محمد
١٢٨	درقة	١٤٩	ابن ولید
١٣٥	دار الندوة	١٧٣	ابراهيم بن امماھیل الاجدانی

ج

	هـ	٢٢	الجزر جرائی
١٢	هواره	٤٥	جورجی قائد رجبار
٢٦	هزعة المعز بن بادیس	١١٠	جبر بن موسى التاورغی
	وصنهاجة أمام العرب	١٣٣	جبله بن الایهم
٣١	هزعة حو أمم تمیم	١٣٧	الجديد
٧٢	هرغة	١٥١	جبل نفوسة
١٣٧	هون	١٥٤	جامع محمد پاشا الامام
١٤٥	الهدیة	١٥٤	تجدید السوقین المحدثین
١٤٩	هزعة علی بن المکنی		بجامع محمد پاشا الامام
١٥٠	هزعة عبد الله بن عبد النبي		
	الصنهاجی	١٠	دخول البربر برقهوارض المغرب

د

صفحة		صفحة	
٦٠	استيلاء ابن غانية على بجاية		
٦٢	وفاة علي بن ثانية		
٦٣	استيلاء يحيى بن غانية على طرابلس	١٤	ودان
٦٤	وفاة يوسف بن تاشفين	٢٨	وفاة المعز بن باديس
٦٤	أولاد محمود	٢٩	ولاية تميم بن المعز بن باديس
٦٩	وفاة يوسف بن تاشفين	٣٧	وفاة تميم بن المعز
٧٣	ابن عباد	٣٥	استيلاء تميم بن المعز على طرابلس
٨١	الوشريسي	٣٩	ولاية يحيى بن تميم
٨٢	وفاة المهدي بن تومرت	٣٩	وفاة يحيى بن تميم
٨٣	ولاية عبد المؤمن بن علي	٤٠	ولاية علي بن يحيى
٨٣	استيلاء عبد المؤمن بن علي على مراکش	٤١	وفاة علي بن يحيى
٨٦	ولاية عبد الله بن عبد المؤمن على بجاية	٤١	ولاية الحسن بن علي
٨٦	وفاة عبد المؤمن بن علي	٤٦	استيلاء جورجى على المهديّة
٨٧	يوسف بن عبد المؤمن	٤٧	استيلاء عبد المؤمن على بجاية
٨٨	ولاية المنصور يعقوب بن يوسف	٤٩	رجار على طرابلس
٨٩	وقعة تاجرًا	٥٢	ولاية رافع بن مطروح
٩٢	استيلاء صاحب جنوه على طرابلس	٥٣	علي طرابلس
			استيلاء الافرنج على طرابلس
			واقعة اؤهامهم
		٥٩	استيلاء قراقش على طرابلس

صفحة		صفحة	
١٢٩	ولاية ابراهيم مصرلى أغلى	٩٣	وفد تاجوراء الى التسطنطينية
١٣١	» ابراهيم شلبي انبلى	٩٣	ولاية مراد أفا
١٣٢	» مصطفى الكبير	٩٤	» طورغود باشا
	الاستنكولى	٩٨	وفاة مراد أفا
١٣٣	» عثمان وكيل الخرج	٩٨	» طورغود باشا
١٣٣	» آق محمد الحداد	٩٩	ولاية يحيى باشا
١٣٦	» حسن عباره	١٠١	أولاد نوير
١٣٨	» بلك محمود	١٠٢	ولاية سليمان داي
١٣٩	» على الجزائرى	١٠٤	ولاية شريف باشا
١٤٠	» الحاج عبد الله الازميرلى	١٠٤	وفاة محمد الصيد
١٤٢	» ابراهيم التريزى	١٠٤	ولاية رمضان داي
١٤٢	» محمد باشا الامام	١٠٦	» محمد باشا الساكلى
١٤٩	استيلاء محمد بن جهيم على مركز	١٠٨	» عثمان باشا
١٥٠	وادي حسان	١١١	وادي الآجال
١٥١	ولاية عثمان التهورجى	١١٥	وفاة محمد بن جهيم
١٥٢	» الحاج مصطفى غلبولى	١١٦	أوجلة
١٥٣	» خليل باشا فازداغلى	١٢٠	تولية الترك عمالا كفارا
١٥٤	الوحشة بين محمد باشا الامام	١٢٨	ولاية عثمان يس الشوهلى
	و محمد بنى تونس	١٢٨	» بالى شاوش
١٥٩	ولاية ابراهيم الازكلى	١٢٩	وفاة بالى شاوش
١٦٥	» اسماعيل خوجه	١٢٩	ولاية مصطفى بهلان

صفحة		صفحة	
٤٨	حصار رجار طرابلس	١٦١	ولاية الحاج رجب
٦٢	حميد بن جارية جد الجوارى	١٦١	» محمود أبي أميس
٧٠	حلم يوسف بن تاشفين	١٦١	» أحمد باشا قرمنلى
١٠٣	حسين النعمال حامل قرآن		
١١٣	أحمد بن هويدي انخرماني		
١١٤	حجرية	٢٧	زويلة تونس
١١٦	أحمد بن عبد الهادي صاحب أوجلة	٥٨	» قرآن
١٤٤	حصار الاسبان مدينة طرابلس	٥٩	زعب
١٥٦	{ ابراهيم الشريف صاحب تونس مدينة طرابلس	٧٠	زينب بنت إسحاق النفاوية
١٦٧	حسان بن النعمان الضماني	١٥٢	الزعفران
١٧٠	أحمد زروق (الفقيه المشهور)	١٦٣	زيادة الله بن الاغلب
١٨٠	أحمد بن ثابت (أبو العباس)	١٦٨	زهير بن قيس البلوي
١٨٠	أحمد النصري »	١٩٢	زؤارة
١٨٠	أحمد القروي »		
١٨١	أحمد المكثي	٤	الأحبيس
١٨٢	أحمد بن هيسى الفرطاني	١٦٤ ١٤	حصار طرابلس
١٨٨	أحمد بن حسين بن سيد الناس	٢٩	حمّو بن مليل
٢٠٢	أحمد بن محمد المكثي	٣١	حروب الناصر بن حكناس مع العرب وهزيمته
		٤٢	حصار اسطول رجار المهدية

صفحة	صفحة	ط
٩	٧	طرابلس
١٢	١١٣، ١١١، ١٠٣	الطاهر صاحب فزان
١٣		ي
١٣		ياقوت المعروف بالافتخار
١٩	٦٣	يحيى بن غانية
٢٠	٦٤	يوسف بن تاشفين
٢٧	٦٨	اليد المعظمة عند النصاري
٢٨	١٦٤	ل
٣٣		الكلاء
٣٦	٤	كافور الاخشيدي
٣٦	١٧	كتاب تهنئة للحسن بن علي
٣٨	٤٣	كاهنة افريقية (كاهنة لوانة)
٣٨	١٦٧	ل
٣٩		لبدة
٤١		لوبة
٤٦	١٢٤٩	التحاق قراقش بزويلة
٥٨	١٢	لجَم
٥٨	٥٨	
٥٩	١٦٨	

صفحة		صفحة	
١٢٧	موت عثمان باشا	٦٢	محمود بن طوق بن بقية
١٢٩	مصراثة		جد الهاמיד الاصل
١٤٥، ١٤١	منصور بن خليفة الترهوني	٦٣	محسن (وادي الهيرة)
١٤٦	موت منصور بن خليفة الترهوني	٦٣	ميورة
١٤٧	مصطفى البسكري أبو خشم	٦٥	المشون
١٤٨	محمد الغزيل بن المكني	٦٨	موت أبي بكر بن عمر
١٤٨	موت محمد الغزيل بن المكني والتثيل به	٧١	المقصد بن عباد
١٥٤	محمد باشا الامام	٧٧	المصامدة
١٥٨	مزدة (بلد)	٧٧	المهدي محمد بن تومرت
١٧٩	محمد بن أحمد الامام	٨٧	مدة ولاية عبد المؤمن بن علي
١٨٢	محمد بن مقبل	٨٧	يوسف بن عبد المؤمن
١٨٣	محمد بن مساهل	٩٩	موت يحيى باشا
١٨٧-١٨٥	مناظرة بين المؤلف والشيخ	١٠٠	مامي والي فزان
	محمد النعاس التاجوري	١٠٠	موت الناصر صاحب فزان
١٩٦	مخاربة أحمد باشا فزان	١٠٣	موت المنصور صاحب فزان
٢٠٢	محمد بن مصطفى الماعزي	١٠٤	محمد للعبيد
٢٠٢	محمد بن محمد بن مقبل	١٠٥	محمد باشا الساكلي
٢٠٢	محمد بن أحمد المكني	١٠٦	مريم بنت فوز الشبلية
٢٠٣	محمد بن عبد الحفيظ النعاس	١٠٧	موت محمد باشا الساكلي
		١١٢	منذرة
		١١٤	مرزك (مرزوق)

صفحة	صفحة
١٥٨	٢٠٣
انتفاض عبد الله بن عبد النبي	محمد بن عبد الله بن أحمد غلبون
على خليل باشا	٢٠٤
١٦٠	محمد بن العربي
نفي ابراهيم الاركلي الى	
الاسكندرية	
	ن
	١٥
	نبارة
	نقض المعز بن باديس عهد
	٢٣
	العبيديين ، ودعوته الخليفة
	العباسي ببغداد
١٥	٤٣
مَبْرَتُ (صبره)	انتصار الحسن بن علي على
١٥	جيش رجار
سروس « شروس »	نسب الملتمين
١٦	٦٥
سور مدينة طرباس	لناصر بن المنتصر
٣١	١٠٠
سبيطة	١٤٧٤
٣١	١٣٧
سومة	١٠٠
٣٢	١٣٧
سبية	١٣٧
٥٣	١٣٧
سبب انتقال قرائش الى افريقية	١٣٧
٥٨	١٣٧
سنثريه	١٣٧
٦٨	١٣٧
سبب التزام الملتمين الاثام	١٣٧
١١٤	١٣٧
سلطان بن مرهي الفيثاني	١٣٧
١٣٧	١٣٧
سوكنة	١٣٧
١٥٣	١٣٧
سعيد بن المنتصر المرموري	١٣٧
١٦٧	١٣٧
سعيد بن خلفون الحسائي	١٣٧
	١٤٥
(أبو عثمان)	١٤٥
١٦٩	١٤٥
تَعْدُونَة (اسم امرأة)	١٤٥
	١٤٥
	انتصار منصور بن خليفة
	الترهوني على الترك

صفحة		صفحة	
١٥٦	عبد الله بن أحمد بن غلبون	١٩٣	سكرة (اسم موضع)
١٥٧	علي الفرجاني رئيس المتدعة	١٩٤	سوق الذئب (محمد بن منصور
١٦٦	عبد الله الشعاب		(الترهوني)
١٧٠	علي بن أحمد الخطيب	٢٠٣	سالم بن أحمد بن قنونو
١٧٤	عبد العزيز أبو فارس		س
١٧٩	عبد الوهاب القيسي		
١٨٠	عبد الله بن يحيى السوسي	٨٤٧	عين الفضة
١٨٣	عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن غلبون	٦٠	علي بن اسحاق « ابن غانية »
١٨٤	عبد السلام بن عثمان التاجوري	٦٥	عبد الله بن ياسين
١٨٧	علي بن عبد الصادق	٧٨	عبد المؤمن بن علي
٢١٣	تمدي عامل مصراته على المؤلف	٨٠	عقيدة ابن تومرت
		٨٩	علي بن الغازي وهل هو علي ابن الغاني ؟
		١٠٥	عمرو بن العاص واسقف نصراني
١٢	الافارق	١١٤	عبد الله دباش الحسناوي
٦٩ ، ١٤	فتح طرابلس	١١٦	عثمان باتا
١٥	فتح مدينة صبرة	١٢٠	نعمدي الولاية للترك على الاعراض
٤٨	فتح عبد المؤمن المهدية	١٤١	عين الوزغة
٥٨	فتح زويلة	١٥٠ ، ١٤٦	عبد الله بن عبد النبي
٦٤	فتح ودان		الصنهاجي
٦٤	فتح غدامس	١٥٢	عبد الله بن احمد أبو طرطور

ف

صفحة	صفحة
٦٧	١٤٠ قتل عبد الله بن يس اقتداء طر ابلس من الاسبان
٩٩	١٥١ قصر قراقش فساطو
٩٩	١٧٠ قرقارش فضيل بن عياض
١٠١	٦ قتل يحيى بن يحيى السويدي
١٠٢	٦٥ قتال المنصور صاحب فران
	١٩٤١٥ مع الترك حزره
١٠٣	٤٤ قتل حسن النعال عامل فزان صقلية
١٠٤	٧٩ قتل شريف باشا الصورة أخت هلي ابن يوسف
١٠٧	ابن تاشفين قتل مريم الشيبانية
١١١	١٠٣ قتل أولاد جبر بن موسى التاورغي هلب سليمان داي
١١٢	١١٤ قرية أولاد شوشان الصلح بين محمد باشا و محمد بن جهم صاحب فزان
١١٦	قبر عبد الله بن سعد بن أبي مرزوق
١٣٨	قتل النجيب بن محمد صاحب فزان
٢	٢٥ القبض على الناصر صاحب فزان
١٤١	٤٣ قتل أولاد فشلوم : عمرو و محمد
١٤٢	٥٤ قتل مراد الغوشلي قلعة الشوبك
١٤٩	٥٤ القصر الاحمر بسمة قلعة الكرك
١٥٣	٦٢ قتل مصطفى غلبولي قصر العروسيين
١٥٩	٦٤ قتل عبد الله بن عبد الحمى قتل قراقش

ق

صفحة		صفحة	
	ت	١٦١	قتل الحاج رجب
٢٦	توجه العرب الى افريقية	١٦٧	{ قرية حسان : قصور حسان محمد حسان
٤٥	تسليم الحسن المهدي	١٩٢	قتل خليل قازداغلي
٦٨	تأسيس مدينة مراکش		ز
٧٧	تومرت	٢١٨	قصيدة ابن عبد الدائم
٨٠	تينمل	٦	الربقة
٨٤	{ اتفاق العرب على محاربة عبد المؤمن ورفضهم مساعدة رجاء }	١٦	رقادة
٩٤	تاجوراء	٤٠	رافع بن بكر الدهماني
٩٩	تغلب حجاج على غريان	٥٩	الرشاطي
١٤٥٦١١١	تاورغاه	١١٣	(رات) غات
١٦٥	{ تاجر من بلنسية يسأل طرابلسيا عن بلده }	١٤٥	{ رمى الاسبان مدينه طرابلس بالمدافع }
	ث		ش
٢٤	الانبج	١٥	شروس « شروس »
٥١	ثورة أهل طرابلس على النصارى	٧٤٦٧٣	شعر ابن عباد
١٠١	ثورة يحيى بن يحيى السويدي	٨٧	شنترين
١٠٢	ثورة نبال	١٤٥	شروط الاسبان على أهل طرابلس
١٠٢	ثورة عبد الصمد	١٤٥	{ شروط الصلح بين محمد الامام والاسبان }
		١٥١	شكشوك

صفحة		صفحة	
	ن	١٠٢	ثورة تاجوراء وبنورقيعة
		١٢٦	الثورة على عثمان باشا
		١٣٥	الثورة على آق محمد
٩٧	خروج المنتمين من الصحراء الكبرى الى السوس الاقصى	١٣٦	ثورة المحاميد على آق محمد
٩٩		١٤٨	ثورة أهل فزان على محمد الغزِيل بن المكِّي
١٠٣	خوذة بنت شرومة	١٥٦	
١١١	الخرمان	١٥٨	ثورة ابراهيم أيل بالمدينة على خليل باشا
١٤٧	خندق الناصر صاحب فزان والغدريه		
١٥١	خلم محمد الامام	١٦٨	محمد حسان
١٥٣	خروج غريان على طاعة مصطفى غلبولى	١٩٣	ثورة أهل تاجوراء
١٥٧	خليل باشا قازداخلي	١٩٤	د ابن حسين الكول اغلى
١٦٧	خطاب البرقي (أبو نزار)	١٩٤	د على بن عبد الله الصنهاجي (أوقيلة)
١٧٣	مخدّام الزروق		
	ن	١٩٩	ثورة ابن الرئيس

صفحة	صفحة
	ض
	ظ
٦	غريبة
٧١	أغمات
١١٣	غات ، أو (رات)
١١٧	فدر عثمان باشا بأهل أوجلة
١٢٧	فدر عثمان باشا بوفد الامان
٧٧	ظهور دولة الموحدين
١١٨ ، ١١٩	ظالم عثمان باشا وارهاقه الالهالى
	بالضرائب

تصحیح

وقم في صفحة ٢٤ سطر ٩ كلمة « اتبت الرقم » وهي خطأ . وصوابها -
« ابنة الرقم » - وفي صفحة ١٤٣ سطر ١٤ كلمة « ضرك بضاد مهملة »
وهي خطأ صوابها صرك بصاد مهملة - وفي هذه الصفحة سطر ١٦ « بصاد
معجمة » وهي خطأ ، وصوابها « بصاد مهملة »

